ياسمين سعد

# تذكرةٌ على متنِ تيتانيك

— رواية —

مستوحاةً من سيرةِ الناجي المصري الوحيد

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة: شريف الليثي

دار تويا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com

دار تويا للنشر و التوزيع Dar.toya

@Dar_Toya

Dar.toya

(+2) 01202222098

٣٥ شارع النصر - المعادي - القاهرة - مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

**عنوان الكتاب :**

**تذكرة على متن التيتانيك ...**

**مستوحاة من سيرة الناجي المصري الوحيد**

**اسم المؤلفة : ياسمين سعد**

**إهداء**

**إلى أستاذ مكاوي سعيد..**

**حلمت كثيرًا بأن أصبح كاتبة إلى أن جئت فحملت قدمي، ثم وضعتها على أول الطريق الصحيح، لولاك ما كنتُ كتبت، ما كان اسمي أصبح على هذا الغلاف، وما كانت هذه الرواية.. أهديك روايتي، وأهديك كل ما هو قادم، وأتمنى أن أبيّض وجهك وأنتَ تنظر لي من سماء النعيم يا معلمي الحبيب.**

**إلى صديقي العزيز..**

**آسفة.. لأنني اقتبست بعض من روحك لكي أصنع منها شخصية "حمد"، أعلم أنه يتعذر علينا اللقاء على أرض الواقع، ولذلك قابلتك هنا مرات وأنا "ميرا"، وأنا "فاطمة"، ومرات وأنا "فاطيمة"، التي أخشى أن يكون لي نفس مصيرها الذي أودعته هنا.**

*******

**الفصل الأول**

**يجلس "حمد" على كرسيه المريح وبيده مشروبًا باردًا، كان يشاهد منظر البحر البديع، ويستمتع بأشعة الشمس التي حملت معها نسمات ربيعية لطيفة، التفتَ ليرى صديقته، وما إن نظر إليها حتى أصابه الهلع وقام مفزوعًا.**

**كانت صديقته الحسناء جُثَّة مهترئة، تملأها أعشاب البحر، ركض بعيدًا عنها، وكلما عدا خطوة كلما قابلته جثة مهترئة أخرى، كل منها لديها ملامح وجه يعرفه، هؤلاء كانوا أصدقاؤه قبل لحظات، والآن يركض خوفًا منهم.**

**شعر "حمد" بأرضية السفينة، تتفتت من تحت قدميه، تساقطت أخشابها الواحدة تلو الأخرى، حاول التشبث بأي شيء دون جدوى، ثم وجد نفسه طائرًا في الهواء باتجاه المحيط، حاول الصراخ فلم يصدر منه أي صوت، وفي اللحظة التي لامس الماء وجهه، استيقظ من نومه مفزوعًا!**

**تسارعت دقات قلبه بقوة، تحسس كل شبر في جسده، كان يطمئن**

فقط إلى أنه بخير، نظر حوله لا توجد جثث مهترئة، كان مجرد كابوس مزعج وانتهى.

لم يعلم أين هو ولم تسعفه ذاكرته بإجابة واضحة، توجه إلى النافذة الصغيرة، حاول التعرف على الشارع النظيف، والذي تظلله الأشجار على الجانبين، كان يشعر أنه في بلد أجنبي غريب عنه، لكنه لا يستطيع تبيّنه، نظر في أنحاء الغرفة لعلّه يجد شيئًا يرشده، لكن بلا فائدة.

ظل يفكر للحظات في التسلل من النافذة للهرب فَـ المجهول دائمًا مخيفًا ولكن الطرقات المفاجئة على باب الغرفة جعلته يؤجل ذلك قليلًا.

- أيمكنني الدخول يا حمد؟

تساءل في نفسه:"من هذه السيدة التي تطرق باب غرفتي؟".

ثم فتح الباب بهدوء وحذر.

ابتسمت السيدة ابتسامة واسعة، ثم دخلت وجلست بجانبه على الفراش، وسط ذهول من "حمد"، فهي سيدة من الواضح عليها أنها تكبره في العمر ولكن جمالها لا يضاهيه جمال الفتيات الصغار.

شعر بالحرج من ارتداءه لملابس النوم، بينما تجلس السيدة الجميلة أمامه بكامل أناقتها، لا بد وأنها تعرفه حق المعرفة لكي تجلس على فراشه بكل أريحية دون خجل، ولكنها بالتأكيد ليست قريبته لأنها تتحدث باللغة الإنجليزية، فهل هو في بلده وهذه السيدة هي ضيفته؟ أم أنه هو الضيف؟

ابتسامة السيدة الإنجليزية لم تغادر وجهها ولو للحظة واحدة والتي أشعرته بالطمأنينة، وهدّأت من طوفان الأسئلة التي تجول في عقله، جلس بجانبها على الفراش، ونظر إليها منتظرًا أن تفسّر له من هي؟ وما الذي يفعله في هذا المكان؟!.

- نسيتني مرة أخرى يا حمد، أليس كذلك؟

ابتسم ونظر إلى الأرض، ليس لأنه لا يستطيع التحدث بالإنجليزية كمثل السيدة الجميلة، فالكلمات تدور في رأسه، ولكنه شعر بالخجل لأنه فعلًا لا يتذكرها، ومن الواضح أنهما يعرفان بعضهما جيدًا.

قامت السيدة من الفراش وذهبت إلى الدولاب، فتحت الدرج السفليّ ثم جلبت منه بعض الأوراق الصغيرة، وجلست مرة أخرى بجانبه،

**أسندت رأسها على كتفه وبدأت في قراءة بعضًا من نصوص هذه الأوراق.**

**"اسمي حمد حسب، نحن في العام 1915 ميلادية وفي هذا العام سأبلغ من العمر ثلاثين عامًا بالتمام والكمال، أعيش في مانهاتن بولاية نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية."**

**رفعت السيدة رأسها عن كتف حمد ونظرت له والبسمة ما زالت تعتري وجهها الوضاح، فأكملت:**

**"أعيش في المنزل الذي تملكه ميرا"**

**نظرت إلى الأرض وزالت الابتسامة فجأة، لملمت بعضًا من الأوراق التي تطايرت..**

**"وزوجها مستر.. هنري هاربر".**

**قامت "ميرا" من الفراش، وأمسكت بيد "حمد" قائلة:**

**- لماذا لا نكمل حديثنا خلال تناول الفطور؟ سأعدّ لك البيض المقلي الذي تحبه.**

**ثم استرسلت:**

**- كم أحب تعليمك كل شيء من جديد، فرواية القصة من البداية يعطيني أمل في الحياة، أشعر بأنك ابني الذي أعلّمه الأبجديات، تتجدد معرفتك بي، وتتجدد المواقف والأحداث، أعيش معك حياة جديدة كل بضعة أشهر، كم أحب البدايات.. البدايات معك لا تنتهي".**

**رأى حمد فور نزوله إلى الطابق السفلي، صالون فخم يتوسط غرفة الجلوس يدل على مستوى أسرة فاحشة الثراء، أمامه مدفأة صغيرة معلّق فوقها صورة ميرا وبجانبها شخص ما.. لا بد أنه زوجها، حاول جاهدًا تذكر اسمه الذي سمعه منذ لحظات، ولكن دون جدوى، من الغريب أن ميرا لا تبتسم في الصورة مثل هذه الابتسامة الساحرة التي تضيء وجهها شديد البياض، وماذا كان اسم زوجها مرة أخرى؟ لم يتذكر حمد، لكنه ظل يتلفّت حوله ويكمل أسئلته وتخميناته التي انتهت بحقيقة واحدة مؤكدة، لا بد وأن أصحاب هذا المنزل أثرياء.**

**فتحت ميرا بابًا خشبيًا فخمًا أسفل درج الطابق العلوي، له مقبض ذهبي كبقية مقابض المنزل، وجد حمد نفسه داخل مطبخ كبير ممتلىء عن آخره بأدوات المطبخ والأواني الفاخرة النحاسية والذهبية، به نافذتين تطلان على الأشجار وعلى جزء من مدخل**

**المنزل.**

**أشارت إليه وإلى كرسي على طاولة الطعام فجلس حمد كما قالت:**

**- اجلس هنا حتى أقوم بتحضير الطعام، كما تعلم طعامي شهيّ جدًا، كلما تراني في نهاية كل أسبوع، تطلب مني طهي الوجبات التي تحبها.**

**أنهت حديثها ثم ضحكت.**

**أحضرت ميرا البيض، الطماطم، الفلفل، الطبق الكبير وبقية مكونات تحضير وجبة الإفطار ووضعتها على الطاولة، فأخذ يتأملها حمد جيدًا، إنه يتذكر هذا الشعر الذهبي القصير المموج، يتذكر هذا الفستان الفضي الفضفاض، كان يشعر بأنه يشاهد موقفًا قد حدث له من قبل، ربما عايشه في حلم ما.**

**- قلتِ أننا سنتحدث بالأسفل ولكنكِ لم تقولي أي شيء حتى الآن.**

**- أخيرًا تحدثت، هذه المرة صمت لمدة طويلة، ولكن لا بأس يا عزيزي، لا تخف أنتَ هنا بمنزلك.**

**استدارت ميرا لتضع البيض على النار وهي تكمل حديثها قائلة:**

**- أنتَ مصري، ولكنك تتحدث الإنجليزية، الفرنسية والألمانية أيضًا، كنت تعمل كمرشد سياحي بشركة "توماس كوك" للسياحة بمصر، تعرفت عليّ وزوجي هنري في إحدى المرات التي زورنا فيها القاهرة، كنا نزور مصر كل عام.**

**نظرت إلى حمد ثم استرسلت..**

**- كنت صديقًا عزيزًا علينا، لذلك عندما ماتا أبواك في حادث منذ ثلاث سنوات، عرضنا عليك الهجرة ونقل عملك من فرع شركة "توماس كوك" بالقاهرة إلى فرعها بأمريكا، وبالفعل هاجرت إلى هنا ومن يومها لم نعد إلى هناك أبدًا، لم يتبقى لك أحدًا هناك لتعود إليه.**

**ثم نظرت إليه مرة أخرى بابتسامة وعيون لامعة قائلة:**

**- ولا نحن أيضًا.**

**انتهت ميرا من إعداد الإفطار، وضعت طبق البيض أمام حمد، ثم جلست على الكرسي المقابل له، وتابعت حديثها، بينما بدأ هو بتناول الطعام..**

**- خلال إحدى الأيام عندما كنت تزور إحدى المزارات السياحية، وقعت**

من فوق صخرة عالية على رأسك، أصبت بمرض فقدان الذاكرة المؤقت، أنتَ لا تتذكر ما حدث في الماضي، ولكن لفترة معينة فقط، لا تتذكر ما حدث لك خلال السنوات الثلاث الماضية، ولكن تتذكر دون ذلك، في بعض الليالي تزورك بعض الكوابيس السيئة، فتستيقظ منها وأنتَ لا تتذكر أي شيء، ولكنها نوبات بسيطة، ستتذكرني بعد قليل بكل تأكيد، فنحن أصدقاء منذ زمن طويل، أنتَ لا تنساني أبدًا، ولا تنسى سلطة الفواكه التي أعدّها لك أيضًا.

شعر حمد بالاطمئنان، بالرغم من أنه لم يتذكر أي شيء مما قالته ميرا وذلك بسبب سردها للعديد من التفاصيل والمعلومات الشخصية الدقيقة، إنها تعلم عنه الكثير بحق، وهو يعيش بمنزلها لسنوات كما قالت ثم أنها قامت بإعداد الطعام له بيديها.. عيش وملح، لا أحد يكذب عندما يكون بينه وبين الطرف الآخر عيش وملح، فلا يوجد ضرر إذًا من الانتظار معها لبضع ساعات، حتى تنجلي هذه الغمامة، ويرى ما سيتذكره بعدها.

قامت ميرا من كرسيها لتحضر طبق الفاكهة، فتحت الثلاجة البنية الصغيرة الموجودة تحت إحدى النوافذ، والتي تطل على مدخل المنزل، رأت عبر النافذة سيدة متوسطة العمر فتحت الباب الأمامي ونظرت في ورقة صغيرة في يديها، ثم أكملت طريقها لتطرق على الباب الخلفيّ.

ارتبكت ميرا عندما رأت السيدة، واختفت الابتسامة الرقيقة، ليحل بدلًا منها رجفة خفيفة، أعادت طبق الفاكهة إلى الثلاجة مرة أخرى، ثم أمسكت بيد حمد وذهبت معه بسرعة خارج المطبخ قائلة:

- لقد رأيت من النافذة إحدى صديقاتي قادمة لزيارتي، كنت قد نسيت هذا الموعد، عندما تصاب بهذه النوبة ليس من الجيد أن ترى أي شخص حتى لا تتأثر ذاكرتك بمعلومات مشوّشة عن الأغراب، سأجلس أنا معها، واصعد أنتَ إلى غرفتك لتسترح، نم لبضع ساعات ستستيقظ من النوم وأنت تتذكر كل شيء، صدقني.

نظر حمد إليها متعجبًا من شدة ارتباكها، إنه بدأ يتذكرها بالفعل، العديد من المشاهد تتراءى أمام عينيه، ويراها خلالهم جميعًا، ولذلك هو يصدقها، ولكن لم هذا الهلع؟ هل حالته خطيرة إلى الحد الذي قد يجعل صديقته على وشك الانهيار من مجرد رؤيته لصديقتها؟

أمسكت ميرا بذراعيّ حمد عندما سمعت صوت الطرق على الباب قائلة:

**- اسمعني جيدًا يا عزيزي، عندما تعرضتَ لهذه النوبة مؤخرًا وجلست مع الأغراب، ظللت شهرًا لا تتذكر أي شيء، وعشت لفترة في عذاب نفسيّ وكوابيس لا تنتهي، أنتَ صديقي الوحيد، وأنا صديقتك الوحيدة وأريد فقط مصلحتك، أستأذنك أن تصعد إلى غرفتك وتغلق بابها جيدًا حتى لا تستمع إلى شيء قد يؤذيك، أطلب منك ذلك خوفًا عليك، فهل توافق؟**

**وضع حمد كفّه على وجهها البارد محاولًا تهدئتها قائلًا:**

**- لا تخافي بدأت أتذكر بعض الأشياء، أنا بخير الآن، وأعدكِ أنني سأغلق باب غرفتي، ولن أنزل إلى هنا إلا بعد مغادرة هذه السيدة، لا شيء يدعو للفزع، اطمئني.**

**نظرت ميرا إلى عينيه، بينما تلألأت عيناها بالدموع قائلة:**

**- حسنًا، أنا سعيدة لأنك بخير، سأصعد إليك بعد مغادرة هذه السيدة، لنتنزه قليلًا كما نفعل في أيام الأحاد.**

**ابتسم حمد ثم صعد إلى غرفته، وهو يتمنى من كل قلبه أن يكون حديث السيدة الأجنبية صحيحًا، سيجبر نفسه على النوم ليضع حدًا لهذا الكابوس، ربما عندما يستيقظ يتذكر بالفعل كل شيء.**

**ارتدت معطفها الأسود الطويل الذي كان مُعلقّا على الشماعة الخشبية بجانب باب المنزل، لتغطّي ذراعيها المكشوفان، وبابتسامة زائفة فتحت الباب قائلة:**

**- صباح الخير.**

**استقبلت ميرا الضيفة، وأجلستها على أريكة الصالون الفخم، وابتسمت الضيفة ابتسامة خجل حيث شعرت بأنه غير مرحّبًا بها، ثم وضعت حقيبتها السوداء على قدميها وظلت ممسكة بها وهي تنظر إلى الأرض، بينما جلست ميرا أمامها مستقيمة الظهر، مرفوعة الرأس، متأملة ملامحها التي يبدو عليها أنها ملامح شرق أوسطية، كما تأملت ملابسها التي لا يبدو عليها الثراء، معطفها البني الطويل الذي يغطي فستان بيج طويلًا أيضًا، وقبعتها البنية التي تغطي شعر مموج أسود اللون، هذه الألوان المتشابهة لا تبرز أبدًا جمال بشرتها القمحاوية وعيناها البنيتان.**

**مرت بضعة لحظات من الصمت، ثم قررت ميرا كسرها:**

**- قلتِ أن اسمك فاطيمة أليس كذلك؟ هل تقابلنا من قبل؟.**

اختفت الابتسامة الخجولة من على وجه فاطيمة، ثمَّ نظرت إلى ميرا في ذهول، قائلة:

- ألا تتذكرينني بالفعل؟ لا أتوقع أنه يمكن لإنسان أن ينسى شخصًا كاد أن يموت أمامه، كاد أن يغرق معه، اللحظات التي يرى فيها الإنسان الموت بعينيه لا يمكن نسيانها، أليس كذلك يا سيدة ميرا؟

كان قلب ميرا يرتجف، ولكنها تعلمت أن التحدث بثقة حتى وإن كانت مصطنعة، يضفي على الحديث المصداقية، حتى وإن كان حديثًا كاذبًا، ويضعف من ثقة الآخرين في أنفسهم حتى ولو كانوا على صواب، فالانتصار دائمًا يكون لمن يشعر الجميع بأنه شخص موثوقًا به، وليس لمن يترجى الجميع بأن يلاحظوا الحق الذي يقف بصفه.

قالت ميرا بثقة:

- لقد نسيتها بالفعل، الذكريات المؤلمة تقتل القلب، تمرض العقل، وتمتص الروح، إنها تميتنا ونحن أحياء، ولقد نجوت من الموت مرة، وبالطبع لا أريد العيش معه كل يوم، لا أريد تذكّر أي شيء من الماضي، لماذا ظهرت اليوم أمام باب منزلي الصيفي الذي لا يعلم عنوانه أحد بعد ثلاث سنوات من الحادث؟ ماذا تريدين منّي؟.

شعرت فاطيمة بالغضب يتخللها، ونفرت عروقها الشامية، مُحدثة نفسها..

"كيف تهينني هذه السيدة الأجنبية المتعجرفة وأنا في منزلها؟ كيف تشعرني بأنني أقل منها وجئت إليها لطلب المساعدة؟! من الواضح أنها متعالية كما هي عادتها وكما كانت تفعل منذ ثلاث سنوات."

حاولت فاطيمة أن تسيطر على غضبها الذي يسبب لها المشكلات، خاصة وأن هدفها من الزيارة أكبر من أن تضيّعه بعصبيتها الزائدة، فمن الواضح أن الغرق والموت لم يكسرا أنف ميرا، والمرأة التي لا تنكسر يجب أن نتعامل معها بحذر لا بكبرياء.

قالت بلطف مصطنع:

- لا أريد منك شيئًا، أبحث عن حمد، وأعلم كم كنتما مقربان من بعضكما، لقد تزوجت بعد الحادث بفترة قليلة وانشغلت كثيرًا، ولكنني حصلت على الطلاق مؤخرًا وأصبحت حرة، فأردت مراسلته على عنوانه في مصر ولكنني لا أعلمه، أريد الاطمئنان على صحته، والتأكد من أنه تماثل للشفاء، آخر مرة كنت هنا، كنت أحاول رؤيته وحينها أخبرتني أن الأطباء قد منعوا عنه الزيارة تمنيت وقتها لو قضيت معه

مدة أطول.

توقفت عن الحديث للحظات وقد اعتلت الحمرة وجهها..

- ولكنكِ تعلمين.. كيف أنني اضطررت للرحيل رغمًا عني؟.

شردت ميرا قليلًا وهي تفكر بينها وبين نفسها قائلة..

" الآن وضح كل شيء، الحب الذي ظننت أنني تخلصت منه منذ سنوات عاد ليطاردني من جديد، حقًا إن الحب لا يعرف الزمن، لا تستطيع قتله والمضي قدمًا فهو مراوغ، عندما تهم بقتله يستسلم لا يختبئ ولا يتحرك، تظن أنك نلت منه وتحتفل بوداعه، ولكنه يعود ليظهر من جديد ويفاجئك في شدة غفلتك، بل إنه يصبح أقوى ويتشبث بك حتى لو أنقطعت كل السُبل المواتية له، كما فعلت فاطيمة، وكما فعلت.. أنا، لكن هيهات أن أجعل فاطيمة تصل لـ "حمد"، لقد حصلت على الطلاق وجاءت لتبحث عنه وهي كما قالت "حرّة"، بعكسي ما زالت مسجونة في القفص الذهبي فالمنافسة غير متكافئة، ولن أدخل في معركة لا أملك فيها أي سلاح".

ثم التفتت إلى فاطيمة وقالت بعجرفة:

- لم تجيبيني حتى الآن، كيف علمت عنوان منزلي الصيفي؟

- ذهبت إلى دار النشر عند مستر هاربر، قابلته ورحّب بي كثيرًا، وسألته عن عنوان حمد بمصر، ولكنه أعطاني عنوان المنزل هنا وقال لي أنكِ ستخبريني بكل شيء أريد معرفته، فجئت إليكِ فورًا.

جن جنون ميرا بعدما شعرت أن فاطيمة  هي نذير الشؤم الذي كانت تنتظره كل يوم ليكشف ما تخفيه، ستظل تبحث وتبحث حتى تعلم الحقيقة وإذا لم تعلم منها شيئًا، فمثلما ذهبت إلى هنري مرة ستذهب إليه مرة أخرى، الأفضل التخلص منها نهائيًا والآن.. حالًا.

وقفت ميرا معلنة انتهاء الزيارة قائلة بلطف مصطنع:

- أقدّر مشاعركِ الرقيقة، آخر ما سمعته عن حمد هو أنه بخير، وللأسف لا أعلم عنوانه في مصر، انقطعت أخباره بعد الحادث؛ يبدو أنه أراد أن يقطع كل صلته بالماضي كما فعلت أنا، وأنصحكِ أن تفعلي مثلنا، أعتذر منكِ بشدة، فاليوم لديّ مواعيد كثيرة، ولم أكن أعلم أنكِ قادمة.

ابتسمت فاطيمة ابتسامة ساخرة، فقد علمت أن ميرا تكذب، إنها ليست متعجرفة، هي فقط تخبيء خوفها داخل قناع من زيف، لا بد من

أنها تخفي أمر ما ولا تريدها أن تعلمه، لا يهم الآن ما هو، بل المهم أن الأدوار تبدّلت، انظري يا ميرا من لديه الثقة الآن؟

وضعت فاطيمة حقيبتها على الطاولة الخشبية الصغيرة الموجودة أمامها وعدّلت من وضعيتها لتجلس بأريحية على الأريكة قائلة:

- ولكن مستر هاربر قال لي أن حمد موجودًا هنا، وأنه سمح له بالعيش بالمنزل الصيفيّ منذ الحادث، فهو لم يعد إلى مصر منذ ثلاث سنوات؛ ولهذا جئت مسرعة، كيف يعيش حمد هنا ويترك عائلته في مصر وحدها؟ إنه لا يتصرف مثل هذه التصرفات، ما الذي حدث له؟ هل ما زال مريضًا؟ ولماذا تخفي عنّي وجوده هنا بالمنزل؟.

ارتبكت ميرا واختلست نظرة إلى الطابق العلويّ ثم نظرت إلى فاطيمة بغضب محاولة أن تنهي هذا اللقاء قبل أن يعلم حمد بوجود هذه المرأة في المنزل، فقالت بحدة:

- قلت لكِ لديّ مواعيد هامة، أذهبي الآن ولا تعودي إلى هنا أبدًا، وإلا ستكون العواقب وخيمة، ولن تستطيعي تحمّلها أيتها العربية السخيفة.

انتفخت العروق في وجه فاطيمة، ووصلت عصبيتها للذروة، فوقفت وقالت بتحدٍّ:

- أنقذ حمد حياتي من قبل وسأنقذ حياته الآن، لن أرحل من هنا قبل أن أتحدث معه، سأبحث عنه في جميع أرجاء المنزل، وسأنادي عليه حتى يجيب، يا حمـد...

ركضت ميرا بكل خوف ثم وضعت يداها على فم فاطيمة حتى لا يسمعها حمد، مرت ثوان أدركت أنها تخنقها فارتبكت، وتراجعت مسرعة إلى الوراء وهي تضع ذراعيها بجانبها، قائلة:

- ليس من شأنكِ أن تتدخلي في حياتي الشخصية، ولا في حياة حمد، من أنتِ لتعلمي ما هو الأصلح له؟ من أنتِ لكي تنقذيه؟ سبق وأن أنقذته أنا، لقد قدمت له كل شيء، الأموال، الوظيفة، والحياة في رغد كما ترين، فاختار أن يبقى معي بكامل إرادته بعد أن شفي من مرضه، ولكن أنتِ لماذا جئتِ إلى هنا؟ هل لأنكِ حصلتِ على الطلاق؟ هل جئتِ لتتزوجيه؟ أتحبينه؟.

- تغارين عليه؟ هل أبقيتيه هنا لأنكِ ما زلت تحبينه؟ أنسيتيه فاطمة، وأنسيتيه ابنه؟

- لقد تجاوزت جميع الحدود، هذا الحديث السخيف لا يصدر إلا من

**شخصية جاهلة مثلكِ، لقد رأيت أبناء عمومتكِ وهم يُقتلون رميًا بالرصاص أمامنا لا أعلم لماذا لم يتركككِ حمد معهم؟ أنا متزوجة من رجل أمريكي ثري لا تحلمين بالاقتراب منه، لدي كل شيء وأنتِ ليس لديكِ أي شيء، فانتبهي لحديثك جيدًا.**

**اقتربت فاطيمة من ميرا حتى أصبح وجههما شبه متلاصق، قائلة:**

**- أنا أعلم كل شيء عنكما، أرى علامات الخوف قد احتلت وجهك، نعم مخاوفكِ في محلها، لقد روى لي حمد كل شيء عنكِ، وكأنه شعر أنه في يوم ما سيحتاج لمن ينقذه.**

**ثم سارت ببطء وعادت لتجلس مرة أخرى في مكانها السابق على الأريكة، ثم وضعت قدم فوق قدم وقالت بابتسامة..**

**- اتضح في النهاية أنكِ لست الصديقة الوحيدة التي يأتمنها على أسراره.**

**شعرت ميرا بانقباضة في قلبها، وبدأت تسري برودة خفيفة في أطرافها، وانتابها دوار جعلها تجلس بهدوء يسكنه الخوف على الكرسي المقابل لـ فاطيمة.**

**- ماذا قال لكِ؟.**

**أسندت فاطيمة ظهرها على الأريكة وابتسمت، ثم قالت:**

**- قال لي من الذي بدأ كل شيء، ومن الذي وسوس له بالسفر حتى وافق ووجد نفسه يواجه الموت، لقد بدأ كل شيء في مصر، خلال الزيارة التي سبقت الحادث.**

**بدأت فاطيمة في النبش فيما مضى، قائلة:**

**- هذا ليس مؤشرًا جيدًا.**

**شعرت ميرا بأنها لا بد وأن تُحبط محاولاتها في التحدث عن الماضي سريعًا، فقالت:**

**- لا شيء جيد يحدث عندما نتحدث عنه، خاصة إذا كان الحاضر مبنيًا على ماضٍ مصنوع من ريش نعام، له شكل يمتع النظر، ولكنه سيتطاير فيَ الهواء من أول نبشة يا فاطيمة.**

**أشاحت بنظرها وهي تتمتم:**

**" سيسقط منزلك الهش فوق رأسكِ يا ميرا."**

**أغمضت عيناها في محاولة لمحو الذكريات التي يضخها عقلها ثم**

**قالت بصوت مهزوم:**

**- لقد سافر معنا بإرادته، فلا يوجد شيئًا للحكي، ولا أريد أن أسمعكِ.**

**ابتسمت فاطيمة، قائلة:**

**- ستستمعين إلى كل ما فعلتيه، وسأروي لكِ ما قاله لي حمد عن زيارتكِ الأخيرة له.**

**نظرت إليها بخبث وأكملت:**

**- أقصد لمصر، ولكن ستطول الحكاية، أستأذنكِ أن تعدّي لي قدحًا من القهوة، أفضلها سادة يا ميرا.**

***********

## الفصل الثاني

**شعاع أصفر برّاق تلألأ تحت الرمال بسبب أشعة الشمس، رأته ميرا وسط الحشد الذي كان يرافقها، فتراجعت بضع خطوات للخلف، وقالت لزوجها هنري:**

**- اذهب أنت مع المرشد السياحي، أشعر بتعب في قدماي، سأستريح هنا على هذه الصخرة، ثم سألحق بكما.**

**ذهب زوجها وتسمّر في مكانه مثلما تسمّر بقية الفوج السياحي لشدة اندهاشهم من عظمة الهرم الأكبر، فسارت هي ببطء نحو الشعاع الأصفر، ثم جلست القرفصاء، وأزاحت الرمال بيديها لتجد تمثالًا فرعونيًا ذهبيًا صغيرًا فأخذته بسرعة وقبل أن تضعه في حقيبتها، وجدت يدًا فوق يدها لشخص يقول:**

**- هذا التمثال لا يخصكِ، إنه مصري وسيبقى هنا في موطنه.**

**قالت ميرا بعجرفة:**

**- استمع إليَّ أيها الشاب، سأدفع لك ما تريد مقابل أن تترك لي**

**التمثال.**

**- اسمي حمد، لقد قُلت اسمي منذ بداية الرحلة إلى الآن حوالي ثلاث مرات، وما زلتِ لا تتذكرينه؟ كما أنكِ تريدين أن تحصلي على تمثال مصري؟ بأي حق؟ أتظنون في بلادكم أن الحصول على كل شيء مصريًّا بوضع اليد أمرًا طبيعيًّا؟**

**- كيف تجرؤ على محادثتي بهذا الشكل؟ ألا تعلم من أنا ومن زوجي؟ ولم أنتَ غاضبٌ إلى هذا الحد؟ مشكلتكم أيها المصريين تكمن مع السياسيين، وأنا مجرد سائحة، تشاجر مع من أخذ منك بلدك، لا مع من سيدفع لك المال مقابل تمثال صغير، ستبيعه أنتَ إلى أي شخص آجلًا أم عاجلًا بثمن بخس.**

*** * ***

**عام 1909م..**

**استشاط حمد غضبًا من حديث السيدة الأجنبية، ففي ذلك الوقت كانت البلاد ما زالت في حالة غضب شديدة، فلم يمر سوى ثلاث سنوات فقط على حادثة الدنشواي، والشارع المصري كان يكره الأجانب بشدة، فلا يوجد أمانًا للمصريين وسط بلادهم، ولا توجد أموال كافية لأن يعيش أي شخص حياة كريمة.**

**قرر كل مصري وقتها أن يدافع عن بلاده على طريقته الخاصة، فالبعض انضم للعمليات الفدائية لكي يستطيع أن يقبض روح أي إنجليزي يستطيع أن يقتله ليشفي غليله من دنشواي، والبعض الآخر ابتعد عن ساحة القتال وشغل نفسه بتعليم الأجيال الجديدة معنى الوطن لكي يربي جيلًا يقول "لا للاحتلال" خاصة بعد تأثرهم بوجود "سعد زغلول" بوزارة المعارف، أما حمد فقد اختار أن يتعلم اللغات لكي يتحدث بها مع الأجانب ليشرح لهم عظمة التاريخ والآثار المصرية ويؤكد لهم أن مصر ستقف شامخة رغم أنف المعتدين.**

**وجد حمد خلال جولاته مع السائحين بالهرم، العديد من التماثيل الفرعونية وسط الرمال، فكان يخبئهم في منزله؛ حفاظًا عليهم وحتى لا يأخذهم الإنجليز والأمريكان كما يفعلون في كل مرة، وهم في طريق العودة إلى بلادهم، حيث كانت الآثار في ذلك الوقت بلا مراقبة وتعتبر ملكًا لمن يجدها أولًا.**

كان يشعر حمد بالضيق من معاملة الأجانب العنصرية مع المصريين والعرب بشكل عام، وقد قطع وعدًا على نفسه ألا يسمح لأحد بأن يعامله بدونية أبدًا، ولهذا كان يعامل الأجانب الند بالند، فالبعض كان يقاطعه والبعض الآخر كان يجد فيه صديق مصري قوي الشخصية، فاستطاع تكوين صداقات مع العديدين دون أن يخسر كرامته.

أما ميرا هاربر وزوجها الناشر الأمريكي المعروف هنري سليبر هاربر بعد سنوات عديدة من الزواج دون إنجاب قررا السفر في كل دول العالم حتى لا يشعران بالملل من حياتهما في منزلهما الكبير وحدهما، وفي أول زيارة لهما لمصر شاء القدر أن يتعرف على حمد.

قال حمد لـ ميرا بصوت عالٍ:

- تأتين إلى بلادي، وتريدين أن تحصلي على تمثال ليس من حقكِ، وتتحدثين معي بكل عنجهية، أنا أقدم لكِ خدمة، أعرفك على بلادي، ولست خادم لكِ في قصرك الكبير، ولا أقبل أن تعامليني إلا بكل احترام.

ابتسمت ميرا، قائلة:

- لديك ثقة كبيرة بنفسك لتتحدث بهذه الجرأة دون خوف، خاصة في هذا العمر الصغير!.

رد حمد:

- لست صغيرًا عمري أربعة وعشرون عامًا.

- صغيرًا جدًا يا حمد، سأترك لك التمثال فأنتَ تستحقه فهو ملك لبلادك ومعك حق لا يجب أن يعاملك أحد بعنجهية، وأتمنى أن تصبح مصر بحال أفضل قريبًا، أتقبل دعوتي على العشاء؟

تعجب حمد من تغيّر لهجة ميرا معه، فقد اختفى كبريائها في لحظة وتحول إلى لطف شديد، لازمته طوال الرحلة وكانت تستمع إلى حديثه بانتباه، كما أنها عرّفته بزوجها ودعته لأن يخصص لهما برنامجًا خاصًا لزيارة الأماكن السياحية وحدهما، وقد قبل حمد.

يومًا بعد يوم كانت تتقرب ميرا من حمد أكثر فأكثر، فهو كان حنونًا، يعلم كيف يعامل الأنثى؟ وفي نفس الوقت يجعلها تخشاه، يضع في قلبها رغبة عجيبة لطاعته، كما أنها وجدت منه اهتمامًا كبيرًا قد افتقدته منذ سنوات.

أصبح حمد الصديق المقرّب لعائلة هنري، فأصبحت زياراتهم لمصر

دائمة وأصبح هو ترجمانهم الخاص الوحيد، كان يدعوهم إلى منزله دائمًا، وكانَ يتقبلان الدعوة بصدر رحب دون التأفف من الجلوس في منزل مصري عربي فقير.

مرت أربعة سنوات، وكانت زيارات ميرا وهنري إلى القاهرة تزداد والود بين الأصدقاء يزدهر خاصة بعد هدوء الأحوال السياسية في مصر إلى حد ما في عام 1912م، فأصبح الجميع يتصرف على سجيته، هنري وميرا لا يتصرفان بعنجهية الأجانب مع أحد، وحمد يتعامل كندًا لهم طوال الوقت.

قال حمد وهو يساعد ميرا على النزول من فوق ظهر الحصان:

- أصبحتِ ماهرة في ركوب الخيل يا ميرا، تركبين الخيل أفضل من رجال كثيرين.

ابتسمت ميرا، حتى قالت:

- لست أفضل منك، ولن أكون يومًا.

لم يكن حمد حسب بريّك شابًا عاديًا كبقية الشباب المصري في ذلك الوقت، فبعد تخرجه وحصوله على العالمية، أصبح يفضل ارتداء العباءة التي تشبه الملابس الأزهرية، خاصة بعد حصوله على شهادة تؤكد نسبه إلى الأشراف، وبالرغم من ذلك كان يميل في بعض الأوقات إلى التحرر من كل شيء، فيرتدي الملابس ذات الذوق الأجنبي التي تتماشى مع مهنته التي اختارها بنفسه، مرشدًا سياحيًّا بشركة "توماس كوك" فرع القاهرة حيث قام بتعليم نفسه بنفسه اللغات "الإنجليزية، الألمانية، والفرنسية" وكان يتحدثهم بطلاقة.

عندما كان يرتدي العباءة كان يلقبّه الناس بـ"شيخ العرب، وعندما كان يرتدي الملابس الأجنبية التي تظهر لون عينيه الزرقاوين ووجهه شديد البياض وشعره الأسود حتى أن بعضهم لم يكن يعرف أنه مصريًّا إلا بعد تعامله معهم، وهو ما جعل الكثير من السيدات الأجنبيات تصادقه، بل ويُعجبن به أحيانًا، فهو الشاب المصري المتدين "الحمش" كما تقلن، ولكن بثقافة وعقل أوروبي متحرر إنه الممنوع المرغوب، السهل الممتنع.

- ميرا قلت لكِ ألّا تسيرين بمفردكِ في هذه المنطقة، ذهبت فقط لدقيقتين أضع فيهما الحصان بالأسطبل، وعدت ولم أجدكِ، لماذا لا تسمعين الكلام؟.

كان حمد يشعر دائمًا بأنه رجلًا قويًا يحمي الجميع، ولا يوجد أحد لا

**يعيش تحت ظله فهو ولي الأمر، والبقية مسؤولين منه، هو الأعلم والأجدر بأن يتبّع، ولذلك كلمته هي الأولى، فبالرغم من حنانه وعطفه الشديد خاصة مع النساء لكنه يعلم بأن لهن طبيعة خاصة يجب أن يحترمها، كان مثالًا للرجل الشرقي بامتياز، لا يقول كلمته مرتين، الكل عليه أن ينفذ أوامره.**

**ضحكت ميرا ونظرت إلى عينيه قائلة:**

**- هل تخاف عليّ يا حمد؟**

**- ذهبَ هنري ليشتري السجائر وترككِ أمانة لديّ، وعندما جئنا لركوب الخيل في بركة السمان كما طلبتِ، حذرتكِ من أن المكان قد يكون غير آمن، ماذا لو قرصكِ ثعبان؟ أو رأيت إحدى العقارب؟**

**ثم ضحك ضحكة مطولة، ثم أردف:**

**- أتذكرين العام الماضي عندما وجدت تمثال فرعوني صغير في الرمال، ثم رأيت إحدى العقارب بجانبه، وتركتِ هنري للعقرب وارتميتِ بين ذراعيّ وأنتِ ترطنين الإنجليزية قائلة "أنقذني يا حمد إنها لعنة الفراعنة" كنتِ خائفة جدًا؟**

**قامت ميرا بضربه على ذراعه ضربة خفيفة، قائلة:**

**- لم أكن خائفة لهذا الحد، أنا ذهبت إليكَ فقط لأنني أعلم أن هنري يخاف من العقارب فلن ينفعني وجوده في شيء، ثم إنني علمت أنه عقرب صغير منذ البداية!.**

**- لماذا إذًا ارتميتِ بين ذراعيّ من الخوف، إن لم تكوني قد ظننتِ وقتها أن العقرب هو لعنة الفراعنة؟.**

**اقتربت ميرا بخفة من حمد لتقضي على آخر خطوة تفصل بينهما ثم نظرت إلى عينيه قائلة بابتسامة:**

**- لأنني أردت ذلك يا حمد.**

**ساد الصمت للحظات، وسط ابتسامة وثقة من ميرا، وذهول من حمد قبل أن يقطع هنري هذا الصمت.**

**- أعطيت طفلًا صغيرًا دولارًا فأحضر لي علبتيّ سجائر، كم أحب المجيء إلى مصر! لا أفعل أي شيء أبدًا فقط أستمتع قدر الإمكان، والآن هلا ذهبنا يا حمد؟ حان موعد الغداء هذه أول مرة نزورك فيها بعد أن أصبحت زوجًا، متأكد أن الطعام الذي قامت فاطمة بطهيه لنا سيكون شهيا.**

لم يؤثر حديث هنري في نظرات حمد وميرا التي لم يوقفها شيء سوى هذا الاسم فاطمة عندما ذكر هنري اسمها نظرت ميرا بغضب إلى زوجها، بينما نظر حمد إلى الأرض وكأنه عثر على شيء كان يبحث عنه لينقذه من هذه اللحظة التي لم يكن ينبغي لها أن تحدث، ويمنعه من طرح أسئلة من المؤكد أنه سيندم على طرحها.

- أوصيتها بأن تعدّ لنا اللحم والفطير الحلو والحادق، لا تقلق يا مستر هنري ستأكل وجبة لم تتذوق مثلها من قبل.

اقتربت ميرا من زوجها هنري وتأبطت ذراعه وكأنها كادت أن توجه لكمة لشخص تتشاجر معه، ثم قالت:

- العروس الجديدة طاهية ماهرة إذًا؟

- نعم، إنها تَعد لي أشهى الأطباق التي أحبها، حتى أصبحت مدمنًا لطعامها.

شعرت ميرا بغصة تحتل قلبها، فنظرت إلى هنري وهي تحاول أن تسيطر على مشاعرها قائلة:

- حبيبي، سأسبقك إلى الأوتوموبيل، وجهي احترق من الشمس الجو دائمًا في مصر شديد الحرارة يجعلني متقلبة المزاج.

ثم نظرت إلى حمد وأكملت حديثها:

- دائمًا ما أنسى ذلك عندما أقرر السفر إلى هنا.

نظر إليها حمد، قائلًا:

- ولكنكِ تعودين دائمًا!.

ضحك "هنري" حتى قال:

- السيدات.. آهٍ من السيدات!.

لم تكن ميرا قاسية القلب، ولم تكن لينة.. سهلة أيضًا، كانت بينَ بينْ، عاشت حياة الرفاهية في بيت والديها الأثرياء وعندما أحبت قبل أن تتم العشرين من عمرها، وتزوجت حبيبها الثري الوسيم هنري المال، النفوذ، الجمال، الحب، مقومات الجنة على الأرض، وحصلت عليهم جميعًا، فكانت تضحك طوال الوقت، ترقص، تلعب، تصافح الجميع، تحتضنهم، من يعيش بالجنة، كيف له أن يعلم أن الحياة على الأرض ليست وردية؟

هبطت ميرا من جنتها إلى الأرض عندما علمت بأنها لن تصبح أمًّا أبدًا،

**وانتقلت من الجلوس على كرسيّ الملكة التي ينظر إليها الجميع نظرات الحسد على حياتها التي تشبه قصص الأميرات الخيالية إلى الجلوس على كرسيّ عاديّ وسط الحشود لتختبىء من نظرات شفقة المجتمع "الرأس مالي" التي تحاوطها من كل جانب، هذه النظرات جرحت قلبها جرحًا كبيرًا، وبالرغم من الوجع فإنها كانت على يقين بأنها ستتداوى في حضن زوجها فكلما خرجت من المنزل وتابعتها نظرات الشفقة كانت تذكِّر نفسها بأن عليها فقط أن تتحمل الألم مسافة الطريق، فالخلاص ينتظرها في المنزل.. الحب ينتظرها في المنزل.**

**رمت ميرا الحقيبة والقبعة فور وصولها إلى منزلها، وأسرعت إلى هنري فاحتضنته وعيناها تدمعان، ولكن وقتها شعرت بارتطام قوي، وكأنها اصطدمت بجبل، هذا ليس حضن زوجها.. انزعجت وابتعدت عنه بهدوء ثم نظرت إلى عينيه باندهاش وهي تبحث خلالهما عن زوجها الذي رحل وتركها هنا مع هذا الغريب، ما هذا الشعور السخيف؟.. إنها تشعر بالخوف، الغربة، البرد؛ قررت ألا تبكي، حبست دموعها تمامًا، لملمت حقيبتها وقبعتها من الأرض وخرجت من الغرفة دون أن تنطق بكلمة واحدة.. ولم يتحدث هنري أيضًا.**

**عام بعد عام، كان يزداد شعورها بأن هنري يلومها على بقاءه معها، وهي التي لا تنجب حتى وإن لم يقل ذلك من خلال الكلمات، لكنها كانت تشعر بالضيق كلما نظر إليها، التضحية من أجل الحبيب لا يصاحبها اللوم، وقتها تتحول إلى ذل لا يرحم تمنت في كثيرٍ من الأوقات لو طلقها هنري عندما علم بالخبر، ربما كان سيصبح سعيدًا مع امرأة أخرى غيرها، ويرزق بوريث من صلبه لعائلة هاربر وربما عثرت هي على حب يكملها بعد أن شعرت بأنها سيدة ناقصة، فزوجها لا يراها مكتملة الأنوثة.**

**كانت ميرا تشعر بالغضب من هنري كلما فكّرت بأنه هناك العديد من الاحتمالات التي كانت ستحدث لو أفصح لها عمّا يتخبط بقلبه من مشاعر، بدلًا من أن يحرص على الظهور أمام الجميع بمظهر النبيل، كل ذلك فرض عليها احتمالًا واحدًا أن تعيش مع التضحية المغلّفة بالذل، فكيف لها أن تتركه بعد ما فعله أمام الناس؟ لا يوجد مبرر أمام المجتمع "الرأس مالي" للطلاق، لا تستطيع أن تعيش وسط نظرات الشفقة لأنها بلا ولد، ثم بلا زوج، وبلا مال، وبلا قلب، لأنها تركت زوجها المُحب من وجهة نظرهم.**

**وإذا انتابتها لحظة جرأة لترك زوجها كانت تتلاشى كلما كبرت في العمر، لمن ستذهب؟ لذلك لم يكن لديها مشكلة في الاستمرار بزيجة**

من وجهة نظرها بلا حب، ولكنها قررت أن تبحث لقلبها عن شيء يسعده، عن ابن يسعده، عن رجل يسعده، أي شيء يعيد له الحياة، ولا يهم الثمن، فـ "ميرا" تستحق أن تحصل على السعادة، مثلما يحصل هنري على سعادته من المجد والمديح على نبله ونجاحه في عمله ومنزلته من الجميع.

* * *

استقل حمد سيارته ليوصل الزوجين إلى العزومة الفخمة بمنزله الكبير بالهرم، والذي اختار أن يتزوج فيه ليكون قريبًا من عمله ببركة السمان حيثُ الأحصنة التي يؤجرها للسياح وتدرّ له دخلًا جيدًا بجانب عمله كترجمان، كل ذلك يوفر له المال اللازم لرعاية أسرته الجديدة بالإضافة لتوفير المال اللازم لجوالاته في الخارج والتي لا تنتهي.

خمس دقائق من بركة السمان إلى منزل حمد بالهرم بـ"كفر مشكي"، لم تبعد فيهم ميرا الجالسة في المقعد الخلفي بالسيارة عينيها عن المرآة، التي ينظر إليها حمد بين حين وآخر لمراقبة الطريق، ولم يكف فيهم هنري عن الحديث عن أحدث الكتب التي نشرتها شركته خلال العام الماضي.

قال هنري ضاحكًا:

- هل تتمرنين على إذابة المرآة بعينيكِ؟

فردت ميرا:

- ليتني أمتلك قوة خارقة كي أذيب عقلك فتصبح تائهًا بدوني وتنتهي من ثرثرتك الدائمة حول الكتب ودور النشر، لا نعيش على صفحات الكتب يا هنري نحن نعيش على أرض الواقع.

ابتسم حمد قائلًا:

- لا أجد شيئًا أقوله سوى ما قلته أنت منذ قليل آه من السيدات، دائمًا يردن إفساد عقول الرجال، لكي يجعلوننا نتصرف دون حكمة، الذي يُفرق الرجل عن المرأة هو استخدام الرجل لعقله، أما المرأة فتهرول وراء قلبها الذي يجري مثل قط ملهوف على صاحبه، جراء أي كلمة لطيفة، ليكتشف في نهاية الطريق أنه سيقابل عقل رجل واعٍ، وليس قلبًا مثله مثلما كان يتعشم.

نظرت إليه ميرا وقالت:

- من قال لك يا حمد أن كل الرجال يفكرون بعقولهم ويحبون بها؟ لو

أستطيع إذابة الأشياء كنت سأذيب قلبك وليس عقلك، أنت تفكر بقلبك أيضًا، أنتَ طفل كبير مدلل، ولكنك لا تعلم ذلك، وهذا أفضل ما فيك.

وصل الأصدقاء إلى المنزل، دق حمد على الباب ثلاث دقات صغيرة، فتحت "فاطمة كاتوخدة الخربوطلي" سليلة الأشراف، الفتاة القصيرة الممتلئة، قمحية الوجه، سوداء الشعر والعينين، والأهم من كل ذلك، السيدة الوحيدة التي استطاعت الدخول إلى قلب حمد.

لم تتجمل فاطمة، ولم تلبس القصير وتضع مساحيق التجميل كما تفعل البنات لكي تلفت انتباه من تحب، بالرغم من أنها كانت تحب حمد قبل حتى أن تراه، فعندما سمعت أن عائلة "بريّك" تريد أن تناسبهم وعلمت أن حمد هو من عليه العين، كانت تسأل عنه والدتها، ويتسامران كل ليلة بشأنه، فكانت تصف لها والدتها طوله وعرضه كما أخبرها زوجها، وتروي لها الحكايات عن شهامته، وأدبه، كيف يحترمه الجميع ويخشونه أيضا؟! وحذرّتها من عصبيته إن لم تطع أوامره؛ لأن طاعتها لزوجها تنمّ عن حسن تربيتها في بيت والدها، كما نبهّتها على خدمته ومراعاة احتياجاته ووضعها فوق احتياجاتها لأنه رجُلها، وقد خلق الله المرأة لخدمة زوجها وأبناءها ومنزلها ومن تؤدي دورها كما هو مطلوب منها لها الجنة كما وعد الله.

هذا ما تعلّمته فاطمة من والدتها، وما أرادت أن تنفذه بالضبط وحكته كاملًا لـحمد دون أن تستطيع إخفاء فرحتها العارمة، وخجلها في نفس الوقت خلال حديثها معه لأول مرة وحدهما بعد خطبتهما، وذلك حين سمح والدها بأن يجلسا معًا سويًا بعد الخطبة، ولم تصمت فاطمة خلال تواجدهما معًا ولو للحظة، كانت الكلمات تتسارع على شفتيها حتى تستطيع أن تقول جميع ما يدور في قلبها قبل أن يأتي موعد رحيل فارس أحلامها الوسيم، والتي كانت تحسد نفسها عليه؛ فخبر خِطبتها كان حديث جميع الجارات، هنيئًا لها ستتزوج ابن "بريّك" الذي سافر بلاد أوروبا صاحب العينان الزرقاوان الذي يتحدث مع الأجنبيات طوال اليوم، ولكنه اختارها هي بالذات لأنها الأجمل.

بعدما سمع حمد حديث فاطمة تأكد أن اختياره صحيح، هو مثل جميع الرجال، يحب أن يتحدث ويمزح مع السيدات المثقفات خارج المنزل، ولكن بداخل منزله، لا يعلو صوت فوق صوته، فهنيئًا له وجد زوجته المثالية.

* * *

طبع حمد قبلة على جبين فاطمة، ثم أمسك يدها وجعلها تدور في بهو

**المنزل مرتين قائلًا:**

**- ما هذا الفستان الجديد؟ إنه رائع.**

**ابتسمت فاطمة بخجل ونظرت إلى الأرض بعدما احمرّت وجنتيها، أمسكت الفستان بكفّيها الصغيرين وكأنها تتشبث به، قائلة:**

**- فكرت في ارتداء ملابس جديدة بمناسبة العزومة الكبيرة، فهذه أول مرة يزورنا فيها أصدقائك.**

**ثم ضحكت بخفوت وأكملت:**

**- بعد الزواج.**

**دخل هنري إلى المنزل قائلًا:**

**- ستتغزّل بزوجتك يا حمد وتتركنا خارجًا؟.**

**ضحك حمد:**

**-لا مؤاخذة يا خواجة، تفضل.**

**انتظرت ميرا في الخارج لدقائق، ثم دخلت إلى المنزل، وخلعت معطفها وأعطته لـ "فاطمة"، قائلة:**

**- "Congartulations"**

**ثم تركتها وذهبت لتجلس في غرفة الجلوس، فترجم حمد، مترجمًا:**

**- بتقول لك مبروك.**

**ابتسمت فاطمة قائلة الكلمة التي تتدرب عليها منذ الصباح، لتقول:**

**- "Welcome".**

**ذهب حمد للجلوس مع ضيفيه بغرفة الجلوس، بينما وضعت فاطمة معطف ميرا في غرفتها ودخلت المطبخ لإعداد الطعام.**

**سمعت فاطمة صوت الضيوف من المطبخ، ولكنها سمعت صوت شخصان فقط، وليس ثلاثة كما المتوقع أن تسمع زوجها، وميرا... لم تفهم الكلمات، ولكن كان يكفيها صوت الضحكات العالية، كي تشعر بالغيرة من السيدة الأجنبية التي لم ترتاح لنظرتها المتعالية لها عندما ولجت منزلها، لقد أكرمتها ورحبت بها فلماذا تنظر إليها هذه النظرة وتضحك مع زوجها بهذا الشكل؟**

**"لم يعلو صوت ضحكتي في منزلي، مثلما علا صوت ضحك السيدة الأجنبية"**

**قالتها فاطمة محدثة نفسها بغضب، ثم صاحت:**

**- حمد، تعال أحضر معي الأطباق لنضعها على المائدة.**

**بدأ الجميع في تناول الطعام، فقلّ الحديث، وعندما كان يتحدث أحد، كان يترجم حمد ما قيل لزوجته على الفور حتى لا تشعر بأنها منعزلة وهي في وسط منزلها، ولكن اللغة لم تمثل أي مصدر إزعاج لـ "فاطمة"، بل ما أزعجها هو رؤيتها للسيدة الأجنبية تأكل من طبق طعام زوجها كما أزعجها أنها كانت تنظر إليه طوال الوقت، لماذا لا تأكل من طبق الخواجة؟ لماذا لا تنظر إليه؟ هو زوجها، أحق بأن تنظر إليه من حمد.**

**اشتعلت الغيرة بقلب فاطمة، وأرادت ألا تسمع صوت ضحكة أخرى للسيدة الأجنبية في منزلها، فهمست في أذن زوجها:**

**- ألم تقل لهم أننا ننتظر مولودًا جديد؟.**

**- لا.**

**- أخبرهم إذن.. حتى تفتح الأخبار السعيدة نفسهم على الطعام.**

**بدأ حمد بالتحدث باللغة الإنجليزية، فابتسمت فاطمة ونظرت إلى ميرا حتى ترى رد فعلها على خبر حملها، فوجدتها قد تركت المعلقة من يدها وحدقت بها طويلًا، بينما استنتجت من ضحكة زوجها الكبيرة، أنه يهنيء حمد على الخبر السعيد.**

**- "Congratulations"**

**كانت الكلمة الثانية والأخيرة التي توجهها ميرا لـ فاطمة خلال هذه الزيارة، فبعد أن قالتها، وقفت وذهبت باتجاه باب المنزل قائلة:**

**- هنري، أحضر لي معطفي وسأنتظرك في الخارج، لم أعتد على تناول طعام دسم بهذا الشكل، أشعر بثقل في جسدي، وأريد أن أتقيء، أسرع، إلى اللقاء يا حمد شكرًا على كل شيء.**

**رحل هنري مع زوجته، وظل حمد مع فاطمة التي شرعت في تنظيف المائدة وهي تسأل:**

**- لماذا جرت السيدة الأجنبية، ورحلت بهذا الشكل الغريب؟ لم تكمل طعامها!.**

**- قالت إن الطعام دسم، وهي لا تأكله في بلدها فشعرت بتعب في جسدها، واضطرت لأن تعود للفندق بسرعة.**

**- طعامي دسم! وتريد أن تتقيأه! هي التي لا تعرف كيف تأكل؟**

**- لا تنزعجي، لقد أحببت كل لقمة، لماذا تشغلين بالكِ بها؟ ألا يكفيكِ بأنه أعجبني، وبأنني عاشق لكل طعامك؟.**

**نظرت له وابتسمت:**

**- يكفيني.**

**ثم أكملت تنظيف المائدة، وهي تقول:**

**- أتعلم، كنت أتمنى أن أمتلك لسان الأجانب، فأقول لك الكلام المعسول وأناديك دومًا بحبيبي، وأعبر لك عن مشاعري، وأتغزّل بك، ولكنني لا أستطيع فعل هذا، لم أعتد على ذلك في منزل أبي، كنت أخاف منه كثيرًا، كان كل من بالمنزل يسير باحترام حتى أنني لم أعتد على السير كأي بنت في عمري، لا أستطيع حتى السير بأنوثة الآن.. مثلما تفعل ميرا مثلًا.**

**وقف حمد ثم وضع يده على وجه فاطمة وابتسامة كبيرة ترتسم على شفتيه:**

**- تظلين واقفة طوال اليوم، وأنا بالخارج لكي تغسلين ملابسي حتى أرتديها وهي نظيفة، تطهين لي طعامي المفضل، تنتظريني بجانب الباب لوقت متأخر من الليل عندما أتأخر في العمل، ثم تضعي قدميّ في نهاية اليوم داخل إناء لتغسليهما بالماء والملح من أجل راحتي، وتقومين بتبديل ملابسي بنفسك، وتضعين لي الطعام على المائدة، فتطعميني ولا تضعي لقمة في فمكِ إلا عندما تتأكدي أن الطعام أعجبني، بل تعطيني من طعامك عندما تشعري بأن نصيبي ليس كافيًا، ثم تحضّري لي الفراش لأنام بهدوء، وكل هذا بابتسامتك الجميلة، لم أسمعكِ يومًا تشتكي من شيء لا لنقص في الأموال، ولا لتأخري عنكِ، لا تطرحين عليَّ أسئلة تزعجني، تضعين سعادتي قبل سعادتكِ، إذًا لم أفهم من كل هذا أنكِ تحبينني بكل جوارحك، فالبهيمة سيكون أكثر ذكاءً مني.**

**هلعت فاطمة:**

**- لا تقل ذلك يا حمد، فَشَر.**

**- سأقولها بأعلى صوت لديّ، أنا مثل البهائم لو لم أكن أعلم أن فاطمة تحب حمد، أنا بهيمة لو لم أكن ماكُنتش أعلم أن فاطمة تحبني.**

**أخذ يردد هذه الجملة وهو يشد ذراعيّ فاطمة ويدور بها عدة مرات**

**حتى وصلا إلى غرفة النوم، قائلة:**

**- ألن تشرب الشاي؟**

**نظر حمد إلى فاطمة نظرة لم تتحملها من فرط الخجل، ثم دخل إلى الغرفة وهو ما زال ممسكًا بذراعيها قائلًا:**

**- بلى يا بطة، سأشرب.**

*** * ***

**في تمام الساعة السابعة صباحًا، نزلت ميرا وزوجها هنري إلى حديقة فندق "مينا هاوس" مقر إقامتهما بمصر لتناول وجبة الإفطار، وخلال انشغال هنري بتناول البيض الأومليت وشرب الشاي، كانت ميرا تستمتع بمراقبة الناس، حتى رأت "سيد حسب"، فنادت عليه بسرعة، فأجاب نداءها وانتقل للجلوس مع الزوجين على طاولتهما.**

**- صباح الخير يا مستر هنري.. أهلًا مدام ميرا، مصر نورت.**

**- أشكرك يا سيد، مصر دائمًا تشع بالنور أصبحت لا أستطيع أن أفوّت زيارتها كل عام، كم أحب هواءها، وشمسها.**

**- انظري يا ميرا إلى أشعة الشمس، حقًا رائعة.**

**- بالطبع، مصر بلد جميل، وأهلها أجمل.**

**ابتسمت ميرا إلى سيد وأكملت حديثها:**

**- مبروك، علمت بالأمس أنك ستصبح عمًّا.**

**أشرق وجه سيد عندما بدأ في التحدث عن حمل زوجة شقيقه، فهو كان ينتظر هذا المولود الصغير ليشغل وقته ويملؤه بالبراءة التي يجلبها الأطفال معهم إلى الحياة، لم يحزنه أن أخيه الأصغر سيتزوج وينجب قبله، بالرغم من أن عائلته لامته على عدم الزواج حتى وصول عمره إلى منتصف الثلاثينات.**

**قرر سيد انتظار الحب بدلًا من الزواج بفتاة تختارها له والدته كما يفعل البقية، فهو لم يشعر بالرغبة في الزواج من فتاة تطيعه فقط، ولذلك كان يحب النقاش مع الأجنبيات مثلما يفعل شقيقه، ولكنه على عكسه كان يريد للنقاشات أن تستمر حتى في منزله أن يصبح له أبناء وبنات متعلمات، كان يتطلع إلى الهجرة لفرنسا ليتزوج من فتاة فرنسية ويؤسس عائلة هناك.**

**صرّح سيد لشقيقه بما يجول في خاطره من أفكار عن الهجرة، ولكن**

**دائمًا ما كان يقنعه حمد بالبقاء بمصر، فيقول له:**

**- سافر كيفما تشاء كما أفعل أنا، ولكن عد دائمًا إلى أرضك، لا يهم متى ستتزوج؟ لا يضغط عليك أحد، ولكن عائلتك هنا، لا تترك عائلتك من أجل امرأة، أو من أجل بلد غريبة، ما دمت تبحث عن الحب والزواج من فتاة متعلمة ومثقفة، انتظرها وستجدها هنا، الزواج قسمة ونصيب، ونصيبك ستجده هنا ستكون عريسًا وسط عائلتك، وبجانب شقيقك.**

**اقتنع سيد بحديث شقيقه فظل في مصر، حتى أنه لم يسافر معه في أي مرة من أسفاره بالخارج كي لا ينقض عهده ويسافر ولا يعود إلى مصر مرة أخرى، ولكنه قرر أن يترك منزل العائلة ويعيش بفندق "مينا هاوس" حتى يبتعد عن الحديث المستمر في مسألة زواجه وإجباره على شيء لا يريده حقًا.**

**- أشكرك، نعم سيرزق أخي بعد ستة أو سبعة أشهر بمولود جديد ستزداد العائلة فردًا، سأعلّم الصغير كل شيء وسأرعاه، نحن لدينا مثل في مصر يقول، أن عم الطفل وخاله بمثابة والد الطفل بالضبط.**

**ضحك هنري..**

**- تهانيّ، سأحاول أن أكون متواجدًا بمصر وقت ولادة الطفل، أحب كثيرًا رائحة الأطفال الصغار.**

**شعرت ميرا بالحرج، وقالت في نفسها:**

**"ها نحن ذا، الحديث عن الأطفال مرة أخرى، موقف جديد ليذكّر نفسه بأنه يحب الأطفال وبأنني لا أنجب، بلا بلا بلا"**

**ثم حاولت تغيير مجرى الحديث ؛ حتى يعود هنري من شروده، قائلة:**

**- قُل لي يا سيد، كيف تُشبه حمد كل عام أكثر من العام الذي قبله! قريبًا ستصبحان مثل التوأم، ولكن لا تقلق لا أحد يعلم أنك الأكبر عمرًا.**

**ابتسم سيد، وقال:**

**- عندما يراني أحدهم مع حمد، يظن أنني الابن الأصغر في العائلة ولست الأكبر، أحب هذا الصغير كثيرًا واتفقنا سويًا على تأسيس أسرة كبيرة، حتى يصبح لأبناءنا أشقاء كُثر، كما سيصبح لهم أبناء عمومة، يلعبون ويتسامرون مع بعضهم البعض، يكبرون سويا، ويكون كل منهم سندًا لأخيه وقت الشدة، نسمي هذا في مصر (العزوة) لا نريد أن يصبحوا مثلي أنا وحمد، اثنين أشقاء وحدهما، نحب الونس، ولهذا سعدت بخبر حمل فاطمة معنى هذا أن خطتنا قد بدأت بالفعل.**

**ابتسم هنري قائلًا:**

**- كان هذا هو هدفي أيضًا يومًا ما، ولكن لم أرزق بأولاد، وعندما أعطاني الله الاختيار ميرا مقابل الأولاد، اخترتها.**

**نظرت ميرا إلى هنري وهي تحاول تصنّع الابتسامة حتى ينتهي من إلقاء النص الذي حفظته عن ظهر قلب، فهو يستخدمه في كل فرصة أتيحت له حتى يذكرها بما ضحى به من أجلها.**

**- ميرا كل شيء لي الآن، أشعر أنني بالفعل فردًا يعيش وسط عائلة كبيرة، خاصة وأن لها عدة شخصيات، لا تعلم أيًّا منهم ستحدثك في الدقيقة التالية.**

**ضحك وهو يكمل طعامه وضحك معه سيد، أما ميرا فقد وصل شعورها بالغضب إلى ذورته، فاستأذنت الجميع لتصعد إلى غرفتها لترتاح قليلًا.**

**بحلول الساعة التاسعة صباحًا، تبدّلت ملامح وجه ميرا، فالوجه العبوس المسنّ تحوّل إلى وجه فتاة عشرينية تملأ السعادة قلبها، وراحت ترقص في جميع أنحاء غرفتها إلى أن جلست على رجليّ هنري الذي يجلس على طرف فراشهما، وأخذت تقبّل جبينه ووجنتيه ثم شفاه قائلة:**

**- تصيبني في بعض الأوقات بالجنون، ولكن أقسم بأنني أحبك.**

**- راضية الآن؟**

**- راضية كل الرضا يا مستر هنري.**

**ضحكت ميرا ثم بدأت في تقبيل وجه زوجها الذي ضحك هو الآخر من شدة فرحة زوجته.**

**كان هنري رجلًا طويلًا، خفيف الشعر لدرجة تقترب من الصلع، ولكنه كان وسيمًا وسامة النبلاء، الصفة التي ورثها عن عائلته الأمريكية الثرية، صاحبة دور النشر الشهيرة، "دار هاربر للنشر"، وهي واحدة من أوائل دور النشر بأمريكا في القرن التاسع عشر.**

**نشأ على حب القراءة.. رائحة الكتب كانت تغنيه عن رائحة أجمل بساتين الأزهار، فقد عاش حيوات عديدة على صفحات هذه الكتب، سافر إلى بلاد لم يزرها من قبل، صادق فرسان، رحّالة، وفتيات نبيلات، والأهم من كل هذا، أن الكتب علّمته معنى الحب والتضحية، خاصة من خلال روايات كاتبه المفضل شكسبير.**

**أثرت قصة الفرسان الثلاثة في نفس هنري منذ صغره، ورأى أن النبل**

مكمنه في الحفاظ على العهد، الوفاء عملة نادرة تغني من يمتلكها عن أكبر رجل له نفوذ وسلطة في العالم، هذا ما جال بخاطره وقتما سمع من الطبيب أن ميرا لن تستطيع الإنجاب، وترددت في أذنه نذور زواجه في الصحة، في المرض، وحتى يفرقنا الموت.

هل يموت الرجل عندما لا يصبح أبًا؟ لم يستطع هنري الإجابة عن هذا السؤال، كل ما كان متأكدًا منه هو أن الأيام ستجيب عليه، ولكنه كان يتساءل أيضًا لماذا سيعمل في دار النشر ولا أحد سيرثها من أسرته الصغيرة؟ لن يذكر أحد اسمه بعد يوم وفاته، الأبناء يمدوّن الأعمار، يرددون أسماءنا بعد الرحيل، يكملون ما بدأناه لهم، ولكن بدون ابن، يصبح الإنسان بعد وفاته وكأنه لم يكن.

فقدَ هنري الرغبة في الحياة لعدة أيام بعد سماع الخبر أغلق على نفسه،لم يرى ميرا أمامه، ولم يرى أي شخص آخر، بل اعتكف بمكتبه الصغير بالمنزل يقرأ "الفرسان الثلاثة"، حبس روحه داخل صفحاتها وتعامل مع جميع من حوله ببرود كأنه آلة ينتظر أن يُطفئه أحد ويعيد تشغيله، ربما يعمل عقله مرة أخرى، ويستوعب صدمته في أنه سيصبح بلا أطفال بقية حياته.

كان بمقدور هنري تطليق زوجته، ولكن إذا طلقها سيكون بذلك قد نقض عهده إليها، لقد قال لها سأبقى معكِ حتى يفرقنا الموت، لم يذكر مع أو بدون أولاد، وإذا كان هذا هو العهد فسيبقى عليه مهما كلّفه الأمر؛ لأنه رجلًا نبيلًا، وقد جاء الموقف الذي يجب أن يثبت فيه ذلك فعليه أن يتصرف كالنبلاء.

الطول والجسد المتناسق جعل من هنري فارسًا ماهرًا، ولذلك كان يحلق بفرسه بعيدًا كلما ذهب إلى بركة السمان مع "ميرا" وحمد، مثلما فعل في ذلك اليوم أيضًا، فبعد مفاجأته السعيدة لزوجته، التي أراد بها أن يجعل الحياة الرتيبة أكثر لطفًا، ذهب معها لركوب الأحصنة لمرة أخيرة قبل العودة إلى البلاد.

ابتسم هنري عندما رأى حمد واقفًا بانتظاره بجانب الحصان، فاحتضنه قائلًا:

- صديقي العزيز، تهنئة لي بزواجك، ستسافر معنا أنت والعروس في شهر عسل جديد لأمريكا، على متن السفينة الجديدة التي يتحدث عنها الجميع، ألم تسمع عنها بعد؟.

وقفت ميرا تبتسم، وعيناها ممتلئتان بالحماس لرؤية رد فعل حمد على مفاجأة هنري، بينما شعر حمد بالاندهاش حتى أجاب:

**- نعم، بالطبع سمعت عن أخبار هذه السفينة، ولكن زوجتي حامل، لن تستطيع تحمّل مشقة السفر الآن، أشكرك على هذه الهدية الرائعة، ولكنني لن أستطع قبولها.**

**قال هنري:**

**- لقد أجريت اتصالاتي واستطعت حجز أربعة تذاكر، اشتراهم صديق لي، وسأرد له المبلغ عندما نصل إلى باريس.**

**تساءل حمد في ذهول:**

**- سنسافر إلى باريس أيضًا؟.**

**- نعم، إن السفينة ستقلع من باريس، ميناء شيربورغ، هيا يا حمد يجب أن تسافر معنا أنت وفاطمة ثم نظر هنري إلى ميرا وهو يربت على ظهر حصانه**

**- أقنعيه، سأذهب في جولة سريعة بالحصان، وعندما أعود أريد تأكيدًا بأنه سيسافر معنا.**

**قام حمد بمساعدة ميرا في الركوب على ظهر الحصان، ثم أمسك باللجام وبدأ يمشي معها في صحراء بركة السمان في الوقت الذي اختفى فيه هنري وحصانه من مجال رؤيتهما.**

**قالت ميرا برقة:**

**- آسفة على ما حدث بالأمس، أرجو ألاّ أكون قد أغضبت العروس، بعدما ذهبت بهذا الشكل.**

**ابتسم حمد ابتسامة ساخرة، قائلًا:**

**- أنتِ تغضبين فاطمة؟ إنكِ لا تعرفينها بعد، إذا حاولت نيويورك بكامل سكانها إغضابها، فلن تحرك ساكنًا، فما يغضبها هو غضبي، وما يسعدها هي سعادتي، وما دمت لست غاضبًا لا تغضب، كما أن الموضوع بسيط، لا يدعو للغضب.**

**- تحبك كثيرًا؟**

**- وأحبها كثيرًا.**

**- إذًا لا يوجد مشكلة في مسألة السفر، ستوافق فاطمة على السفر معنا لإسعادك.**

**- حتى إذا وافقت على السفر سأرفض أنا، لأن سفرها سيعرّض حياتها وحياة ابني للخطر.**

**- لو كنت مكانها لكنت وافقت على السفر على الفور، مهما كانت النتائج، المهم إسعاد زوجي.**

**توقف حمد عن السير ونظر إلى ميرا، فمدت ذراعيها إليه، فالتقطها وأنزلها من على ظهر الحصان، فابتسمت واقتربت منه، قائلة:**

**- اسمعني جيدًا، ستسافر معي يا حمد مهما كانت الظروف.**

**ابتعد عنها حمد، قائلًا:**

**- بالطبع لا، لن أعرّض حياة زوجتي للخطر لكي أتنزّه في بلاد الأجانب، ولن أتركها بمفردها وهي حامل لكي أسافر معكِ منزلي يحتاج إليَّ.. ابني يحتاج إليَّ.**

**- أنتم أيها المصريون تحبون تضخيم الأمور دائمًا، لا أدعوك للهجرة، فقط أقل لك أنك ستسافر معي زيارة إلى أمريكا، سيكتب اسمك في التاريخ بهذه السفرة، لأنك ستسافر كراكب درجة أولى على متن أول رحلة للسفينة الأشهر في العالم.**

**- السفينة التي لا تغرق؟**

**- نعم إنها هي، ستسافر على متنها مع ركاب الدرجة الأولى بصفتك مساعدي الخاص.**

**- تقصدين الخادم الخاص بكِ، وهل ستسافر معنا فاطمة كخادمة هنري؟**

**- لا تأخذ الوظيفة المكتوبة على التذاكر بهذا المحمل، هذه أعظم سفينة في التاريخ حتى الآن، إنها حديث الجميع، لن يسافر في الدرجة الأولى على متنها سوى الأثرياء من الأجانب فقط، أتتوقع أن هناك عربيًا سيكون بهذا الثراء ليبتاع تذكرة من تذاكر الدرجة الأولى ويعيش في هذه الرفاهية؟**

**- وما دامت التذكرة باهظة الثمن كيف سأرد ثمنها؟**

**- كما قال لك هنري التذكرتين هدية، ستكون هذه السَفرة أول سفرة لك مع زوجتك، ستسافران معنا إلى فرنسا؛ لأن السفينة ستنطلق من فرنسا في العاشر من أبريل، السفر إلى باريس سيكون فرصة ممتازة لكي نبتاع لك بعض الملابس الأوروبية.**

**ثم نظرت إلى عينيّ حمد بتمعن وأكملت..**

**- تليق بك الملابس الأوروبية تُظهر شخصيتك الأخرى التي تخفيها وراء هذا الجلباب المصري الواسع..**

**ثم ابتسمت وأكملت:**

**- كما تظهر جمال هيئتك وعينيك.**

**انتفخت العروق في جبهة حمد معلنًا عن ضيقه، قائلًا:**

**- إنها عباءة وليست جلباب، وأحب ملابسي كثيرًا، وأحب كوني مصريًّا، وكما قلت لكِ من قبل لن تستطيع زوجتي السفر، وبالتالي لن أستطيع أنا أيضًا السفر معكما، انتهت المسألة.**

**أمسك حمد بلجام الحصان ثم سار به إلى الأمام تاركًا ميرا بالخلف، فركضت وراءه حتى أصبحت بجانبه تنظر إليه، تعرف أنه لم يتبقى لها شيئا تفعله لإقناعه بالسفر معها، وأن هذه هي محاولتها الأخيرة، للاستفزازه..**

**- تستطيع السفر معنا وحدك، السبب الوحيد الذي يمنعك من السفر معنا بدونها، هو أن تكون خائفًا منها، أتنتظر موافقة الست؟**

**وقفت ميرا لتلتقط أنفاسها بعدما شعرت بإجهاد شخص تربّص بخصمه بحذر، وأطلق السهم أخيرًا على قلبه ليفوز بالمعركة، توقف "حمد" واحمرّ وجهه غضبًا، أمسك بذراعيها وكأنه يهددها قائلًا:**

**- لم تُخلق بعد السيدة التي يخاف منها حمد حسب، ولم تخلق أيضًا من لا تطيع أوامري مهما كانت.. هل فهمتِ؟.**

**ابتسمت وقد علمت أن سهمها أصابه في مقتل، قائلة:**

**- فهمت.**

**عندما أقبل المساء جلس حمد على أريكته تحت مصباح النور المسؤول عن إضاءة غرفة الجلوس بأكملها، وجلست فاطمة بجانبه، نظرت له، ثم صمتت فتحدث هو ليكسر هذا الصمت.**

**- ليس بي شيء يا فاطمة، فقط أفكر، فلا تقلقي من صمتي.**

**- هل من الممكن أن أعلم فيم تفكر؟.**

**- أهداني هنري اليوم تذكرتان لي ولكِ، للسفر على متن السفينة التي تملأ أخبارها الجرائد، إنها السفينة الأشهر في العالم، قرأت عنها كثيرًا، وتمنيت أن أسافر على متنها، واليوم فقط جاءتني الفرصة على طبق من ذهب، أتعلمين كتبت إحدى الجرائد مقالة عن السفينة تقول أن بها العجب العجاب الذي لم تره عين شخص من قبل، سنعيش بها أنا وأنتِ سويًا سبعة أيام، أليست هذه هدية رائعة؟ ما رأيكِ؟**

شعرت فاطمة بالغضب يتخلل كل ذرة في جسدها، كانت تعلم أن ميرا هي العقل المدبّر لهذه الرحلة، تريد الأجنبية أن تقضي مع زوجها عدة أيام بمفردها، الصدمة التي اعتلت وجهها عندما علمت بخبر المولود الجديد كانت صدمة امرأة غيورة، واليوم جاءت لتنتقم، سأرفض السفر بسبب ظروف حملي، ويسافر زوجي وحده معها، وبهذا تكون قد تخلصت مني بأسلوب ذكي ولن يلاحظ أحد خطتها المدهشة، فالسيدة هي فقط من تنتبه إلى كيد السيدات.

نظرت إلى حمد ثم قالت بغضب:

- هذه السفينة العجيبة في النهاية هي قطعة كبيرة من الخشب، إنها ليست سفينة نوح، وستنجيك من الطوفان استفق من هذه الأوهام، وقُل لي أنك رفضت قبول التذاكر لا أستطيع السفر وأنا حامل، وبالطبع لن تسافر من دوني، وإلا..

- فاطمة..

دوّى صوت حمد وهو يصرخ باسم فاطمة في جميع أرجاء المنزل وخارجه، حتى كادت أن ترد عليه كل "فاطمة" تسكن في شارع الهرم:

- هل أسمع صوتكِ يعلو فوق صوتي؟ هل أصبحتِ تعطيني الأوامر الآن؟ أتريني أخاف منكِ وسأستمع إلى تهديدكِ؟.

ارتجفت وهربت منها الكلمات، حتى أنها قامت من مكانها خوفًا من أن تكون بجانب "حمد" في هذه اللحظة، لتقول:

- العفو أنتَ زوجي، ولا يعلو صوت الزوجة على زوجها، لم أقصد ذلك، ولكنني لم أتصور أن تعرّض حياتي للخطر، أو أن تتركني وجنيني في بطني وتسافر وحدك.

بعدما وضعت الحقيقة التي كان يحاول أن ينساها أمام عينيه، شعر حمد بالذنب الذي كان يداريه بغضبه، ثم راح يقول لنفسه:

- نعم، فاطمة معها كل الحق، كيف يفكر في السفر ليستمتع بجمال السفينة الأبهة مع أصدقاءه، ويترك زوجته الضعيفة في المنزل وحدها، حامل لا حول لها ولا قوة؟

لم يتحمل حمد النظر في عينيّ فاطمة، فغادر المنزل بهدوء ذاهبًا إلى شقيقه.

عندما رأى سيد وجه شقيقه وهو ينتظره بحديقة مينا هاوس، علم من

**الوهلة الأولى أنه مستاء من أمر ما، فحاول أن يبهجه قائلًا:**

**- أهلًا أبو حسن.**

**ابتسم حمد، وقال:**

**- ماذا لو كانت فتاة؟ ولماذا حسن بالذات؟**

**قال "سيد" ممازحًا:**

**- استمع إلى حديثي جيدًا، ستنجب زوجتك صبيًا، وسنسميه حسن، إحساسي لا يكذب أبدًا، هل لديك اعتراض على الاسم؟ ستخالف اختيار أخيك الأكبر؟.**

**- بالطبع لا، ولكي أثبت لك سأقوم بتسمية المولود حسن سواء كان جنس المولود ذكر أو أنثى.**

**- اتفقنا، والآن قل لي لماذا أنت هنا معي في هذا الوقت المتأخر من الليل، وليس مع زوجتك؟ ماذا حدث؟.**

**روى حمد تفاصيل ما حدث لشقيقه، فابتسم سيد قائلًا:**

**- يا عيب الشوم عليك يا أخي، كيف تفكر بأنك عندما تسافر ستكون قد تركت زوجتك هنا وحدها؟ عندما تسافر ستكون فاطمة تحت رعايتي، سأحضر لها كل شيء تحتاجه.**

**ابتسم ممازحًا ثم استرسل..**

**- من المحتمل ألاّ تشعر بغيابك أصلًا.**

**- أتعني أن أقبل الهدية؟ لا أريد جرح مشاعرها.**

**- لا تضخّم الأمور، عرض عليك صديقك هدية بمناسبة زواجك، سفر لسبعة أيام على متن أهم سفينة في العالم، ولكن زوجتك لن تستطيع السفر بسبب ظروف خارجة عن إرادتها وإرادتك، فما المشكلة في أن تسافر وحدك؟ مدة السفر ليست طويلة على أية حال، لا تحرج مستر هنري وترفض الهدية، إنها رحلة مدفوعة التكاليف، يجب أن تسافر وتحظى بهذه التجربة الفريدة ستكون من أوائل الركاب على متن السفينة التي لا تغرق، وربما تكون المصري الوحيد، لا أحد يعلم لديَّ شعور قوي بأنني سأقرأ عنك في الجرائد قريبًا يا ابن أمي، ابتسم للكاميرات دائمًا عند التصوير.**

**ضحك حمد..**

**- شكرًا لك يا أخي، سأسافر وأنا مطمئن.**

عاد حمد إلى منزله هاديء البال، ليجد زوجته التي عصفت الأفكار برأسها تبكي، فجلس بجانبها على فراشهما وقام بمسح دموعها قائلًا:

- لا تبكِ، أنا من أخطأ في حقكِ، وأنا من يحق عليه الاعتذار، آسف يا حبيبتي، أقدر قلقك من البقاء وحدك، ولكن الرحلة على متن السفينة ستستغرق أسبوعًا واحدًا فقط، وإذا قمنا بحساب عدد الأيام التي سأسافر فيها من مصر إلى باريس، ثم إلى أمريكا، واحتمال بقائي هناك لأسبوع إضافيّ لزيارة معالم نيويورك، فلن تستغرق الرحلة بأكملها أكثر من شهر، أعدكِ بأنني لن أغيب عنكِ سوى هذا الشهر، وخلال غيابي سيرعاكِ سيد، لن تشعري حتى بأنني سافرت.

نظرت فاطمة في عينيّ "حمد" لتواجهه أخيرًا بحقيقة مخاوفها، قائلة:

- لا أخاف من بقائي وحدي هنا، بل أخاف من سفرك وحدك إلى هناك، لماذا تقدم لك ميرا الهدايا؟ لا توجد سيدة في الكون تهتم بأمر رجل لا يعجبها، بل إن تعاملها معك يفوق الاهتمام، أتعجّب من كونها ما زالت متزوجة، كنت أستطيع أحترامها لو كانت أرملة، أو مطلقة، ولكنها سيدة متزوجة معجبة برجل آخر، معجبة بزوجي أنا!، هذه جريمة لا تغتفر.

فوجيء حمد بما قالته زوجته، فتلعثم وهربت منه الكلمات، ما الذي أوصل فاطمة لهذا التفكير؟ هل سمعت أي حديثًا دار بينه وبين ميرا؟ ولكن كيف؟ لم تراها سوى مرة واحدة، كما أنها لا تتحدث اللغة الإنجليزية! حاول الحفاظ على هدوءه حتى لا يقول حديثًا يندم عليه لاحقًا.

- هنري هو من أهداني التذاكر وليست ميرا، وكان من المفترض أن تسافرين معي لولا ظروف الحمل.. هل حقًا تريني بهذا الرخص؟ رجل خائن، أخون زوجتي وأعز أصدقائي؟! أخون زوجتي مع زوجة صديقي؟.

تسارعت دقات قلب فاطمة، حيث شعرت بأن حجتها قد تهاوت أمام هذا الاتهام الذي وجهه لها زوجها، ولكنها حاولت استكمال المرافعة حتى النهاية، حتي قالت:

- بالطبع لست بخائن، ولكن ألا ترى؟ إنها تتقرب منك وتوسوس لك دون أن تشعر، تستغل طيبتك وتقنعك بفعل العديد من الأشياء الخاطئة، حتى أنك ستفعلها دون أن تشعر بأنها خطأ، صدقني أثق بك تمام الثقة، ولكني لا أثق بها، لا تثق بالنساء الأوروبيات، طبائعهم

**معوّجة مثل ألسنتهم.**

**اقترب "حمد" من "فاطمة" وهمس في أذنها، قائلًا:**

**- إذًا أنتِ لا تثقين بأنني أستطيع تمييز الخطأ من الصواب؛ ولهذا سأسافر مع ميرا و"هنري"، وأنتِ ستبقين هنا يعتني بكِ أخي ريثما أعود، وقتها ستكونين قد علمت مَن مِنَّ لا يستطيع التفريق بين الخطأ والصواب.**

**في يوم السفر.. انتهت فاطمة من تحضير حقائب زوجها وجلست بجانبها على الفراش، حتى دخل حمد إلى الغرفة وجلس القرفصاء وأمسك بكفيّها قائلًا:**

**- لا تغضبي مني ولا تحزني لغيابي، تعلمين أنني أحب السفر كثيرًا، علمت هذا قبل الزواج مني وقبلت بي، فلماذا أنتِ حزينة الآن؟ هل بسبب مشاجرتنا الأخيرة؟ تعلمين أيضًا أنني رجل عصبي طائش، تنفر عروقي عندما تقول لي أي سيدة ما عليَّ فعله، خاصة إذا كانت هذه السيدة زوجتي ولكنني أحبكِ، ولا أستطيع أن أرى في عينيكِ دمعة حزن واحدة، أرجوكِ سامحيني.**

**ثم جلس على الفراش بجانب زوجته، ونظر إلى الأرض كما تنظر هي وعينيها ممتلئة بالدموع قائلًا:**

**- إذا كنتِ غير موافقة على سفري، فلن أسافر.**

**ابتسمت فاطمة ونظرت إليه:**

**- هل تتحدث بجدية؟.**

**- نعم، أحبكِ أكثر من السفر، وأكثر من طباعي الشرقية، وأكثر من أي شيء آخر، سأنفذ كلامك، لن أسافر إذا كنتِ ترفضين سفري.**

**- وأنا أحبك لدرجة أنني أقبل بكل شيء فيك، عصبيتك، حبك للسفر، أحب حتى طيشك، وأحب أن تفعل ما تحب.**

**- هذه أول مرة تقولين لي صراحة أنك تحبيني.**

**- ألم أخبرك بها كل هذا الوقت؟**

**- هل رأيتِ كم تعذبيني معكِ؟ أيحق لي أن أغضب منكِ الآن أم لا؟**

**ابتسمت وقالت بدلال:**

**- يحق لك.**

اقترب حمد من فاطمة كي يقبّلها ولكن دق باب المنزل، كان قد وصل شقيقه مع السيد والسيدة هاربر سويًا لاصطحاب حمد معهم إلى الميناء، فتح حمد الباب ورحّب بشقيقه وطلب منه الدخول إلى المنزل للاستراحة من مشقة الطريق، لكنه رفض لأن هنري وميرا ينتظران في السيارة بالخارج، أمام باب المنزل، جلس حمد القرفصاء وهو يتحسس بطن فاطمة، قائلًا:

- وداعًا يا بنيّ، لن يتأخر أبيك، شهرًا واحدًا على الأكثر وسأكون هنا، سأعود حتى قبل أن تدرك عدم وجودي.

ثم توقف وأمسك وجه زوجته بكفيّه:

- لا تخافي، سيعود إليكِ سيد بعد إيصالنا إلى الباخرة، وسيلبّي جميع طلباتك، لقد تركت معه مالًا يكفي لكل ما يمكن أن تحتاجينه خلال هذه الفترة ويزيد، لا أحد ينفق على زوجتي مليمًا، اتفقنا؟.

هزت فاطمة رأسها بالموافقة واغرورقت عينيها بالدموع، فقال حمد:

- لا تبكِ يا عزيزتي، كما اتفقنا سنعتبر هذه السفرة بمثابة رحلة للتسوق، سأسافر لشراء ملابس على الطراز الأوروبي لابننا، وسأشتري لكِ فستانًا جميلًا أحدث صيحة، عندما ترتدينه ستصبحين أجمل سيدة في الهرم، بالرغم من أنكِ لا تحتاجين للفستان لأنك أجمل سيدة بالفعل، ليس في الهرم فقط بل في مصر بأسرها.

ضحكت وسالت دمعة من عينيها، فقام هو بتقبيل جبينها:

- الوداع حبيبتي.

تشبثت بذراعيه، قائلة:

- لا تقل وداعًا، لا أحب هذه الكلمة.

- إذًا قولي لي ماذا أقول وسأقوله؟

- إذا رزقنا الله بولد، قل لي ماذا تحب أن نسمّيه؟

- أتريدين مناقشة ذلك الآن؟ ألا تستطيعين الصبر شهرًا واحدًا؟ بعدما أعود سيكون أمامنا وقتًا طويلًا لاختيار اسم المولود.

- سألتني ماذا تريدين، وأجبتكَ بما أريده، أشعر بأنني أحمل ذكرًا، ماذا سنسمّي ابننا؟

- "حسن"، إذا رزقنا الله بصبي سنسميه.. حسن.

- إذًا في انتظارك أنا وحسن يا أبو حسن، لا تتأخر علينا.

**قام بتقبيل جبين فاطمة لمرة أخيرة قائلًا:**

**- أعدكِ لن أتأخر.**

**ثلاثة أيام مرت كحلم جميل، زار فيها حمد باريس مع مستر هنري وميرا، ذهبوا إلى برج إيفل، قلعة نوتردام، قوس النصر، والأهم من ذلك كله، زار "حمد" مسلة كليوباترا بميدان الكونكورد، لطالما أسره التاريخ وفَتنته الآثار المصرية، لم يستطع أن يفوّت هذا المنظر البديع ومع أول خطوة له في هذا الميدان كان يتخيل كليوباترا كما شاهد تصويرها على المعابد المصرية القديمة وهي واقفة وسط الكونكورد الفرنسي بشموخ، تبتسم لاستقبالها الفرنسيين طوال اليوم، ولكن في هذه اللحظة تركت الجميع ووجهت ابتسامة خاصة لابن بلدها "حمد".**

**استعد حمد لسفره إلى أمريكا جيدًا، حيث أحضر معه من القاهرة مجموعة من العباءات الثقيلة لتدفئته من هواء البحر ليلًا، كما أحضر العباءات الخفيفة؛ لكي يرتديها عندما يحنو عليه الطقس صباحًا، هذا بجانب شراءه لبعض البذلات الأوروبية حتى يكتمل المظهر، فهو يعتبر نفسه نصف مصريّ بجذوره وجنسيته وهويته، ونصف أوروبي بملامحه الغربية وأفكاره وثقافته.**

*** * ***

**العاشر من أبريل عام 1912م**

**وقف أمام السفينة الكبيرة مبتسمًا يتأمل مظهرها الخارجي الجميل، وضخامتها التي لا مثيل لها، إن جمالها لا يشبه الصور التي رآها في الصحف المصرية والفرنسية بل يفوق هذه الصور بكثير، لم يبعد حمد عينيه عن السفينة، إلا بعدما فوجيء باصطدام شاب به وهو يركض ضاحكًا في طريقه لصعود سلّم السفينة، لم يرى وجه الشاب في البداية بسبب القبعة الصغيرة البنية التي كان يرتديها، والتي يتطابق لونها مع لون قميصه الواسع، وبنطاله الأسود وحقيبته الصغيرة التي بدايتها عند كتفه الأيسر ونهايتها حول خصره من جهة اليمين.**

**- أتأسف لكَ، أراكَ على متن السفينة.. ضاهر.**

**قال الشاب الذي بدا من لهجته أنه من بلاد الشام، قبل أن يختفي عن الأنظار بسبب تدافع الناس، فيما ظهر وجه ميرا فجأة أمام حمد وأمسكت بيده قائلة:**

**- أين ذهبت؟ انتظرتك أنا وهنري عند درج السفينة، يجب أن نصعد على متنها سويًا، مكتوب في تذكرتك أنك مساعدي، هيا أسرع.**

وضعت ميرا ذراعها حول ذراع حمد ووقفت تنظر للسفينة وهي تبتسم للحظة، وهمست..

- هيا يا صديقي لنبدأ رحلتنا سويًّا.

*******

## الفصل الثالث

صرخت ميرا بحدة في وجه فاطيمة لتوقفها عن استكمال رواية الأحداث.

- لا، هذا لم يحدث، لم أضع خطة جهنمية لكي أجعل حمد يسافر معي ويترك زوجته.

ثم اقتربت من فاطيمة حتى كاد أن يتحارب وجهيهما سويًا من شدة حدة ملامحهما، وقالت:

- من روى لكِ هذه القصة الكاذبة؟ هذا كله لم يحدث أبدًا، لم أخن زوجي ولو بأفكاري، أحب هنري وهو يحبني كثيرًا، من المستحيل أن أصدق أن حمد هو الذي روى هذه القصة عني، كنت صديقته المقربة لا أكثر إنه ابني الذي لم ولن أنجبه.

ردت فاطيمة:

- لا، لم يكن بمثابة ابنك أبدًا، لا تشعر المرأة بالغيرة على ابنها، كنت أرى نظرة الغيرة في عينيكِ عندما كان يقف حمد بجانبي، أو عندما يتأخر عليكِ قليلًا، كنتِ تخافين عليه من أبناء الدرجة الثالثة، ومن سيدات الدرجة الثالثة خاصة مني، فأنا سيدة عزباء، وهو من حقه أن يتزوج أربعة نساء.. رأيتك وأنتِ تصيحين بوجهه وهو يحاول إنقاذي من الغرق، كنتِ تريديني أن أموت ولن أنسى ذلك أبدًا.

ركضت فاطيمة نحو الدرج؛ لتبحث عن حمد في جميع أرجاء المنزل، فهي تأكدت من هنري أنه هنا ربما كانت تخفيه ميرا عنها.. حاولت ميرا عرقلة فاطيمة قبل أن تصل إلى الدرج ولكن دون فائدة، فقد نادت فاطيمة بصوت عالٍ:

- حمد، يا حمد، أنا فاطيمة.

سمع حمد صوت اسمه عاليًا وهو في غرفته ولم يفهم ما الأمر، نزل

**مسرعًا إلى الدرج ورأى ميرا تبكي، قام بتنحية فاطيمة جانبًا ثم هرع إليها ليطمئن، قائلًا:**

**- ماذا بكِ؟ ماذا حدث؟ كنتِ بخير عندما صعدت إلى الغرفة.**

**لم تجب ميرا على حمد، فقط وقفت متصلّبة وهي تنظر إليه بخوف شديد يملأ عينيها، بينما أغرقت الدموع وجهها فظل هو يكرر سؤاله عمَّ أصابها، وهي لا تدري كيف تجاوبه.**

**نادت فاطيمة حمد.**

**استدار ليرى فاطيمة تبتسم له، ولكنه لم يبادلها الابتسام ولم يبد أي ردة فعل، وعاد لينظر لـــ ميرا مرة أخرى.**

**- حمد، أنا فاطيمة أعلم أنه قد مرت ثلاث سنوات على آخر لقاء لنا، ولكن لا يمكن أن تكون قد نسيتني، قالت لي ميرا أنكَ شفيت، فلماذا تتجاهلني؟**

**وقفت ميرا أمامه وكأنها تتلقى طلقة رصاص بدلًا منه، وقالت بغضب شديد:**

**- قلت لكِ أنَّ حمد لا يريد أن تكون له أي صلة بالماضي، طلبتِ رؤيته وها قد رأيتيه وصدقتِ بنفسك أنه لا يريد التحدث معكِ، اخرجي الآن من منزلي؛ لا أريد رؤيتكِ مرة أخرى.**

**نظرت فاطيمة إلى حمد بغضب بسبب صمته ووقوفه المخزي وراء ميرا وقالت:**

**- أين اختفى الرجل المصري الشجاع الذي كان صوته يهز السفينة هزًا؟ كيف تتحكم بكِ الأجنبية بهذا الشكل؟ ربما أصبح المصري أجنبيًا، يتحامى في ذيل سيدته التي تنفق عليه.**

**أمسكت فاطيمة بحقيبتها التي كانت قد تركتها على المنضدة أمام الأريكة، وأحكمت وضعها على كتفها، وذهبت نحو الباب وهي تتمتم:**

**- يا عيب الشوم، جعلت السيدة الثرية منك دميتها، ونسيت عائلتك وابنك.. نسيتني أنا أيضًا! رأينا الموت بأعيُننا على السفينة، ونجينا منها سويًا يا حمد، يا عيب الشوم.**

**صوت ارتطام قوي جعل فاطيمة تتوقف عن التمتمة لتنظر وراءها فترى حمد ملقي على الأرض وبجانبه ميرا تبكي، فأسرعت إليه، لتفهم ماذا حدث له؟ بينما قامت ميرا بتدليك ذراعيه ثم رفعت رأسه ووضعتها على رجليها، قائلة باستسلام وهدوء:**

**- قلت لكِ لا تنادي عليه، قلت لكِ أن تخرجي من المنزل، لماذا تحدثتِ عن السفينة؟.**

**شعرت فاطيمة بارتباك شديد، وتساءلت:**

**- إذا كان قد شفي من مرضه، وأراد ترك الماضي وراء ظهره باختياره، فلماذا سيؤثر فيه العتاب؟.**

**- هو لم ينساكِ بإرادته، فهو لم يشفى من مرضه بعد، كل بضعة أشهر تحاول الذاكرة العودة إليه، فيرى في أحلامه مشاهد حدثت على السفينة ثم يسيتقظ ولا يتذكر حتى اسمه، تمر بضعة ساعات لا يتذكر فيها سوى طفولته وجزء صغير من شبابه، فأقوم بتذكيره بأنه أتى معي وهنري إلى أمريكا منذ ثلاث سنوات، وسمحنا له بالمكوث في المنزل الصيفي بعد سقوطه على رأسه وفقدانه للذاكرة جزئيًا، حاولت لأشهر طويلة أنا والطبيب النفسي في إلصاق هذه القصة بعقله لكي يتقبل حياته كما هي وتتوقف هذه النوبات، وبالفعل قلّت كثيرًا بعد تصديقه لي.**

**- كان من الممكن أن توفري الوقت والمجهود بأن تقولي له صراحة من هو، وبدلًا من إعطاءه مسكنًا لآلامه، انهيها وأعطيه حق التذكرة لكي يعود إلى بلدته ليرى زوجته ومولوده الذي عمره الآن ثلاث سنوات، كيف تكذبين عليه وتحرميه من رؤية ابنه؟ أنسيتيه ابنه بقلب الأم التي تخاف على ابنها؟ أم أنكِ تريدين أن تسجنيه هنا ليكون لكِ وحدك؟**

**- شعرت بالخوف عليه، لم يكن يستطع السفر إلى مصر على متن سفينة أخرى خلال هذه الفترة القصيرة، كان من الممكن أن ينتحر في عرض البحر من شدة الخوف وعصف الذكريات الأليمة به، اضطررت للانتظار حتى يكون قادرًا على السفر.**

**تساءلت فاطيمة بسخرية..**

**- أما زال غير قادرًا على السفر بعد ثلاث سنوات؟.**

**ارتبكت ميرا، وبدأت في تدليك وجه حمد، وتجاهلت الحديث..**

**قالت فاطيمة:**

**- على الأقل عائلته تعلم أنه ما زال على قيد الحياة، وسوف يذكّرونه بكل شيء، سأرافقه إلى مصر بنفسي على متن أقرب باخرة.**

**ثم نظرت إلى ميرا بترقُّب، لتقول:**

**- قولي لي أنكِ كنتِ تراسلين عائلة حمد وأبلغتيهم بحالته الصحية!**

صمتت ميرا ونظرت إلى وجه حمد وبدأت دموعها تنساب فوق وجهه، فاعتلى الغضب وجه فاطيمة وأبعدت يديّ ميرا عن وجه حمد قائلة:

- فلينتقم الله منكِ على ما فعلتِ، ابتعدي عنه واستمعي إليَّ جيدًا، عندما يستفيق سأشرح له كل شيء وسأغادر معه من هذا الباب إلى مصر ولن تريه ثانية.

أمسكت فاطيمة بذراع حمد، بينما نهضت ميرا من على الأرض وجلست على الأريكة، ثم وضعت رأسها بين كفّيها وصمتت للحظات، بينما تتساقط دموعها، وقالت بصوت مرتعش خافت:

- الحقيقة أنه هو من أحبني، هو من أقنعني بالسفر على متن السفينة، لم تكن فكرة السفر عرض مني أو من زوجي كما قلت، بل هو من أراد السفر بشدة، وعرض عليَّ الأمر فوافقت، لم يكن معه المال الكافي لرؤية العالم، وأنا كان ينقصني الصحبة، زوجي منشغل دائمًا بعمله، وأنا آخر أولوياته، يحبني كثيرًا وأحبه، ولكن بعد فشلنا في الإنجاب وضع همومه على صفحات الكتب؛ فشعرت بالوحدة.. إلى أن قابلت حمد وقام بترميم الشروخ الموجودة بقلبي، كنت أعامله كابن لي وقد استغل هذا الشعور وحصل على كل شيء طلبه مني.. لقد قبّلني حمد على متن السفينة قبلة طويلة لم يقبّلها لي زوجي منذ سنوات، ولا يمكن للمرأة أن تجبر رجل على تقبيلها بهذه الحرارة.. وقتها فكرت في الانفصال عن هنري، ولكنه رجل مشهور، والطلاق بين النخبة مستحيل في بلدنا، لن يفرّق بيني وبين هنري سوى الموت، وفي نفس الوقت لا أجرؤ على التخلّي عن الإنسان الذي جعلني أعيش، بعدما كنت أتمنى الموت كل ليلة.

فتح حمد عينيه أخيرًا فأشاحت فاطيمة بنظرها عن ميرا لتطمئن عليه، بينما مسحت ميرا دموعها بكفيّها بسرعة، ونظرت إلى فاطيمة نظرة يملؤها الرجاء لكي تصمت، فقامت فاطيمة من الأرض لتجلس على الأريكة قائلة:

- اصعدي معه إلى الأعلى لكي ينال قسطًا من الراحة وأنا هنا في انتظارك.

داخل المطبخ جلست فاطيمة على إحدى الكراسي حول الطاولة الطويلة، بينما كانت ميرا تعد القهوة لضيفتها، حيث عقدت السيدتان هدنة ضمنية بينهما خاصة بعدما علمت فاطيمة بوضع حمد الصحيّ، وتبدّلت أحوال ميرا من السيدة المتعجرفة إلى المرأة الضعيفة التي تشعر بأن حياتها بأكملها رهن إشارة فاطيمة.

**- تفضلي القهوة.**

**قالت فاطيمة:**

**- شكرًا لكِ، اعتذر إذا تسببت لك بتذكر مواقف تزعجكِ.**

**حاولت فاطيمة أن تتصنع اللطف حتى تحصل على مرادها بإقناع ميرا بأن تترك حمد وشأنه بكل بهدوء فقد بدا لها إنها سيدة أجنبية مجنونة، من الممكن أن تفعل أي شيء في سبيل أن يبقى حمد بأمريكا.. مهما كلفها الأمر.**

**- لم تزعجيني أبدًا، لقد رويت لي ما قاله لكِ حمد إنها وجهة نظره للأمور، لا ألومه عليها، أول ما يعجبنا في الأشخاص هي فكرتهم، فكل شخص منّا فكرة تمشي على قدمين وقد أعجبتني فكرة "حمد"، وجدتها جديدة وفريدة من نوعها لم أرى في حياتي هذا الشخص المتدين، الملتزم، الحنون، الشرقي بكل طباعه المتزمتة، ولكنه في نفس الوقت متفتح يتصّف بالعديد من الصفات الأوروبية، ويتحدث بنضج عن كثيرين غيره من الكبار في السن، لقد كانت فكرة حمد شديدة الجمال، ربما أردت الاحتفاظ بها لنفسي، ولكن أؤكد لكِ أنه هو من دعاني للسفر على متن السفينة، ولم أستطع رفض طلبه، ولم أكن أنوي زيارة مصر مرة أخرة بعد انتهاء هذه الرحلة حتى لا أراه ثانية، كنت سأكتفي بإرسال الخطابات للاطمئنان عليه شهريًا، خاصة بعد علمي بأخبار المولود الجديد.**

**- إذا كان هذا هو قرارك، فما الذي حدث على متن السفينة جعلكِ تبدّلينه وتبقين حمد هنا دون حتى أن تذكري له أنه أبّ ولديه ابن ينتظره في مصر؟**

**- لأن أمنيته كانت البقاء معي في أمريكا، هذا هو ما كان يريده.**

**قالت فاطيمة بسخرية:**

**- لا أصدقكِ طبعًا.**

**- ستصدقينني عندما أروي لكِ ما حدث على متن السفينة، وعندما أروي لكِ قصتكِ وقصص الآخرين كما رواها لي حمد بنفسه، ستعلمين وقتها أنني صادقة وأنه كان يروي لي كل شيء عنكم، أنا لست عدوتكِ، ولم أرد لك الموت أبدًا، كل شيء بدأ عندما صعدنا على متن تيتانيك أنا وهنري وكلبنا الصغير"صن" الذي ابتعناه من فرنسا، بصحبة حمد بالطبع، وقتها شعرنا بشيء غريب، وكأن تيتانيك كانت لعنة، لعنة أصابتنا جميعًا.**

*******

## الفصل الرابع

بمجرد إن وضع حمد ملابسه في غرفته رقم 49 نظر من النافذة ليشاهد ما يحدث بالخارج، كانت الشمس تتلألأ على موجات بحر يوم الأربعاء العاشر من أبريل عام 1912م، فخرج من غرفته ليذهب إلى سطح السفينة ويستمتع بالمنظر البديع، وفي طريقه إلى هناك مرّ على غرفة رقم 33، غرفة هنري وميرا وكلبهما صن، ولكنه لم يرد أن يزعجهما فأكمل طريقه وحيدًا إلى الأسفل.

نزل سلّم خشبي طويلًا مزيّنًا بالنقوش الذهبية، ولكن بدلًا من أن يجلس على أحد الكراسي المريحة أمام البحر كما كان يُخطِّط، لفت انتباهه سلّم آخر طويل مقسم إلى نصفين في نهايته قاعة كبيرة، مليئة بالمناضد الفخمة المغطاة بمفارش مزيّنة باللون الذهبي وسمع من هناك ألحانًا جميلة فقرر الدخول إلى هذه القاعة فورًا، أكمل طريقه ونزل على السلالم إلى قلب القاعة التي تحاكي أفضل المطاعم في العالم ولكن على متن سفينة متحركة في عرض البحر، وقتها شعر بأنه واحدًا من أثرياء أمريكا مثله مثل "جون جايكوب إستور" الأمريكي الثري المعروف بتجارة الفراء، الذي كان يجلس على الطاولة التي مرّ عليها حمد لتوّه، نظر إليه كأنه نادى عليه ثم جلس على الطاولة التي بجانبه، جلس بجانب أكثر الأشخاص ثراءً على متن السفينة دون أن يرمش له جفن؛ لأنه الآن فقط أصبح مساوٍ له تمامًا بل أنه أفضل، حيث تنظر النخبة لـ"إستور" نظرة دونية بعدماً تزوج من فتاة في عمر أحفاده، بينما لا يعلم أحد عن حمد شيئًا، فنظر إليه الحضور في القاعة نظرة احترام، خشية أن يكون رجلًا ثريًا وذو نفوذ مثلهم، بالتأكيد لن يسكن أحد في الدرجة الأولى على متن "تيتانيك" شخصًا ليس ثريًا.

أخذ حمد يتفرّس الوجوه من حوله وعلم وقتها بصدق ميرا إنه بالفعل العربي الوحيد هنا، وسيكون حديث الناس بالتأكيد، وكان هذا مرفوضًا بالنسبة له؛ فهو يحب أن يرى نظرات الاحترام والتبجيل من الجميع ولذلك قرر عدم الحديث مع أحد من ركاب الدرجة الأولى حتى نهاية الرحلة لكي لا يعلم أحد قصته.

**قال النادل الذي أتى مسرعًا لتلبية رغبات راكب الدرجة الأولى: "حمد حسب"**

**- ماذا تريد أن تطلب يا سيدي؟.**

**- ماذا يوجد لديكم؟**

**- يوجد لدينا كل ما تريده.**

**ابتسم حمد ثم طلب طبقًا من السمك، الذي اشتهاه بعدما تخللت رائحة البحر إلى كل ذرة في جسده.**

**خمس عشرة دقيقة انتظرها وهو يراقب الجميع خاصة "جون إستور"، ثم قدم له النادل طبق السمك الساخن فبدأ حمد بتناوله بكل رقيّ وأناقة على عكس طريقة تناوله له في منزله مع زوجته، ولم تمض دقائق حتى سمع حمد شجارًا وتعكّر صفو كل شيء؛ توقف ليرى ماَ يحدث فوجد الشاب الذي اصطدم به من قبل أمام السفينة يتشاجر مع أحد أفراد طاقم المطعم.**

**صاح ضاهر:**

**- لماذا لا أستطيع تناول الطعام هنا؟ يمكنني دفع ثمن طعامي، هل تمنعني من الدخول لأنني عربي؟.**

**- لا يا سيدي، مرحبًا بالعرب في المطعم، ولكنكَ من ركاب الدرجة الثالثة، وهنا الدرجة الأولى وغير مسموح لكَ بالتواجد هنا.**

**- فهمتك، تمنعني من الدخول لأنني عربي، لا تتحاذق عليّ بحديث الدرجات هذا، أنتم الأجانب دائمًا عنصريين.**

**لم يستطع حمد أن يترك الجميع يشاهد مشاجرة الشاب الصغير تحتدم مع طاقم المطعم دون أن يتقدم لإنقاذه قائلًا للنادل:**

**- أنا راكب في الدرجة الأولى وهذا ضيفي، فاسمح له بالدخول.**

**ثم قال باللغة العربية لـ ضاهر:**

**- اعتذر لك، بعض الأجانب يتصرفون كالحمقى، ستدخل معي الآن وتتناول غداءك في ضيافتي، اسمي "حمد حسب".**

**ابتسم ضاهر ثم أردف قائلًا:**

**- أنت عربيّ إذًا، علمت ذلك حين رأيت ملامحك لأول مرة خارج السفينة، ولكن عندما لم أجدك في الدرجة الثالثة ظننت أنني أخطأت، شكرًا لضيافتك، لا أريد تناول الطعام في هذا المكان العنصري بعد**

**الآن، انظر إلى الناس هنا، هذا المكان بلا روح، إذا أردت أن تتذوق الطعام الذي يجعلك تصرخ متأوهًا من شدة طعامته، فلتأتِ إلينا في أي وقت.**

**نظر ضاهر إلى نادل المطعم بسخرية قائلًا:**

**- فلتذهب أنتَ وطعامك إلى الجحيم.**

**ثم خرج من المطعم وهو يضحك ويتحدث بالعربية، فنظر إليه الجميع بتعجب لعدم فهمهم ما يقوله..**

**- لا تذهب إلى الجحيم، نحن في عرض البحر، ستطفيء المياة الجحيم، فلتغرقوا أنتم وطعامكم إلى قاع المحيط، انظر إليهم يا أخي حمد، إنهم لا يفهمون شيئًا أجانب حمقى، دعك منهم وسأنتظرك في الأسفل يا صديقي.**

**ضحك حمد على مزحة ضاهر، وهو يشير برأسه بالموافقة، ثم خرج من المطعم ليبحث عن هنري، وميرا حيث وجدهما في قاعة حمام السباحة، ابتسم عندما دخل إلى القاعة ورأى أمامه صفوة العالم بلباس السباحة يلهون ويشربون الخمر بكل أريحية، على غير شكلهم المتحفظ الوقور المعهود، وهو جالس معهم ممددًا رجليه على الشيزلونج الطويل، ولا أحد يستطيع منعه.**

**ضحك عندما رأى هنري يدخل القاعة بلباس البحر، وقد ارتدت ميرا فستانًا صيفيًا أصفر اللون خفيفًا طويلًا، وأمسكت بمنشفة بيضاء لكي يستخدمها زوجها بعد انتهاءه من السباحة.**

**قال هنري ممازحًا:**

**- ألم تر شخصًا بملابس البحر في بلدكم قبل ذلك أيها الفلاح؟.**

**- أقسم لك للمرة العاشرة أعتز بالفلاحين ولكنني لست فلاحًا، ولم أر في حياتي فلاحًا يرتدي لباس البحر بهذا القوام الضخم، أرجوك لا تقفز في حمام السباحة، لا نريد أن نغرق السفينة التي لا تغرق.**

**- ستغرق السفينة بسبب موجة الفكاهة التي غمرتنا بها لتوك.**

**قالت ميرا:**

**-انضجا أنتما الاثنان، وكفى حديثا عن الغرق، تعلمون أنني أتشاءم، اذهب يا هنري لتسبح، وأنا سأجلس هنا بانتظارك.**

**جلست ميرا على الشيزلونج المجاور لـــ حمد بينما قفز هنري في المياه.**

**تساءل حمد:**

**- لم تقرئي رواية "حطام تيتان" إذًا؟**

**- سمعت عنها، ولكن لم أقرأها، واصمت، لا أريد أن أعلم تفاصيلها.**

**- اتفقنا من قبل على مشاركة كتبنا سويًا، أنتِ من اقترحت ذلك، فيجب أن أقول لك ماذا قرأت، القصة لكاتب يدعى مورجان روبرتسون وقد كتبت منذ أربعة عشر عامًا، لقد قرأتها بالصدفة، قبل علمي بسفرنا على تيتانيك، معقول أتخاف ميرا القوية من رواية لكاتب مغمور؟ يا لكِ من حمقاء.**

**- لا تناديني بالحمقاء مرة ثانية، ولا أخاف من الروايات، ولكي أثبت لك، إرو لي القصة، وإذا معك نسخة منها، أعطها لي وسأقرأها بنفسي حالًا.**

**- للأسف لا يوجد معي نسخة منها، واعتذر لأنني قلت أنك حمقاء، أنتِ أذكى امرأة عرفتها في حياتي.**

**شعرت ميرا بالخجل ثم ابتسمت:**

**- ارويها لي، أحب روايتك للأحداث، عندما تروي أي قصة، دائمًا أشعر بأنك بطلها، ولست مجرد قارئها.**

**- أتعلمين أنني أروي لك الحكايات لأنني أحب نظرتك لي وأنتِ تستمعين، أنتِ من تشعريني بأنني البطل، فلا يسعني سوى أن أكون كذلك.**

**نظر الاثنان لبعضهما وهما يبتسمان، فساد الصمت للحظة ثم قال حمد:**

**- تدور الرواية حول سفينة ضخمة، قوية لا تغرق، كان على متنها أثرياء العالم، وكان فيها كل ما يعجب العين ويبهج القلب، أبحرت السفينة في المحيط الأطلسي، وعاش راكبيها في النعيم، قبل أن تصطدم في إحدى الليالي بجبل جليدي، فغرقت السفينة ومعظم من عليها.**

**- جيد، الآن شعرت بالخوف من كل شيء.**

**- ولكنني لم أروي لكِ دور البطل بعد.**

**نظرت ميرا إلى حمد باهتمام، فأكمل حديثه:**

**- إذا حدث لكِ مكروهًا مهما كان الموقف، سأنقذكِ منه، تعلمين هذا، أليس كذلك؟.**

**ثم أمسك بيديها وهو ينظر إلى عينيها قائلًا:**

**- إذا صعدنا ألف سفينة، وغرقت في كل مرة، سأحملك على كتفي وسأقفز بكِ إلى المياه وسأنقذكِ في كل مرة، لا تخافي من شيء أبدًا، أنا هنا.. بجانبكِ، وسأبقي هنا من أجلكِ.**

**سحبت ميرا يديها من يدي "حمد" بعدما شعرت بالخجل والخوف من أن يلاحظهما أحد قائلة بحدة:**

**- تغضب عندما يمزح أحد مع زوجتك لأنك رجل شرقيّ، نعم نحن من الغرب ولدينا ثقافة أوروبية ولكن أزواجنا يغارون أيضًا، بماذا سيشعر هنري إذ رآك تمسك يداي وسمعك تحدثني بهذه الطريقة؟ بالإضافة لأننا هنا مجموعة قليلة من أثرياء المجتمع، أنتَ لا تعلم مدى شهرة هنري هنا، إذا فعلت أي شيء خاطئ سيتحدث عنه مجتمع الأثرياء طوال العمر، ولا أريد أن أغضب زوجي أو أسبب له الحرج، وأرجو أن تفهمني، ولا تغضب مني، ولا تتحدث معي بهذه الطريقة ثانية.**

**- أفهمكِ جيدًا.**

**شعر حمد بالغضب من صد ميرا له، فهو لا يقبل على كرامته أن ترفضه أي سيدة، مهما كانت، فقام من جلسته وبدأ بالتحرك إلى خارج القاعة فسألته:**

**- إلى أين؟**

**أجابها قاصدًا أن يمس كرامتها:**

**- إلى أناس يشبهوني، بعيدًا عن زيف المجتمعات الراقية التي تسجن كل من بداخلها، ولا تكتفِ بسجن أجسادهم فقط، بل تسجن أرواحهم أيضًا.**

**سأل حمد أحد ركاب السفينة عن مكان ركاب الدرجة الثالثة، فأجابه بأن مكانهم بالأسفل، فنظر إلى السلم السفليّ وتمتم ساخرًا.." مرحبا بالحرية."**

**عندما وصل إلى الدرجة الثالثة، سمع أخيرًا اللغة العربية التي اشتاق إليها، الجميع كان يتحدث باللهجة الشامية، وصار حمد يتفرّس في الوجوه وهو يبحث عن صديقه الجديد ضاهر فلم يجده، فبدأ يتغلغل وسط المكان المزدحم إلى الداخل، فيما كانت تراقبه الناس، فملابسه الإنجليزية الفاخرة الصنع، جعلتهم يظنون أنه فردًا من طاقم عمل السفينة جاء ليراقب أوضاعهم، أو أنه أحد الأثرياء ضل طريقه، فساء حظه ووصل إلى قاع السفينة بدلًا من قمتها.**

**ظل حمد يبحث عن الشاب الصغير، حتى مرّ على فتاة ترتدي تنورة منقطة، يعلوها قميص ابتلعته الجيبة الواسعة حتى تبين خصر الفتاة الممشوق، وقد أكسبتها ضفيرتها المائلة على كتفها الأيمن مظهر الفتاة الرقيقة، إلا أن هذه الرقة سرعان ما اختفت، عندما بدأت في التحدث إلى الشاب الذي يرتدي ملابس شامية، حيث البنطال الواسع والقميص والسديري المزركش، وفوقه شال مقلم، والذي كان يجلس بجانبها على مقعدًا بين عشرات المقاعد المتناثرة بجانب النوافذ.**

**قالت فاطيمة:**

**- ترى ماذا يفعل هذا الثري الأحمق هنا يا يوسف؟ هل ضل الطريق؟ أستطيع إيصاله بركلة واحدة إلى مكانه بالأعلى.**

**أجابها يوسف:**

**- لا أعلم من هذا؟ ولكن لا تتحدثين أمامه بهذه الطريقة الفظة، فمن الممكن أن يكون يتحدث العربية، ومن الممكن أن يكون تعلّم فقط الشتائم بالعربية، حتى يعلم من يقوم بشتمه أمامه، فالأفضل أن تبتعدي عنه وتصمتين، لا نريد أن نصل إلى أمريكا على متن قارب نجاة.**

**- لا تكن جبانًا، انتظر سأجعلك تضحك على هذا الأجنبي الآن.**

**وقفت فاطيمة أمام حمد وارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها، الخال من أي مساحيق تجميل وقالت بالعربية:**

**- أهلا بك أيها الأحمق، هل هربت منك حبيبتك الثرية فجئت تبحث عنها هنا؟ أم ضللت طريقك مثل الطفل الصغير؟ لا تقلق من الممكن أن نركلك بأرجلنا من هنا، فتصل إلى الدرجة الأولى خلال لحظات طائرًا، دون أن تبذل أي مجهود.**

**رد حمد:**

**- أشكركِ كثيرًا، أقدر لكِ شعورك النبيل في إيصالي إلى غرفتي بالدرجة الأولى في أسرع وقت، ولكنني أبحث عن شاب يدعى ضاهر، ولن أعود حتى أجده، وبالمناسبة الأحمق هو من لا يستمع إلى النصيحة.**

**واصل حمد تحركه إلى الأمام، وسط ذهول من فاطيمة التي وقفت في مكانها دون أن تحرك ساكنًا من شدة إحراجها، حتى قام يوسف من جلسته، وجلبها من ذراعها وجعلها تقف وراءه، وقام بالمناداة على حمد:**

**- يا أخي.. اعتذر لك عما فعلته ابنة عمي، هي فقط تكره الأجانب الأثرياء لسوء معاملتهم لنا، أنظر لحالنا هنا ولحالهم هناك، تستطيع أن تقول أن مشاعرهم لا تكون بهذا اللطف الظاهر عليهم عند التعامل مع العرب، أنا شقيقك "يوسف أحمد مسلماني" من لبنان، وهذه ابنة عمي فاطيمة مسلماني، ويسافر معنا ابن عمنا الآخر مصطفى نصر مسلماني، تشرفنا بمعرفتك.**

**- الشرف لي، أنا حمد حسب، مصريًا ولستُ أجنبيًا، ولا تعتذر لي، فأنت لم تفعل شيئًا.**

**ثم نظر إلى فاطيمة المختبئة وراء ابن عمها وأكمل حديثه:**

**- من وجب عليه الاعتذار هو من تسرّع في الحديث ولم يستمع إلى النصيحة.**

**تحركت فاطيمة من وراء يوسف، ثم قالت:**

**- أنا أ....**

**قاطعها حمد:**

**- سيدتي أنا رجل شرقي، أعرف الأصول، لا أضع امرأة في موضع اعتذار مني أبدًا، أريد منك فقط الانتباه جيدًا لتصرفاتكِ، حتى لا تعرضين نفسكِ أو أبناء عمومتك للخطر، وتشرفت كثيرًا بمعرفتكم.**

**اصطدام في الكتف، ثم ظهر شاب يجري بأقصى سرعة، أصبح هذا المشهد مألوفا بالنسبة إلى حمد، فابتسم لـ فاطيمة ويوسف قائلًا:**

**- وجدت أخيرًا من أبحث عنه، بالإذن.**

**ركض حمد وراء ضاهر إلى أن أمسكه من ذراعه، فضحك ضاهر مجلجلًا..**

**- العربيّ الغامض، أول من يمسك بي على متن تيتانيك.**

**- لماذا تركض معظم الوقت؟ هذا يجعلك تصطدم بكل شيء أمامك، ألم تتعلم المشي مثل بقية الناس؟.**

**- ليس لدي الوقت لأسير مثلكم بهدوء، يجب عليّ الركض لكي أصل في موعدي.**

**- أي موعد تتحدث عنه، أمجنون أنت؟**

**- أقصد موعدي مع الحياة، أنا رجل أعمال مبتدئ يا أستاذ.**

**- وفيما تتاجر يا رجل الأعمال المبتدئ؟**

**- لا أعلم بعد، ولكن عمي تاجر كبير في بنسلفانيا، وسيعلمني التجارة في كل شيء عندما أعمل معه.**

**- حسنًا أيها التاجر، فلتعرفني على نفسك كما يتعرف الرجال، أنا حمد حسب مصري وأعمل كترجمان.**

**- أنا ضاهر شديد من لبنان، ضيعة عبرين، عمري تسعة عشر عامًا، وأقوم حاليًا باختيار أجمل فتاة عربية على متن السفينة حتى أتزوجها بمجرد وصولي إلى منزل عمي.**

**- لست بحاجة إلى الزواج، بل أنتَ بحاجة لعقل جديد، وحمدًا لله أنكَ قابلتني حتى أصنع لك واحدًا، تمهّل، الدنيا لا تجري وراءك.**

**- من قال أنها تجري ورائي؟ أنا الذي أجري وراءها.**

**أشار ضاهر إلى سيدة تقف بجانب إحدى النوافذ قائلًا:**

**- أنظر إلى هذه السيدة الجميلة؟ يا للخسارة، إنها تبدو في عمر والدتي، كنت سأختارها لتكون الفتاة المنشودة.**

**التفت حمد ليرى السيدة، فوجدها ميرا وقد دخلت إلى الدرجة الثالثة بفستانها باهظ الثمن وملامحها الأجنبية التي بدأت تستفز الجميع، فهرع إليها قبل أن تنتقدها فاطيمة أو أي شخص آخر.**

**سألها حمد مندهشًا:**

**- ماذا أتى بكِ إلى هنا؟.**

**- بحثت عنك كثيرًا في الأعلى ولم أجدك، وهذا المكان الوحيد الذي ظننت أنه من الممكن أن تذهب إليه، عندما تذكرت قولك أناس تشبهني، أصبحنا أنا وهنري لا نشبهك؟.**

**- هذا ليس المكان المناسب للنقاش، الجميع ينظر إلينا، هيا بنا لنخرج من هنا.**

**- أنتَ زوج الست إذًا؟**

**صوت نسائي جاء من آخر القاعة، ومن دون أن يلتفت إليه حمد قال:**

**- هذه المرة ستعتذرين يا فاطيمة، لستُ من النوع الذي يسمح للآخرين بتكرار أخطاؤهم في حقه.**

*** * ***

وقف حمد على سطح السفينة ينظر إلى البحر الهادئ موجاته، فنظرت إليه ميرا وبدأت في التحدث، محاولة أن تعيد الأمور لما كانت عليه.

- لم أقصد إغضابك، ولكنني أحب زوجي، هو رجل طيب، يحبني، أعترف بأنه ابتعد عني في الفترة الأخيرة لانشغاله بالعمل، أو ربما يكون اشتاق للأطفال وتذكر أنني السبب.. لا أعلم ما سبب ابتعاده عني بالضبط، ولكنني أعلم أنه يحبني وهذا ما يهم.

رد حمد بسخرية وهو ينظر إلى البحر دون أن يلتفت إلى ميرا للحظة.

- بحثتِ عني في كل شبر بالسفينة، كي تخبريني كم تحبين هنري؟

- بحثت عنكَ لأنني أغضبتك، وأعلم أنك عندما تغضب تترك كل شيء وتختفي، ولا أحب أن أشعر بهذا الإحساس، أنك ضعت مني، ولا أعلم مكانك، أرجوك لا تغيب.

بدأ صوت ميرا يختنق، وكانت ستشرع في البكاء، فالتفت إليها حمد وابتسم قائلًا:

- خلال تناولي لوجبة الغداء في المطعم، علمت أنه ستقام حفلة راقصة في المساء احتفالًا بأول يوم إبحار على السفينة، ستعزف الأوركسترا ألحان موتسارت، وباخ، وأجمل المقطوعات العالمية، ما رأيك أن نحضرها جميعًا؟.

ابتسمت بعدما علمت أنه سامحها:

- بالطبع، سأخبر هنري وسيوافق على الفور.

في السابعة مساء، قام حمد بالطرق على باب غرفة هنري وميرا، ففتحت ميرا الباب وهي عابسة الوجه، وطلبت منه الدخول.

أغلقت الباب وقالت:

- هنري أصيب بنزلة برد شديدة بعد نزوله إلى حمام السباحة، ولن يستطيع الذهاب إلى الحفل الراقص، آسفة.

همس حمد:

- هنري مصابًا بنزلة برد، ولكن أنتِ لست مصابة، صحيح؟.

- نعم صحيح، ولكن لا أستطيع تركه وحده هنا، وأذهب أنا لأرقص.

- الحفل سيقام على متن السفينة، لن نسافر إلى بلد آخر ونتركه وحده هنا، أنه فقط مصابًا بنزلة برد، لن تفيديه بشيء وأنت محبوسة

معه في الغرفة، ولكي تطمئنين أكثر، اطلبي من طاقم السفينة شخصًا يجلس معه هذه الفترة القصيرة، نادلًا أو أي شخص آخر، لن نتأخر.

صمتت ميرا ونظرت لـ حمد للحظات، فتحدث هو، كي ينهي لها حيرتها:

- هيا يا ميرا، بالتأكيد هنري سيكون سعيدًا لأنك تستمعين بوقتك، سأنتظرك بالخارج.

أغلقت ميرا باب الغرفة بعد أن خرج حمد، ثم ضحكت، ووضعت يديها على فمها لتكتم صوت ضحكتها العالية، حتى لا يسمعها زوجها، وتمتمت:

- لماذا يدق قلبي بهذه السرعة؟ ولماذا أضحك مثل البلهاء؟ لا يوجد شيء مضحك، زوجي مريض، وأنا على متن سفينة في عرض البحر، ولكن عندي موعد مع حمد.

نصف ساعة انتظرها حمد على سطح السفينة وهو ينظر إلى البحر، حتى تخللت إلى أنفه رائحة تشبه رائحة الملائكة، أسماها كذلك لأنه لم يشم مثلها من قبل، فالتفت ليرى ميرا قد تخلت عن وقارها المعهود، حيث ارتدت فستانًا قصير الأكمام، مكشوف الصدر، لونه مزيج بين لون السماء والأرض، اللبني والذهبي، تلألأ جسد ميرا تحت ضوء القمر، بسبب قماشة الفستان اللامعة، فنظر إليها حمد بإعجاب، فابتسمت ونظرت بخجل إلى الأرض.

- بالرغم من أنك رفعتِ شعرك كما تفعلين دائمًا، إلا أنك جدّلتيه هذه المرة، وأعطيتي الحريةَ أخيرًا لبعض الخصل كي تنسدل على وجهك، شعرك الذهبي ينير وجنيتك عندما يلمسهما.

ازدادت وجنتيّ ميرا احمرارًا ثم قالت بصوت خافت:

- ألن نذهب للحفل؟.

ابتسم هو ابتسامة عريضة:

- بالطبع، سنذهب.

سمع حمد وميرا أنغام موسيقى الفالس قادمة إليهما من القاعة الكبيرة، فوقفَ أمام الدرج للحظة، ثم مدّ حمد ذراعه، فنظرت إليه مبتسمة ثم وضعت ذراعها فوق ذراعه، ونزلا الدرج معًا، حتى وصلا، ثم بدأ في الرقص على الفور، دون التحدث بأي كلمة، فقد شعر الاثنان

**أنه لا داع للكلمات الآن، هناك طرق كثيرة للتواصل بين البشر، وجاء دور الرقص ليكون وسيلة التواصل بينهما.**

**وضع حمد ذراعه حول خصر ميرا، ووضعت هي ذراعها حول كتفه، وأخذا يدورا ويدورا حتى أصبحا في جميع أرجاء القاعة في نفس الوقت، فقد لفتَ أنظار الجميع من شدة ضحكهما وهما يرقصان بحماس وحميمية، وكأنهما طفلان، وليس رجل كبير وامرأة تكبره.**

**هدأت الموسيقى نسبيًا، ففوجئت ميرا بـ حمد قد جذبها إليه وضمّها بشدة، إنه احتضان وليس رقصًا، هكذا شعرت، فذراعاه ملتفّان حولها، ورأسه مستندة على كتفها، وفمه بالقرب من أذنها، أنفاسه أصبحت مختلطة بأنفاسها، وجسده يوشك على أن يصبح جزء من جسدها.**

**ضحكت ميرا وهي تهمس في أذني حمد:**

**- أيها المصري، هذا ليس رقصًا، هذا يسمى احتضان.**

**- أعلم.**

**- ولماذا تفعل ذلك؟**

**- فقط لأنني أريد.**

**- أتريد أن تحتضنني؟**

**- مثلما تريدين أنتِ.**

**- أنا لا أحتضنك.**

**- وبماذا تفسرين وجود ذراعيك على ظهري، وشفاهك القريبة جدًا من أذني؟ الاحتضان يتطلب اثنان يا ميرا  لا يوجد احتضان بطله شخص واحد.**

**-أفلتني.**

**قامت ميرا بسحب ذراعيها من على ظهر حمد، ثم دارت برشاقة بعيدًا عنه، فالتقط "حمد" ذراعها مرة أخرى وجلبها إليه بقوة، وأحكم وضع ذراعه حول خصرها، حتى التصق صدرها بصدره، وجبهتها بشفاهه، ثم قال:**

**- لا، لن أفلتك أبدًا.**

**ساعة من الرقص غير المنقطع، جعلت حمد  وميرا الثنائي الراقص الوحيد المتبقي على الساحة، فكل ذراع من ذراعيهما كان يحمل رأس الآخر من شدة التعب، أصبحا يمشيان لا يرقصان، ولكنهما لم يريدا لهذه**

**اللحظة أن تنتهي، هي الآن مجرد راقصة، وهو كذلك، ولكن بعد انتهاء هذه الرقصة، ستعود هي إلى زوجها، وسيعود هو إلى غرفته، ولن يتلاقى وحديهما مرة أخرى، إذن على هذه اللحظة أن تستمر إلى الأبد.**

**شعر حمد وميرا أن الجميع ينظر إليهما باهتمام، فقال حمد:**

**- أتودين الخروج من هنا؟**

**نظرت ميرا نظرة الشخص قليل الحيلة قائلة:**

**- لا بأس، لنذهب.**

**خرجَ سويًا إلى سطح السفينة، فوجئت ميرا بشدة الهواء ليلًا، فتوقفت في مكانها من شدة البرودة، وراح شعرها يتطاير بفعل الهواء، فقام حمد باحتضانها ليدفئها، ومشى معها حتى وصلت إلى غرفتها، فابتسمت قائلة:**

**- شكرًا يا حمد على هذه الأمسية الرائعة.**

**- من الممكن ألا تنتهي الأمسية الآن.**

**قالت باهتمام:**

**- كيف؟**

**- كنت سأعرض عليك أن نجلس سويًا بالخارج، ولكن الهواء شديد البرودة الآن، وهنري مريض، لا نستطيع أن نجلس بجانبه ونقوم بإزعاجه، فلماذا لا تأتي إلى غرفتي ونجلس سويًا لبعض الوقت؟ لم تري غرفتي بعد، وسأحضر بعض الطعام، ونتناول العشاء سويًا.**

**ابتسمت وصمتت، فهي لا تعلم كيف تجيب على هذا العرض؟ لديها رغبة أقوى منها تحثها على قبوله، إذا ضغط عليها حمد لن تستطيع الرفض، ليس لديها القوة الآن لترفض، ولماذا ترفض أصلا دعوة عشاء من صديق؟ إن كل شيء طبيعي، فلا داع للتفكير الزائد عن الحد.**

**أخرج حمد من جيبه مفتاح غرفته وأعطاه لها قائلًا:**

**- افتحي الغرفة، وانتظريني بها، دقائق قليلة وسأعود بالطعام.**

**دقائق قليلة بالفعل وعاد حاملًا صينية الطعام، دق على باب الغرفة ففتحت له ميرا، ثم جلست على الكرسي المقابل للفراش، أمام طاولة الطعام الصغيرة.**

**- أحضرت لكِ الدجاج، أعلم أنك تحبينه، وأحضرت لنفسي من نفس طعامكِ.**

**قالت ميرا ضاحكة:**

**- جيد، حتى لا تأكله مني، مثل كل مرة.**

**- أنا يا ميرا؟**

**- نعم، لقد نحفت ثلاثة كيلو جرامات منذ أن زرت القاهرة، أنت تأكل كثيرًا جدًا، لدرجة أنني أشفق عليك وأعطيك بقية طعامي، من الممكن أن تلتهم كائن حي إذا كنت تشعر بالجوع.**

**- لماذا لا نجرب عمليًا، أشعر بالجوع الآن، أبشري ستكونين أول كائن حي ألتهمه.**

**- لا تستطيع.**

**- بلى، أستطيع.**

**- لا**

**- سأريكِ.**

**قام حمد من جلسته، وسار نحو كرسي ميرا التي دوّت ضحكتها في أرجاء الغرفة، وخلعت حذاءها ذو الكعب العالي ثم أمسكت ذيل فستانها بيديها حتى ظهر نصف ساقها الأبيض لتجري بحرية في كل مكان، ولكن حاصرها حمد فجأة، فقفزت فوق الفراش، فقفز وراءها ووضع رجله تحت كعبها، فسقطت ممددة على الفراش وسقط هو فوقها، وضحك الاثنان، إلا أن ضحكتها هي تبددت بعد أن ظل حمد فوقها ولم يتحرك للحظات، فقط كان ينظر إلى عينيها نظرة طويلة، جعلت قلبها يدق حتى صارت تسمعه بأذنيها، ثم بدأ حمد يقترب من شفتيها، حتى شعرت ميرا بدفء أنفاسه، ثم لمست شفاهه شفاها، فارتجفت، ثم قبّلها قبلة طويلة، أغمض خلالها الاثنان أعينهما، فتوقف الزمن، وأصبحت الدنيا ممتدة إلى ما لا نهاية.**

**في هذه اللحظة شاهد الاثنان مشاعرهما أمامهما، لون ورديّ يعانق السعادة، ترتبت مشاهد الدنيا أمام الحالمان، حيث صار كل شيء أخيرًا في مكانه الصحيح، إنهم يشاهدون فيلمًا جميلًا، ما أحلى هذه الحياة، ما أحلاها، آه لو تمتد هذه القبلة إلى نهاية العمر.**

**نظر حمد إلى ميرا التي استفاقت من هذه اللحظة، وتذكرت زوجها المريض، فقامت من الفراش، وأعادت توضيب شعرها، وتجنبت النظر إلى "حمد" قائلة بصوت متقطع:**

**- سأذهب، سأذهب إلى غرفتي، هنري يحتاجني الآن.**

**وقف حمد أمامها قائلًا:**

**- لماذا تهربين؟.**

**نظرت إلى الأرض وهي مرتبكة..**

**- أنا لا أهرب، وممن سأهرب؟.**

**صاح هو بغضب..**

**- أنظري إليّ ولا تخجلي، لم نفعل شيئًا يستحق الخجل.**

**نظرت إليه وعيناها ممتلئة بالدموع..**

**- بلى، يوجد ما أخجل منه، لقد قبلتني، وهذا خطأ كبيرًا.**

**- القبلة مثل الحضن يا ميرا، أيضًا تحتاج إلى اثنان، أنتِ قبلتيني أيضًا، شعرت بشفاهك تلتهم شفاهي، لقد كنت متشوقة لهذه القبلة، تنتظريها كما أنتظرها، لماذا تبكين؟**

**صمت للحظات ثم قال بحزن..**

**- حتى إذا كانت قبلتنا خطأ، تقبلي خطؤك بشجاعة، ولا تهربين منه.**

**صرخت في وجهه بعد أن فاض بها كيل مشاعرها..**

**- نعم، قبّلتك، وكنت أتمنى أن أقبّلك في يوم من الأيام، وهذا حدث أخيرًا، ولكنه كان حلما جميلًا قصيرًا، سأعيش بعده في كابوس طوال عمري، لقد خنت زوجي، وأنتَ خنت زوجتك.. ولكني لست خائنة، وأنت لست بخائن، يجب أن ننهي علاقتنا ببعضنا البعض، ستكون هذه الرحلة آخر أيامنا سويًا.**

**تحركت ميرا إلى الأمام ثم أمسكت بمقبض الباب فجاء صوت حمد من الخلف:**

**- أو بدايتها يا ميرا.**

**تسمّرت في مكانها، وشعرت بقلبها يتصلّب، وثقل عليها حمله، فيما أكمل حمد حديثه بكل هدوء:**

**- أحب زوجتي، ولكنني أشعر بهذه العاطفة القوية تجاهك، إن حبي لـــ فاطمة هو حب الاستقرار، حب المنزل، وحب العائلة، حب يشبه حبي لوالدتي، أما شعوري نحوكِ فهو شعور طائش، أهوج، مثل الشرارة التي لا تريد أن تنطفيء، لا أستطيع كبحه، وليس بيدي منعه أو نسيانه.**

**- لا يمكن لرجل أن يحب امرأتان.**

**- بلى، يمكن للرجل أن يحب امرأتان.**

**قالت ميرا وقد تساقطت الدموع على وجهها:**

**- هل تحبني إذًا؟.**

**صمت حمد للحظات وهو ينظر إليها، فقطعت ميرا هذا الصمت قائلة بغضب:**

**- أنت حتى لست متأكدًا من حقيقة مشاعرك نحوي، تبًا لك يا حمد حسب.**

**خرجت من الباب مسرعة وهي تمسك حذاءها بيدها وتبكي، ثم وقفت في الممر للحظات حتى هدأت، ومسحت دموعها، وأكملت طريقها إلى غرفتها.. إلى زوجها هنري.**

*** * ***

**قاطعت فاطيمة رواية ميرا، ولم تدعها تكمل جانبها من القصة، فقد شعرت بأنها تحاول الدفاع عن نفسها باستماتة، وأن القصة ليست حقيقية، فقالت:**

**- لا أصدق أن هذا هو ما حدث يا ميرا، كيف يفعل حمد ذلك بزوجته؟ لا بد وأن هناك خطأ ما، لقد قضى معنا اليوم الثاني للإبحار في الدرجة الثالثة، وما قاله لي، يخالف قصتك تمامًا، كفى كذبًا، كفى.**

***********

# الفصل الخامس

دوّت طلقات البنادق بقرية عبرين طوال الليل، احتفالًا بزفاف ميلاد شيخ شباب الضيعة، حيث تجمّع حوله أصدقاءه يرقصون ويدبكون إلى الساعات الأولى من الصباح.

كان ضاهر شديد، جار وصديق ميلاد، يجيد الرقص بالبندقية، كما يجيد أي عاشق الرقص مع حبيبته، كان صيادًا ماهرًا، تقف الفتيات على ناصية حارته لتراقبه وهو يمشي متباهيًا ببندقيته الملقاة على كتفه، ذاهبًا للصيد، كان باستطاعته صيد أي شيء يتحرك من على بعد كبير، ولكن ما كان يعجب الفتيات، هو ثقته بنفسه عندما يحمل البندقية، كيف يمسكها؟ كيف يدللها؟ ودت الفتيات لو أنه يحتضنهم كما يحتضن بندقيته..

لو أنه يتزوج إحداهن فتتباهى بإنها تزوجت القبضاي، ابن صاحب محل البقالة، صاحب الأملاك، الذي يستطيع أن يدافع ببندقيته عن حبيبته، ضد أي رجل يرفع عينه عليها.

بالرغم من أن هذا هو المعروف عن ضاهر في الضيعة، إلا أنه كان شابًا خجولًا، رومانسيًا، خفيف الظل، لا يحب العنف أبدًا، فقط كان يحب الصيد كثيرًا، يحب فيه الاختلاء بنفسه، هدوء البرّية، ومراقبة الحيوانات، كان يوّد لو أنه يتعرف على فتاة جميلة، بشعر غجري، تشبه البرية التي يعشقها، وتلازمه أوقات الصيد، تجلس بجانبه كل صباح ليشاهدان شروق الشمس سويًا، يصطاد لها أرنبًا، طائرًا، أو أي شيء تحب طهيه العروس، ليعودان لنفس المكان مساءًا، ويتناولان ما قام بصيده في الصباح، وهما يتنفّسان هواء الضاحية العليل، فيأكل "ضاهر" وهو ينظر إلى الخضرة، والوجه الحسن، إنها الحياة المثالية التي تخيلها لنفسه، والذي اعتقد أنه حان الوقت لبدايتها.

بعد انتهاء العرس، سار ضاهر مع صديقه "حنّا" للعودة سويًا إلى منزليهما المتجاوران، وخلال العودة كانت الشمس قد أشرقت، فقال "حنّا":

- ما رأيك بأن نذهب للصيد الآن؟.

شعرَ ضاهر بالإرهاق، وكان بحاجة شديدة للذهاب إلى المنزل والنوم، وكانت هذه أول مرة يرفض فيها عرضًا للصيد، ولكن أصر حنّا عليه:

- هيا أيها العجوز، أتشعر بالإرهاق من الرقص لبضع ساعات؟ هيا لنصطاد، أشعر أنك تخشى من المنافسة، لن تستطيع صيد شيئًا وسأهزمك مرة أخرى.

- لا أحد يهزمني في الصيد، لم أصطاد المرة الماضية لأنني لم أريد ذلك، كنت أريد فقط الاستمتاع بمنظر الشروق، ولكن هيا، مادمت تتحداني، سأريك كيف يصوّب ضاهر شديد؟

ذهب الشابان إلى الضاحية ثم وقفا في انتظار الفريسة التي ستأت إليهما بإرادتها، وتسلّم نفسها للقدر، ولم تمر سوى دقائق، حتى دوّت طلقة من بندقية حنّا اصطاد بها أرنبًا صغيرًا، ودقائق أخرى، ثم اصطاد أرنبًا آخر، وكان ضاهر يشاهد فقط، وتغفل عينيه في معظم الأوقات من شدة التعب.

قال حنّا ممازحًا:

- لم تصطاد حتى عصفورًا، أعتقد بأن أيام صيدك قد وّلت، فلنعد إلى منازلنا لتسترح وتنام، تأخرنا عن معاد نومك يا جدي.

شعر ضاهر بالغضب:

- أيامي هي القادمة، سأريك الآن كيف تصطاد

التفت ضاهر لمنطقة بها العديد من الأشجار:

- أتسمع حفيف الأشجار هناك؟ شيئًا ما يتحرك، انتظرني، سأذهب لصيده وأعد لك خلال دقائق.

مشى ضاهر ببطء تجاه الأشجار، وكلما مشى خطوة، كلما سمع الصوت بشكل أوضح، ثم دخل وسط الأشجار، حتى اختفى عن أعين حنّا الذي كان يراقبه من بعيد، وما هي إلا لحظات، حتى سمع حنّا صوت طلقة البندقية، فضحك، إلى أن رأى ضاهر خارجًا من وراء الأشجار، ووجهه شاحبًا، يشير له بيديه ليجري معه، دون أن ينطق بكلمة.

ركض ضاهر وكأنه رأى روحه قد خرجت من جسده، تجري أمامه ويحاول اللحاق بها ليستطيع التنفس حتى ولو لمرة واحدة فقط، فلم تمر دقائق إلا وكان يطرق "ضاهر" على باب منزله بقوة، فاستيقظ كل من فيه، وفتح والده الباب وكانت من وراؤه والدته، فقام ضاهر بإلقاء البندقية على الأرض، وقال لوالده مرتجفًا:

- أبي.. قتلت فتاة عند الضاحية، لم أقصد قتلها يا أبي، لم أرها بوضوح.. اسأل حنّا، كان معي، كنت مرهقًا، لم أرها وسط الأشجار.

شعرت والدته بالذعر فاحتضنته، وخبأت رأسه داخل صدرها في محاولة منها لجعله مخفيًا عن العيون..

قال والد ضاهر:

- اذهب يا حنّا إلى منزلك، ولا تخبر مخلوق بما حدث، وانسى أنك رأيت ضاهر اليوم.

خرج حنّا من المنزل باكيًا، بعد أن ودّع صديقه، فهو لا يعلم هل سيراه مرة أخرى، أم أن هذا هو اللقاء الأخير.

ارتدى والد ضاهر معطفًا طويلًا كان معلّقًا وراء الباب ثم حمل البندقية الملقاة على الأرض على كتفه، وأمسك بذراع ابنه فأخرجه من حصنه بحضن والدته قائلًا:

- هيا لنرحل من هنا، سيكتشف أهل الفتاة وفاتها بعد قليل، وسيعلمون أنك من قتلها، نحن في ضيعة صغيرة لا تستطيع كتمان السر، ولا يغلق جفن لمن قتل له ابنًا يا ولدي، سيعلمون.

دوّى بكاء والدة ضاهر في أرجاء المنزل وكأنها تنعي ابنها، بينما جذبه والده بشدة نحو الباب.

- هيا يا ضاهر، لا وقت لدينا يا ابني، سترى أمك ثانية، بعدما تهرب إلى مكان آمن.

قال ضاهر قصته لـــ حمد الذي كان يجلس بجانبه بعدما قرر قضاء اليوم الثاني للإبحار مع أصدقاءه الجدد.

- قضيت أيامي المتبقية بلبنان بمنزل أصدقاء أبي بزغرتا، حتى أرسل لي عمي تذكرة السفر إلى أمريكا، ولم أشعر بالأمان للحظة إلا بعد ما صعدت على متن تيتانيك.

قال حمد ممازحًا:

- حسنًا.. أنا أجلس بجانب رجل نجى من الموت.

ابتسم ضاهر ونظر إلى الأرض، شاردًا، يتذكر وجه الفتاة وهي ممددة فوق أوراق الشجر على الأرض، فصمت للحظات، إلى أن قال حمد:

- يجب أن تنسى ما فاتك، لا تشعر بالذنب فأنت لست بقاتل، ما حدث هو قضاء وقدر، أمامك الآن حياة جديدة، فلتخطط لها ولتفكر فيما هو آت، انكتب لك عمر جديد.

- أقسم لك أن الفتاة كانت تبتسم لي، علمت بعد ذلك أن اسمها "نورين"، كانت نائمة على الأرض مثل الملاك، رائحتها مثل رائحة الفراولة الطازجة، كانت تبتسم لي مع أني قاتلها، لو لم يحدث كل ذلك ورأيتها في ذلك اليوم، لكنت طلبت منها الزواج على الفور، وكان سيزفنا جميع أهل الضيعة بالبنادق والسيوف.

قالت فاطيمة التي قاطعت الحديث:

- تتحدثون عن بنورة إذًا؟

فأجاب حمد:

- ومن هي بنورة؟.

- بنورة، عروس التيتانيك، ألم تسمع عنها؟ سمعتكما تقولان كلمة زواج، فظننت أنكما تتحدثان عن بنورة.

قال حمد ممازحًا:

- إذا كنت تريدين المشاركة في الحديث، فكان من الممكن أن تلقي التحية وتتحدثين معنا بكل سهولة، دون الحاجة لأن تتابعي الحديث عن بعد وتلتقطين منه كلمة واحدة، ثم تتدخلين لتتحدثي كشخص يزوّدنا بالمعلومات وليس كشخص فضوليّ يريد أن يعرف فيما نتحدث؟

ردت فاطيمة بغضب:

- ومن قال أنني أريد التحدث معك من الأساس يا راكب الدرجة الأولى؟.

ضحك ضاهر:

- إنه يمزح معك، عذرًا يا حمد إنها غاضبة هكذا طوال الوقت، ولكنها طيبة القلب، هذا ما قاله ابن عمها يوسف، لقد تأكدت بنفسي من أنها غاضبة طوال الوقت، ولكنني لم أتأكد بعد من معلومة أنها طيبة القلب.

قالت فاطيمة معاتبة:

- هذا ما عرفته من ابن عمي يا ضاهر؟، حسنًا، لن أتقاسم طعامي معك بعد الآن.

حاول حمد وضاهر التوقف عن الضحك بعد استفزازهما لـ"فاطيمة" التي ظلت واقفة مكانها تنتظر اعتذار أيًا منهما، حتى وقف حمد واقترب منها قائلًا:

- أرى قلبك الطيب في عينيك، لا أحتاج سؤال ابن عمك عن ذلك، والآن احكي لي عن بنورة، لم أكن أعلم أن هناك عروسًا على متن التيتانيك.

ابتسمت واحمرّ وجهها خجلًا، ومشت حتى أصبح ظهرها متكئًا على إحدى النوافذ بينما وجهها مواجهًا لـ حمد وضاهر وقالت:

- إنها بنورة أيوب، ولقد صعدت على السفينة بفستان زفافها، وهي تضع أفضل إكسسوار من الممكن أن تتزين به امرأة.

تساءل حمد:

- إذا كان طقمًا من الألماس، فلماذا هي في الدرجة الثالثة؟.

- أفضل إكسسوار تتزين به المرأة هو الرجل الوسيم.

كان يزين ذراع بنورة، ذراع زوجها الوسيم"جرجس عبده"، وكان وراءهما ابن

عمهما "مكرم طنوس" وابنه "جون"، ضحكت ضحكة يملؤها الخبث وأكملت..

- بنورة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا فقط، لا تفهم الإنجليزية على الإطلاق، إذا قلت لها "هالو"، ستفزع، كما أنها وزوجها قضيا معنا الليل بأكمله، وهي لم تفارقني أيضا طوال النهار، لا أعلم كيف ستتزوج وهي تجلس بجانبي طوال الوقت؟.

ضحك ضاهر، فقال حمد:

- ألا يكفي أنك متسرعة وسريعة الغضب، بل أيضًا تقول كل شيء أمام كل الناس دون وعي!

ثم وجّه حديثه لـ ضاهر قائلًا:

- إذا سمحت، هل تستطيع أن تحضر جرجس وبنورة إلى هنا من أجلي؟ أريد تهنئتهما على الزواج السعيد.

ذهب ضاهر لإحضار الزوجين، بينما جلست فاطيمة مكانه.

* * *

لم تكن فاطيمة متسرعة في إطلاق الأحكام، واتخاذ القرارات كما كان يظن حمد، ولكنها كانت بالفعل سريعة الغضب، حتى وإن لم تتحدث بصوت عالٍ بالرغم من أنها تفعل ذلك في معظم الأوقات إلا أنها عندما تبدأ في الحديث، يظن الناس أنها تتشاجر معهم، لأنها لا تعرف كيف تتحدث سوى بهذه الطريقة؟! لم يعلمها أحد كيف تتحدث بلباقة مع الغرباء، كيف أن تظهر بمظهر أنثوي عندما تخرج من منزلها؟ والأهم من ذلك كله، كيف تضعف أمام الرجل، إذا أحبت؟

عندما توفي والدها وهي في عمر العشر سنوات، كانت تذهب مع والدتها لبيع الخضار والفاكهة الطازجة في سوق إحدى قرى لبنان، فتعلمت البيع والشراء، كبرت وسط الرجال، وهي تقف لهم الند بالند، لتحافظ على مكانها وتعيش هي ووالدتها حياة كريمة دون أن يصرف عليهما أو يرعاهما أحد ولشخصيتها القوية؛ كانت تلقّب في ضيعتها، بـ "فاطيمة" أخت الرجال.

لم تتعلم طريقة وضع مساحيق التجميل، فهي كانت تسرع صباح كل يوم للحاق بزبائنها لتبيع لهم الخضروات، غير آبهة بالمظهر، الذي كانت تهتم به جاراتها، وتقوم والدتها بلومها يوميًا بسببه، لأنها لم تصبح "هانم" كما الهوانم جاراتها، بل أصبحت، أخت الرجال، وهو اللقب الذي لا يؤهلها للزواج في سن صغيرة.

عندما تقدمت والدتها في العمر، أصرّت فاطيمة على جلوسها بالمنزل، فباتت وحدها في السوق، وشعر ابن عمها "يوسف" بأنه مضطر إلى ترك عمله بمزارع الزيتون، ليطمئن عليها، هل هناك أحد من الرجال يضايقها؟ هل باعت كل ما

لديها من خضروات؟ هل تناولت طعامها؟ أم كعادتها، لن تتناول لقمة واحدة حتى عودتها للمنزل لتتناول وجبة الغداء مع والدتها.

لم يكن يوسف يعلم كيف يتغزّل بابنة عمه، فمنذ كانَ يلعبان سويًا خلال طفولتهما، لم يتعود منها الحنان أو الملاطفة، ومع اشتداد عودها وقوة شخصيتها، كان يخشى مغازلتها أكثر وأكثر، لم تكن لديه الجرأة لكي يتحمل أن تصدّه فاطيمة، فقرر البقاء بجانبها حتى تحس بمشاعره تجاهها وحدها دون أن يضطر هو للحديث.

شعرت فاطيمة بما يكنه يوسف واهتمامه بها منذ تركه للعب كرة القدم مع الأولاد بالساحة، وبقاءه معها ليجلس بجانبها وهي تبيع الخضار بالسوق، وهي متأكدة من أن مروره عليها كل يوم، وراءه سببا وجيهًا، فابن عمها الآخر مصطفى لا يفعل ذلك، إلا كل شهر.

كان من الممكن أن تجعل مهمة يوسف أكثر سهولة، فهي تعلم ما يريد ووالدتها تعلم أيضًا ماذا يريد؟ والكل في السوق يعلمون ماذا يريد ولكنها كانت على العكس تصعّب عليه الأمور، وتشعره بأنه شقيقًا لها ليس أكثر.

رفضت فاطيمة فكرة الزواج من رجل، تشعر بأنها أرجل منه، فهي تستطيع تحمل المسؤولية بشكل أكبر مما يستطيعه يوسف وهي لطالما حلمت بالزواج من رجل يحتويها، فتخلع عنها عباءة الرجال أخيرًا، وتتركه هو ليتحكم بزمام الأمور وهي مطمئنة، يسيّر لها أحوالها وأحوال والدتها، يبني لها منزلًا يكن هو فيه الرجل لا هي! رجل لا يخشى مغازلتها بل يقتحمها اقتحامًا، ولا تشعر بالخجل عندما تضعف أمامه، هي تريد أن تطلق السراح لضعف الأنثى الذي بداخلها، ولكن لا تستطيع ذلك مع كل من قابلتهم من رجال، بدأت تشعر بقلبّها يتحجّر من الصلابة التي تتصنعها كل يوم، تريد وتتمنى لو تضعف في يوم من الأيام، ولكن لن تفعل ذلك سوى مع رجل تقوى به.

قال يوسف لـــ فاطيمة في إحدى الأيام:

- ما زهقتي من ها التعتير؟

- أريد أن أقتل الفقر، ولكن ليس معي مال كاف لشراء سلاح أقتله به.

في ذلك اليوم عرض يوسف عليها عرضًا يأتي في العمر مرة واحدة، الهجرة إلى الخارج معه هو وابن عمهما "مصطفى"، على متن الدرجة الثالثة بسفينة تيتانيك فهناك فرصة لهم للعمل مع بقية عائلتهم في ولاية إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، وسيدفع لها "يوسف" ووالده ثمن تذكرتها، على أن يعمل الأبناء الثلاثة، ويبتاع كلا منهما منزلًا صغيرًا، وتسافر إليهم بقية أفراد أسرتهم، ويعيشون معهم في "العز" بالخارج، وافقت فاطيمة على العرض السخّي، فأي

مستقبل مزدهر ينتظرها كبائعة خضروات؟ لا يوجد شيئًا يجعلها تتشبث بلبنان سوى والدتها، والتي ستجعلها تسافر إليها بعد بضعة أشهر، وبالتالي السفر إلى أمريكا فرصة ممتازة، إن صابت، أنقذت "فاطيمة" نفسها من الفقر، وإن لم تصب، فلم تخسر شيئًا أكثر مما ستخسره لو بقيت في مكانها.

قالت فاطيمة:

- لي شرط واحد، لا تفكر بالزواج مني يا ابن عمي.

شعر يوسف بالذهول ثم الغضب من جرأة فاطيمة في التحدث بالموضوع الذي خشي هو أن يفاتحها به لسنوات، كيف في كل مرة يحاول فيها مساعدتها تصدّه بهذا الشكل المهين فقال:

- لا تخافي، لن أتزوجك، كما أنني لم أعرض عليك الزواج، ماذا الذي جعلك تفكرين في ذلك من الأساس؟ أعلم أنك لا تطيقيني.

- بالعكس، أنا أحبك كثيرًا، أنت شقيقي الذي لا أستطيع فقدانه، صديقي الذي من الممكن أن أخسره إذا تزوجته، نعم من الممكن أن تتحول الصداقة إلى زواج، ولكن إذا فشل الزواج لا يمكن أن يتحول إلى صداقة، ولن أتحمل خسارتك، انت الرجل الذي تبقّى لي الآن، وأعلم طيبة قلبك، لا تدع عمي يصوّر لك أن ثمن التذكرة هو مهري، فسأسدد له ثمن التذكرة عندما أعمل، وسنكون في الغربة سندًا لبعضنا البعض، لا أريد القلق بشأن أي شيء سوى العمل، وجمع المال لكي تسافر أمي إليّ، فأرجوك لا تجعل غربتي غربتين، غربة البلد وغربة الصديق.

لم يستطع يوسف الغضب منها أو عدم مجاراتها فيما تطلبه، فإذا أرادته أخ وصديق، لا يسعه سوى أن يكون كذلك، ومن يدري ماذا ستجلب لهم الأيام في الغربة؟ فلا داعٍ لاستعجال الأمور، فقال:

- لا تقلقي يا ابنة عمي، سأحميكِ في الغربة، سافري وانت مطمئنة، انتِ شقيقتي ذات اللسان "الفلتان"، التي أحبها، ولن أتركها أبدًا".

* * *

عندما كانت تنظر فاطيمة إلى "بنورة" وهما على سطح السفينة، كانت تفكر في أنه من الممكن أن تكون هي عروس التيتانيك، رأت نفسها في المنام وهي تصعد على سلالم السفينة بالفستان الأبيض في أول ليلة تبيت فيها هناك، ولكنها سرعان ما انشغلت في اليوم الثاني بأفكار أخرى عن صديقها الجديد حمد.

- بنورة تزوجت وهي في الخامسة عشر من عمرها، وضاهر عمره تسعة عشر عامًا، إن زوجها يصغره في العمر..

قالتها فاطيمة وهي غاضبة لانتقاد حمد لها أمام ضاهر..

- لا أقصد ألاّ تتحدثين عن الزواج أمام ضاهر، بل أقصد ألاّ تتحدثين عن أسرار النساء أمام الرجال، حديث النساء يجب أن يظل مع النساء، الفتاة لها حرمتها، تذكري هذا دائمًا.

نظرت إلى الأرض وقالت:

- معك حق، أعتذر.

ساد الصمت للحظات، ثم ابتسم حمد قائلًا:

- السيد جرجس سيتزوج اليوم بالتأكيد.

ضحكت فاطيمة:

- كيف ذلك؟ ستموت بنورة خجلًا إذا حدث أي شيء بينها وبين زوجها، ألا ترى المكان هنا؟ مئات الأشخاص يعيشون سويًا في هذا المكان الضيق، استمعت ليلًا بالأمس إلى أرواح من حولي، وليس فقط لأنفاسهم.

- سيبيت العروسان في غرفتي بالدرجة الأولى الليلة.

- كيف يمكن ذلك؟ الحراسة مشددة من قبل طاقم السفينة على ركاب الدرجة الأولى، نحن لا نستطيع الاقتراب من الأجانب، وكأنهم مخلوقون من ريش نعام سيتطاير إذا مررنا بجانبه.

- لا تكوني متشائمة دائمًا، سأستطيع أن أجعلهما يبيتان في غرفتي، فقط يحتاج جرجس إلى ارتداء ملابس أحد أفراد طاقم السفينة، ولن يلاحظه أحد.

- وبنورة سترتدي إحدى فساتين بنات الذوات، اكتملت الخطة.

- لا، ما زال ينقص بنورة الإكسسوار الجيد.

- ما هو؟

- من هو.. أنا الإكسسوار الذي ستزيّن به بنورة ذراعها، ستصعد إلى الدرجة الأولى معي، وسأذهب معها إلى غرفتي، ثم سيطرق جرجس باب الغرفة كأحد أفراد طاقم السفينة، للسؤال إذا ما أردنا طلب شيء، فسيدخل هو، وأخرج أنا.. بكل هدوء.

ابتسمت فاطيمة ولمعت عينيها وهي تنظر إليه، ثم صمتت للحظات، قال حمد وهو يشعر بالخجل من نظرتها إليه المليئة بالإعجاب:

- لماذا تنظرين إلىّ هكذا؟.

قالت فاطيمة محدثة نفسها.. "يا عيب الشوم، عرف الرجل أنني أعجبت بحديثه،

لماذا بيّنت له؟ ماذا سأفعل الآن؟"

ثم وكأنها تحاول الدفاع عن نفسها أمام تهمة يحاول إلصاقها بها، قالت:

- لم أنظر لك، فقط شردت في التفكير بـــ بنورة، ولكن لي سؤال، لماذا تساعدنا بهذا الشكل؟ روى لي ضاهر قصته بالأمس، ومن ملامح الحزن على وجهه اليوم، تيقّنت أنه كان يرويها لك أيضًا، ولذلك قصدت قطع الحديث بينكما، إنه يبتسم دائمًا، ولكن روحه تائهة مع تلك الفتاة، وقلبه لا يتحمل فكرة أنه قتلها، أنت راكب في الدرجة الأولى، لا يحلم أيًا منَّ بالأقترب منها حتى، فلماذا تركتها وجئت إلى هنا لتجلس معنا طواعية؟

- أساعدكم من أجلي، لطالما شعرت بأنني أعيش مع شخصين، شخص مصري شرقي، وشخص أوروبي متفتح الذهن، أحتاج دائمًا إلى شخصيتي الأوروبية، فهي الشخصية المتمردة على كل شيء، والتي تستطيع أن تحصل على كل ما تتمناه بكل قوة وبأي وسيلة، ولكنني لا أستطيع العيش مع هذه الشخصية طوال الوقت، فسرعان ما أتذكر مبادئي، وأصبح الرجل الشرقيّ مرة أخرى، أنتم الشيء الوحيد الذي يشبه روحي على هذه السفينة، أجد نفسي هنا، لا أستطيع التوازن بدون تواجدي في الدرجة الثالثة بين حين وآخر.

تساءلت فاطيمة لترضي فضولها بشأن علاقته بـميرا:

- تجد نفسك هنا، وتتمرد عليها هناك أقصد مع السيدة المسنّة.

قام حمد واقفًا، واعتلى وجهه الغضب:

- ألم أقل لكِ ألاّ تتحدثي عن النساء بهذا الشكل؟.

ارتبكت وقالت:

- أعتذر بشدة، أرجوك لا تغضب مني، إنها فقط كانت تنظر إليّ نظرة غيرة لم أستطع إلا ملاحظتها، فكان علي أن أسأل، هل هي زوجتك؟.. أعذر فضولي، لن أتحدث عن حياتك الشخصية مرة أخرى.

- لا تعتذري، أعلم فضول النساء جيدًا، تعودت عليه بسبب فاطمة زوجتي، التي تنتظرني في مصر مع ابني حسن.

سار حمد بضع خطوات إلى الأمام، حتى ينظر إلى موجات البحر من النافذة، وتبعته فاطيمة التي انتابتها غصة لا تعلم لماذا انتابتها؟ بعد أن علمت بأن صديقها الجديد متزوج، وقالت:

- حسنًا أنت أب، لم أكن أعرف ذلك، يبدو من ملامحك أنك شاب صغير.

- سبعة وعشرون عامًا ليس عمر شاب صغير، كما أنني لم أصبح أبًا بعد، أنا في مرحلة الانتظار والاستعداد، فالطفل سيولد بعد بضعة أشهر، أتمنى أن أكون أبًا

جيدًا، لا يوجد في حياتي الآن أهم من ابني.

- أهم من زوجتك؟.

- أهم من كل شيء، هل سمعتِ بنظرية توأم الروح؟

- نعم، أؤمن بها كثيرًا، كنا في زمان آخر أرواحًا متآلفة، تفرقنا عندما هبطنا من الجنة إلى هذه الأرض، تظل كل روح تبحث عن توأمتها التي كانت ترافقها بالأعلى، ربما تكن محظوظة وتجدها، وربما لا تجدها أبدًا، وتعيش وهي تشعر بذلك الشرخ الذي لا يرمّمه ممارسة هواية مفضلة، العمل في مجال ناجح، أو حتى الزواج من شخص ما.

- نعم هذه هي يا فاطيمة، ظللت أؤمن بهذه النظرية لفترة طويلة، حتى شعرت بهذا الشعور الغريب عندما علمت بحمل زوجتي، وقتها شعرت أن الحياة وأخيرًا أصبح لها معنى، إنها ليست هذه المشاهد المبعثرة التي نحاول جاهدين ترتيبها كل يوم لمحاولة رؤية أنفسنا بشكل صحيح بل هي أكبر من ذلك، أطفالنا هم توأم أرواحنا، هذا الطفل الصغير قطعة مني، هو الوحيد الذي يشاركني دمائي وملامحي، زوجتي لا تشبهني، ولكن سيشبهني حسن، زوجتي تختلف عني في الطباع ولكن سيحب حسن ما أحبه، وسيكره ما أكرهه توأمي الصغير.

ابتسمت فاطيمة وهي تنظر لـــ حمد وقد اغرورقت عينيها بالدموع قائلة:

- أتمنى أن يصل حسن إليك سالمًا قريبًا.

ابتسم هو قائلًا:

- إن شاء الله.

* * *

قالت ميرا التي اعتلاها الغضب من رواية فاطيمة للأحداث:

- مهلًا، أنتِ تختلقين المواقف ثانية.

ثم أكملت:

- لا يمكن أن يتحدث حمد عن مدى حبه لزوجته ولابنه ويفعل ما فعله بعدها، فهو ليس شخصًا ازدواجيا، ليس بمجنون، كدت أن أحصل على الطلاق في ذلك اليوم من أجله.

قالت فاطيمة:

- حمد كان معنا طوال هذا اليوم، ولم يتحدث سوى عن حبه لزوجته ولابنه، لم يغب عنّا سوى ساعتين فقط، خلال تحضيرنا لحفل الزفاف.

قالت ميرا:

- ساعتان تمهيدًا لكل شيء حدث بعد ذلك، لا تعلمين ماذا حدث فيهما؟ إذا كنت تزعمين بأن كل ما فعله حمد في بداية هذا اليوم هو التحدث عن حبه لزوجته واشتياقه لها، فدعيني أروي لكِ كيف انتهت هذه الليلة؟

ثم بدأت برواية بقية تفاصيل اليوم الثاني للإبحار.

* * *

على متن الدرجة الأولى، كانت تجلس ميرا بجانب هنري النائم على الفراش في غرفتهما، وهي تبكي، قال هنري الذي عدّل من وضعيته ليكون نائمًا ووجهه مقابلًا لـــ ميرا:

- لستُ مصابًا بالطاعون، تعلمين ذلك، صحيح؟.

قالت ميرا:

- أعلم أنك مصابًا بنزلة برد، لا تكن سخيفًا.

- هل يجب أن أقول لك الكلام مباشرة؟ حسنًا، لماذا تبكين؟ أتوسل إليك أخبريني.

تمددت ميرا على الفراش حتى أصبح وجهها مقابلًا لوجه هنري، ثم نظرت إلى عينيه قائلة:

- أتشعر بالسعادة معي يا هنري؟.

- ما هذا السؤال الغريب؟ ولماذا تسألينه الآن بالذات؟

- لم يكن لدي الشجاعة لكي أسأله من قبل، كنت أخاف من الإجابة أكثر من خوفي من طرح السؤال.

- تعلمين أنك تستطيعين سؤالي عن أي شيء في أي وقت يا حبيبتي.

- ولكنك لم تُجبني حتى الآن.

- نعم أنا سعيد معك.

- لماذا تشعر بالسعادة معي؟

- لأنني أحبكِ.

- ولكنك لا تقل لي ذلك، كيف لي أن أعلم أنك سعيد؟ أو أنك مازلت تحبني إن لم تقلها؟.

- لا أهتم بالكلمات، ظننت أن سنوات زواجنا كافية لكي تعلمين طباعي جيدًا.

- أنتَ أكثر شخص على وجه الأرض يعلم أهمية الكلمات، إنها عملك الذي تعشقه، ومشاعرنا تتغير مع الوقت، إنها الشيء الوحيد الذي لا نستطيع التحكم به، كيف أعلم أن مشاعرك نحوي ما تزال كما هي منذ زواجنا إن لم تعبر عن ذلك بالكلمات؟

- لن تستطيعي معرفة ذلك، لأنني شخصيًا لا أعلم، نعم مشاعرنا ليست ثابتة، ولكنني أشعر بهذه العاطفة الكبيرة نحوك طوال الوقت، نحن زوجان، لسنا شابًا وشابة يتعرفان على بعضهما البعض، وكل ما يفكران فيه هو سرقة قبلة وراء إحدى الأشجار.

- ولماذا لا نكن كذلك؟ لا أشعر بهذا الشغف الذي كان بيننا في بداية زواجنا، أين ذهب يا "هنري"؟ لماذا تركته يفلت منك؟

- لقد أفلتهِ أنتِ أيضا، بل أنت السبب في ذلك.

- كنت أعلم أن عدم قدرتي على الإنجاب هي المشكلة، لطالما تمنيت أن يكون لك ولدًا من صلبك، تعلّمه بنفسك القراءة والكتابة، ليصبح كاتبًا مشهورًا، يكتب لك الروايات والكتب التي تحب قراءتها، أو على الأقل يصبح ناشرًا جيدًا مثلك، ويرث مكانك بالشركة.

- بالطبع كنت أتمنى ذلك، وما زلت أتمنى، أليس التكاثر هو أساس هذه الدنيا؟ ولكنني لم أفكر يومًا أن أتركِ، هل فعلت؟ هل رحلت؟ هل أحببت امرأة أخرى؟ لا، لم أفعل يا ميرا، أليس هذا دليلًا على حبي لكِ؟ المشكلة تكمن بداخلك، شعوركِ بالنقص تجاه نفسك أنقص كل شيء، نعيش حياة ينقصها كل شيء، لأنني لا أشعرك بالاكتمال بمفردي، لا أكفيكِ أشعر بأنكِ من تحتاجين لهذا الطفل ولست أنا، تخطي مسألة عدم الإنجاب.

- لم أشعر بالنقص إلا بعد أن جعلتني أشعر به، عندما حبست نفسك داخل صفحات كتبك طوال الوقت، أصبحت تجلس لتقرأ منفردًا، ولا تقرأ لي قصص الحب كما كنت تفعل في السابق، تقضي معظم الوقت بدار النشر، وأنا أجلس وحدي بالمنزل أنتظرك حتى تعود، فتأتي، لا تحتضني كما كنت تفعل، تبتسم لي ابتسامة مواساة ليست ابتسامة حب، لا تلمع عيناك حينما تراني، بل تشفق عليّ، حتى أنك لا تتحمل مواجهتي ليلًا، لا تنام وأنت تنظر إليّ كما كنت تفعل، بل تشيح بنظرك عنّي، وكأننا أغراب اضطررنا لأن نتشارك فراشًا واحدًا، أعلم أن عدم قدرتي على الإنجاب كانت صدمة، ولكنها كانت صدمة لي أكثر منك، ليس لديّ أي أمل آخر، وفي الوقت الذي كنت أنتظر منك أن تساعدني على تقبّل الأمر، قضيت أنت سنوات محاولًا تقبّله وحدك، والآن تنظر في عينيّ وتُخبرني أن هذا خطئي؟ كيف تجرؤ يا هنري؟

- أعتذر يا ميرا، ما حدث ليس خطؤك، ولكنه ليس خطئي أيضًا، لقد كنت فقط

حزينًا من أجلكِ، لأنني أعلم حجم الصدمة التي تعرضت لها.

- لم أتمنى الزواج من رجل يعيش معي لأنه حزين من أجلي، هذا سبب سخيف للحياة سويًا.

- أتأسف لأنكِ تشعرين بهذا الشعور السيء، ولكنني أعيش معك لأنني أحبكِ، وليس شفقة مني عليك، لم تتحدثي يومًا عن غضبكِ من حياتنا، متى تعقدت الأمور في قلبك إلى هذا الحد؟

- كنت خائفة إذا واجهتك بحقيقة شعوري، تخبرني أنك لا تريد الحياة معي وتتركني، فأصبح وحيدة، ولكنني أشعر الآن بأنني وحيدة، فما الفارق إذًا؟

- لن أترككِ أبدًا.

سالت دموع ميرا على الوسادة بغزارة، ثم وضعت قبلة على وجنة هنري وقالت:

- لكنني سأتركك يا هنري، أريد الرحيل عن هذا كله.

* * *

انقضت ساعات على تواجد حمد بالدرجة الثالثة، حتى شعر بالجوع، فصعد إلى المطعم لكي يحصل على بعض الطعام الجيد، قبل أن يعود مرة أخرى ليقضي ليلته في الدرجة الثالثة، وعندما دخل إلى المطعم لم يلاحظ إلا هنري جالسًا على إحدى الطاولات، يدخن بشراهة، شعر حمد بالانزعاج من رؤيته بعد الذي حدث بينه وبين ميرا في الليلة الماضية، فأراد تفادي الجلوس معه، وقرر المغادرة ولكن بعد فوات الآن، حيث نادى عليه "هنرى" ليجلس معه.

جلس حمد على الطاولة بصحبة هنري وهو يشعر بالخجل، فنظر إلى كل شيء عداه، وصمت للحظات حتى قال بصوت منخفض:

- ألست مريضًا؟ ومن المفترض أن تحصل على بعض الراحة؟ لماذا تجلس هنا وحدك؟.

رد هنري مبتسمًا ابتسامة سخرية:

- كيف تستطيع أن تحصل على الراحة في وجود النساء؟.

ابتسم حمد:

- أرفع قبعتي وأنحني لك.

- تريد ميرا أن تتركني، سترحل عن المنزل، وربما سيتطور هذا الوضع معها إلى طلب الطلاق، لا أعلم إلى أين ستصل الأمور.

اعتلى الاحمرار وجه حمد:

- ستتطلقان؟! هل قالت لك لماذا فكّرت في طلب الطلاق؟.

عصفت الأفكار بـحمد للحظات ظنًا منه أن ميرا قد شعرت بالذنب من تلك القبلة التي شعر في هذا الوقت بأنها كانت قبلة حماقة، ستؤدي إلى هلاكه على يد هنري الأجنبي ذو النفوذ، القوي، ولكنه هدأ بعد ذلك بثوانٍ قليلة، فلن يتحدث معه "هنري" بهذا الهدوء إذا كان قد علم شيئًا، وبالتالي لا بد أن يتحدث بثقة حتى لا يثير الشكوك تجاهه.

- قالت أنه لا يوجد شغفًا بيننا، وأنني لا أشعرها بأنني أحبها، إنها تظن أنني باق معها لأنني أشفق عليها.

تساءل حمد:

- وهل هذا صحيح؟

- لم أشعر يومًا بأنني لا أحب ميرا، ولكنني أيضًالم أتوقف للحظات لسؤال نفسي إذا كنت مازلت أحبها، ما قالته لي صحيحًا، ولكنني لا أريد أن أتركها، لقد أحببتها للأسباب الصحيحة، حتى إن كنّا أهملنا هذا الحب لفترة، فمن المؤكد أنني سأحبها من جديد، أستطيع ذلك.

- وهل للحب أسباب؟ ظننت أننا نحب بدون سبب، وأن لا أحد يختار من يحبه.

- نعم، أنتَ بالفعل تحب دون سبب ودون حول ولا وقوة منك، لهذا أسموه الوقوع في الحب، ولكن بعد أن تقف على رجليك وتستفيق من هذا الوقوع، تمر عليك هذه الفترة التي يهدأ فيها كل شيء، وتفكر في السير بعلاقتك مع من تحب نحو الخطوة التالية، فتسأل نفسك، هل هذا الحب من الممكن أن يتطور؟ هل يمكن أن يصبح أكثر من مجرد علاقة طفولية لا تكترث لأي شيء؟ هل من الممكن أن تكمل حياتك مع هذا الشخص إلى الأبد؟ هنا تفكر، ويتدخل العقل، وإذا وافق العقل على قرار القلب تكن محظوظًا، لأنك أصبحت تعلم إنك عثرت على الانسان المناسب لك، وميرا مناسبة لي، لا أستطيع تركها.. أليس هذا ما شعرت به نحو زوجتك؟

- ليس بالضبط، لقد عشت مع فاطمة مرحلة العقل فقط، إنها ذات حسب ونسب، وتشبهني في التمسك بالعادات والتقاليد، يكفي أنها من نسب الأشراف مثلي، إن هذا فخرًا للعائلة، ولكنني لم أعش فترة هذا الحب الأهوج، غير مسموح لنا في المجتمعات الشرقية بأن نرتبط قبل الزواج، ليس من عاداتنا أيها الخواجة الرومانسي، ولكن حمدًا لله أحببت فاطمة بعد الزواج.

ابتسم هنري:

- أشعر أن زواجي من ميرا يحتاج لاستراحة، هذا ما تحتاجه عندما تريد بدء شيئًا من جديد.

- هذه فكرة جيدة بالتأكيد.

- هل أقاطع حديثًا مهما؟

قال السير "كوزمو" الأمير الذي ينتمي للعائلة المالكة، وهو ممسكًا بيد زوجته "دوف" صاحبة أكبر مجلات متخصصة في مجال الأزياء بفرنسا وأمريكا.

ابتسم هنري:

- لا أنشغل أبدًا عن عزيزتي "دوف"، أتشرف إذا تناولنا الغداء معًا سير "كوزمو"، تفضلا بالجلوس.

أجلس السير كوزمو زوجته دوف بجانب حمد، بينما جلس هو بجانب هنري، حيث تفرّست دوف في وجه حمد قائلة:

- أنت لست أمريكيًا، أو فرنسيًا، ملامحك شرقية، أليس كذلك؟.

قال هنري ممازحًا:

- مصريّتك تنضح منك يا حمد.

قالت دوف:

- مصريًا!.

ابتسم حمد ونظر بترقّب إلى السير "كوزمو" الذي كان ينظر له باهتمام، وقال:

- نعم، مصري.

شعر حمد بالاختناق، فهو لا يحب هذه الأجواء الرسمية ولا يندمج مع نخبة المجتمع الغربي، فقال لـ هنري؛ محاولًا الهرب من هذه الورطة:

- كنت أود الجلوس معكم أكثر من ذلك، ولكنني دعيت إلى حفل مع بعض العرب في الدرجة الثالثة بعد قليل، وأريد الاستعداد.

قال هنري:

- حفل.. هذا لطيف جدًا، أتمانع إذا اصطحبت معك ميرا؟ إنها تحتاج لأن تحظى ببعض المرح.

نظر الجميع إلى حمد في انتظار إجابته، فشعر بالحرج ولم يستطع الرفض حتى لا يظهر أمامهم بمظهر العربي المتزمت، كما هي صورة العرب النمطية في أذهان الأجانب بشكل عام، كما أنه لم يرد أن يثير الشك في نفس هنري، فقال:

- بالطبع، لا تقلق، ستكون سعيدة جدًا معي.

ثم صمت للحظة ونظر للسير كوزمو الذي كان يراقبه بتعالٍ واضح وعدّل من

حديثه قائلًا:

- أقصد ستكون السيدة ميرا سعيدة في الحفل.. أستأذنكم.

خرج حمد مسرعًا من المطعم متوجهًا إلى غرفة ميرا، فطرق على الباب وعندما فتحت، دخل دون استِئذان وهو مبتسمًا، فارتبكت، وركضت وراءه بعدما فتح خزانة ملابسها قائلة:

- كيف تقتحم غرفتنا بهذا الشكل؟ وكيف تجرؤ على فتح خزانتي من دون إذني؟ هنري ليس هنا، هل تعلم ماذا ستكون ردة فعله إذا جاء الآن؟.

رد حمد ببرود وهو يقلّب في الفساتين وكأنه يتبضّع داخل أحد المحال قائلًا:

- أعلم أن هنري ليس هنا، وهو يعلم أنني بغرفته الآن، كما يعلم أننا سنكون سويًا لبقية اليوم، فهو جالسًا مع السير كوزمو وزوجته في المطعم، لا بد أنها تريد سؤاله عن شيء ما يخص طباعة المجلات، زوجك بالفعل لا يمل من العمل، وليس هو فقط، بل هذه صفة لجميع ركاب الدرجة الأولى، أستطيع المراهنة على أنهم يسافرون على متن هذه السفينة، كي تكون بمثابة اجتماع عمل كبير في عرض البحر، فينجز كل منهم ما يريد من صفقات، ويعود إلى منزله محمّلًا بالأموال، آه من الخواجات.

ردت ميرا بحدّة:

- أنا واحدة منهم، وأريدك أن تترك ملابسي وتخرج من غرفتي الآن، اتركني وشأني.. الآن يا حمد.

نظر حمد إلى ميرا وأمسكها من ذراعيها بهدوء ثم نظر إلى عينيها نظرة طويلة..

- لن أترككِ، قال لي هنري أنكِ ستتركينه، أتريدين تركه من أجلي؟

صمتت وجلست على الفراش وهي تنظر إلى الأرض قائلة:

- أرجوك أن تذهب قبل أن يأت هنري إلى هنا، لا أريد إيذاء مشاعره.

جلس حمد بجانبها، قائلًا:

- ما رأيكِ ألاّ نفكر في أي شيء، حاليًا، نحن نعيش في عرض البحر، فلننسى حياتنا على البر إلى أن نعود إليه، أما الآن فهناك حفلة عرس نتظرنا بالأحرى.

اندهشت ميرا فروى لها خطته للاحتفال بزفاف بنورة وجرجس فتحمست:

- أريد مساعدتك، سأدعوهما إلى الدرجة الأولى كضيوفي دون الحاجة لهذا التنكّر السخيف، وهذه الخطة الدرامية، كم تعشق الدراما.

ضحك حمد وقال:

- إذا تنوين استضافتهما هنا، فيجب أولًا أن تنزلي إلى الأسفل لتهنئتهما بزفافهما المصغّر الذي سيقام على سطح السفينة بعد قليل، ارتدي هذا الفستان الأبيض الذي اخترته لك، أراهن أنكِ عندما ترتدينه لن يستطع أحد التمييز بينكِ وبين العروس.

- لا أحب ارتداء الأبيض بحفلات الزفاف، تشعر العروس بالغضب عندما يرتدي أحد مثلها، إنه يومها الخاص.

- أنتِ سيدة أجنبية فاحشة الثراء، تنوي قضاء الليلة مع أناس ينامون في أحضان بعضهم البعض ليس حبًا، ولكن لضيق المكان عليهم، أنتِ غير مرحّب بكِ بينهم بالفعل، ارتداءكِ الأبيض بالحفل لن يزيد الأمر سوءًا.. صدقيني.

- ماذا؟ أتعني أنهم يكرهونني، كيف سأحضر الحفل معك إذًا؟

- لن يكرهوكِ عندما أقل لهم أنك ستساعديهم، ولن يكرهوكِ عندما تحضرين الحفل برفقتي.

ابتسمت ميرا ابتسامة سخرية قائلة:

- نسيت أنك شيخ العرب.

- يا لكِ من لئيمة، تعلمين أنني أكره هذا اللقب، هيا.. سأرتدي بدلة العرس، وأنت ارتدي فستان الزفاف وسأمرّ عليكِ بعد نصف ساعة، لنذهب إلى الحفل سويًا.

مرت نصف ساعة سريعًا، وعاد حمد ليدق باب ميرا من جديد، أنتظرها دقيقة، ثم اثنتان وثلاث، إلى أن فتحت في النهاية وهي تبتسم بخجل.

قال حمد مبتسمًا:

- عذرًا، كنت في طريقي لاصطحاب إحدى السيدات لمرافقتي إلى حفل زفاف ولكن يبدو أنني أخطأت، ودققت باب العروس.

قالت ميرا وهي تنظر إلى الأرض بخجل:

- لا تكن سخيفًا.

- لا أقصد أن أكون كذلك، ولكنني أشعر بالفعل بأنكِ العروس.

ابتسم ومدّ ذراعه حيث وضعت "ميرا" ذراعها فتشابكا، ثم نزلا على سلالم السفينة، وقرص القمر وراءهما ينير الطريق، فنزلا وكأنهما يهبطان من القمر مباشرة، متحمسان لرؤية الأرض لأول مرة.

علت أصوات الزغاريد الشامية في أرجاء الدرجة الثالثة، وارتدى الرجال السراويل الفضفاضة، وكادت أن تهتز السفينة من قوة أرجلهم على الأرض وهم يدبكون..

أمسكت فاطيمة بيد بنورة التي ارتدت فستان زفافها مرة أخرى، وكانت تقف بعيدًا تصفق للرجال وهم يرقصون، ثم جعلتها تخترق دائرة المدبكين، حتى وصلا إلى منتصف الدائرة، فتجمع الكل حولهما، وظلت ترقص فاطيمة مع بنورة حتى رأت حمد فأمسكت بالمنديل الذي كانت ترتديه حول عنقها ولوحّت به في الهواء وخرجت من الدائرة وهي تتراقص في الطريق إليه إلى أن أمسكت بيده فابتسم حمد لـ"ميرا"، ثم تركها وبدأ يرقص مع فاطيمة إلى أن وصلا لمنتصف الدائرة الكبيرة مع العروسين بنورة وجرجس.

وقفت ميرا تضحك وتصفق من بعيد، ناظرة لـ حمد بإعجاب شديد وهو يرقص أمامها الدبكة لأول مرة، إلى أن انتظم الجميع في صفوف، وطلب كل رجل يد امرأة ليرقص معها، وبعد دقائق، تبادلوا الأدوار حتى يكون قد رقص الجميع.. مع الجميع.

وقف ضاهر أمام ميرا للحظات والخجل يسيطر عليه، خوفًا من أن ترفض طلب الرقص معه، بينما كان يرقص حمد مع العروس بنورة فنظرت ميرا إلى حمد في خجل من أن توافق على هذه الرقصة خاصة وأن ضاهر في عمر أبناءها، إلا أن حمد هز رأسه بالموافقة، فتشجعت وأمسكت بيد ضاهر وانضم الاثنان إلى الراقصين، فراحت ترقص وهي تضحك بجنون، وكأنها لم تضحك من قبل.

دار الجميع، وجاء دور فاطيمة لترقص مع حمد، فرقصا حتى كادت أن تطوف معه فاطيمة سطح السفينة بأكملها، وفي هذا الوقت كانت ترقص ميرا مع العريس جرجس وبعد انتهاء هذه الجولة أدار جرجس ميرا فدارت وهي تضحك للجميع ولم يوقفها إلا حمد وقد وضع يديه حول خصرها ثم رفعها للأعلى ودار بها كثيرًا حتى لفت الانتباه، وبدأ الجميع في تقليده فحلقت جميع نساء الدرجة الثالثة في الهواء حتى كدن أن يصلن إلى السماء.

انتهت الرقصة وجلس الجميع في دوائر للحصول على بعض الطعام في الهواء الطلق، وتجمّع ضاهر، جرجس، بنورة، فاطيمة، ميرا، وحمد في دائرة واحدة على الأرض؛ لتناول المناقيش والفطائر وبعض الفاكهة.

شعرت فاطيمة بالضيق من وجود ميرا معهم، فهي ظلت تراقبها طوال الحفل ولاحظت معاملتها لـ حمد لم تحب هذه المعاملة، ولا هذه العلاقة، لا تعلم لماذا؟ إنه ليس من شأنها، ولكنها فقط لم تسترح لها، فحاولت أن تضيّق الحنق عليها، حتى تترك منطقتها وشأنها، وكأن الدرجة الثالثة، أصبحت مكانها لبيع الخضروات في السوق، ويجب أن تحافظ عليه بأي شكل.

قالت فاطيمة:

- أعذرينا على هذه الوجبة المتواضعة، نعلم أنكم تأكلون أفخر أنواع الطعام في الدرجة الأولى، ولكن هنا الدرجة الثالثة، هذا فقط ما يوجد لدينا.

ردت ميرا:

- بالعكس.. لقد أحببت الطعام كثيرًا.

قالت فاطيمة بسخرية:

- بالتأكيد، فهذا مجرد تغيير بالنسبة لكِ، مغامرة مع العرب الفقراء.

قال حمد:

- لا تشغلي بالك بها يا ميرا، إنها لا تستطيع مساعدة نفسها في التوقف عن قول مثل هذه الأشياء، هذه هي فاطيمة، يجب أن تنتقد الجميع مشاكسة ولكنها طيبة القلب.

قالت فاطيمة:

- مشاكسة.. أنا؟ اعتذر للهانم عمّا تضطر لأكله هنا، هذا كل ما أردت قوله، لساني ليس معسولًا مثل الأجانب.

- جئت إلى هنا لمساعدة بنورة وجرجس، وليس لتناول الطعام ولكن شكرًا لك على كل حال.

قالتها ميرا بحدة وهي تنظر إلى فاطيمة، وقد شعرت بأنها تشن عليها حربًا باردة علمت سببها فهي أيضًا كانت تراقبها الفتاة التي تحاول الرقص مع حمد والتي تحدّق به من بعيد باستمرار، هي نفسها الفتاة التي كان يقف معها البارحة، فماذا تريد منه هي الأخرى؟

حلّت الهدنة عندما تحدث العريس جرجس مبتسمًا:

- لا أعرف كيف أشكركم، هذا اليوم الجميل لن أنساه طويلة عمري.

تساءلت ميرا بابتسام:

- كيف تعرفت على بنورة؟

- أنا ابن عمها، خلقنا الله في أرحام متجاورة، وفي منازل متجاورة، منذ صغرنا ونحن نلعب سويًا، نتحدث سويًا، نبكي سويًا ونضحك أيضًا سويًا، لم نفترق أبدًا، ولم تخطر على بالنا فكرة أنني رجل وأن بنورة امرأة، لا بد وأن نفترق في مرحلة ما، عندما قال لي والدي أن بنورة كبرت ولا يمكنني التسكع معها بعد الآن، قلت له.. سأتزوجها يا أبي، أريد أن أكمل التسكع معها.

قالت بنورة:

- عندما تتعرفين على شخص لمدة طويلة يا سيدة ميرا، يحدث تقارب بينكما، ويصبح هذا الشخص مع الوقت جزءً منكِ، جرجس جزءً مني، كل ما أستطيع

التفكير به في نهاية اليوم هو أنني سأنام سريعًا حتى أراه في الصباح لأعيش معه يومًا جديدًا، أعلم أننا ما زلنا صغارًا، ولكننا لا نريد أن نضيّع لحظة من عمرنا دون أن نكون فيها معًا، أترين أنه من الخطأ أننا تزوجنا مبكرًا؟.

أجابت ميرا:

- جميعنا أحرار في اختياراتنا، وعلى كل انسان أن يفعل ما يجعله سعيدًا، في نهاية اليوم ستتقاسمين وسادتك مع شخص، عليك عندما تنظرين إلى وجهه في هذه اللحظة أن تشعرين بالسعادة، ولذلك لا يهم رأي أحد في زواج شخص من آخر طالما أن الزوجان يحبان بعضهما البعض، ولكن إذا كان يهمك رأيي، فأنا أرى أنكما فعلتما الشيء الصحيح، عندما يجد الشخص توأم روحه يجب أن يتشبث به مهما كانت ظروفه أو عمره.

قالت فاطيمة:

- يا للمصادفة! كنا نتحدث أنا وحمد في الصباح عن نظرية توأم الروح وقال لي أنه لا يؤمن بها أي أنه لا يوجد توأم روح لكل شخص بل أن توأم أرواحنا هم أبناءنا، هل لديك أولاد من زوجكِ يا سيدة ميرا؟.

احمرّ وجه ميرا ونظرت إلى حمد بضيق، وهي تلومه بداخلها على جلبها للدرجة الثالثة للتعرض لهذه الإهانات من العربية التي من وجهة نظرها أقل منها، وهي بالتأكيد تكن مشاعر له، وإلا لم تكن هي الوحيدة التي تعاملها بهذا العداء.

قال حمد بحدة:

- لماذا أشعر أن ميرا في استجواب؟ إنها هنا لتقديم التهنئة للعروسين والحصول على بعض المرح.

نظرت ميرا إلى فاطيمة بتحدٍ، وقالت:

- لا بأس يا حمد، أحب الحديث مع الأغراب، أليس رائعًا أن تتحدث مع شخص تعلم جيدًا أنك لن تراه أبدًا بعد انتهاء حديثكما؟ هذا يجعلك تتحدث بكل ما يسكن صدرك دون حرج، أعلم أنك تفعل ذلك عندما تأت إلى هنا، وها أنا ذا أحذو حذو صديقي الصدوق.. لا يا فاطيمة ليس لديّ أولاد من زوجي.

قال ضاهر مبتسمًا:

- لا تغضبي أيتها السيدة الجميلة، أنا أؤمن بنظرية توأم الروح، أقسم أن روح "نورين" تسكنني.

قالت فاطيمة:

- أنتَ بالتأكيد مسكون يا ضاهر وقد أتلفت الأرواح عقلك، عندما نصل إلى أمريكا سأذهب معك إلى الكنيسة لكي نرى ماذا جرى لك بالضبط؟.

تساءلت ميرا:

- من هي نورين أتسافر معنا على السفينة؟.

أجاب حمد:

- لا، ليست هنا، إن قصتها طويلة، سوف أقصّها عليك فيما بعد، دعونا الآن ألاّ ننشغل عن العروسين، هيا فلنذهب إلى غرفنا، مستعدة يا ميرا؟

ردت ميرا مبتسمة وهي تنظر إلى فاطيمة:

- أنا سيدة أمريكية دائمًا مستعدة، ولا يستطيع أحد الوقوف أمامي، أنسيت ذلك؟.

ابتسم حمد وهو يمسك بيد ميرا لكي يساعدها في النهوض من جلستها قائلًا:

- وكيف أنسى؟

وما زالت فاطيمة تراقبهما بصمت.

قام العريس والعروس بإبدال ملابسهما من ملابس الزفاف لملابس راقية حصلا عليها من خزانة حمد وميرا حتى لا يلفتان إليهما الأنظار في الدرجة الأولى وقامت ميرا بتحية الجميع قائلة:

- سعدت جدًا برؤيتكم، قضيت هنا وقتًا ممتعًا بالفعل.

همَّ الجميع بالصعود على السلالم إلى الأعلى، فصاحت فاطيمة:

- حمد، هل تسمح لي بكلمة معك؟.

نظرت ميرا إلى فاطيمة والغيرة تأكل قلبها من هذه العربية، التي تشبه حمد في لغته، طباعه، دينه، وعمره، والذي زاد من غيرتها هي نظرة فاطيمة إليها، إنها نظرة غيرة من امرأة إلى أخرى، بالإضافة إلى الحديث الذي وجهته لها منذ قليل، تلك العدائية، وهذه الرغبة في تشويه صورتها أمام حمد مؤشرات تدل على أنها معجبة به، قالت في نفسها:

"ألم تكن فاطمة تكفي؟ لا يمكن أن أتحمل اثنتان".

نظر حمد إلى ميرا التي تسمّرت في مكانها قائلًا:

- انتظريني، سأعود بعد دقيقة واحدة.

قامت فاطيمة بالابتسام إلى حمد وهي تنظر إلى ميرا قائلة:

- أعتذر عن حديثي السابق عن صديقتك الأجنبية، إنها سيدة لطيفة، وأشكرك على مساعدتنا.

رد قائلًا:

-لم أفعل شيئًا يستحق الشكر ميرا سيدة لطيفة بالفعل، شكرًا لكِ يا فاطيمة.

* * *

قالت فاطيمة وهي تصيح بوجه ميرا:

- ماذا تقولين؟ لم أعجب بـ حمد أبدًا، إنه بمثابة أخ لي، أتخالين أن كل الناس مثلك؟ يقعون في غرام رجال متزوجين، أنا لست أجنبية بقلب بارد.

قالت ميرا بتحدٍ وهي تنظر إلى عينيّ فاطيمة التي ارتبكت وبدأت تنظر إلى الأرض:

- أنظر الآن إلى امرأة أول شيء قامت به بعد طلاقها، هو البحث عن رجل آخر لم تره من ثلاث سنوات، رجل لا تعرف عنوانه في بلده، فكلّفت نفسها عناء السفر إلى أصدقاء له يعرفون عنوانه، بل إنها تقضي الآن ساعات في الحديث عن ذكريات مؤلمة لكل من عاشوها، فقط لتثبت أن المرأة التي كانت تغير منها على خطأ، ثم تنظر في وجه هذا الرجل وتخبره بأنها مخلصة له ولم تكذب عليه، إن لم تكن هذه المرأة تعشق هذا الرجل فلا بد إنها معجبة به على أقل تقدير.

ساد الصمت للحظات، ولمعت عينى فاطيمة بدموع حاولت حبسها بكل ما أوتيت من قوة، فقالت بصوت مخنوق:

- حتى لو كنت معجبة به، هذا لن يغير شيء، لأنني لم أقترب منه، كل ما فعلته هو أنني استمعت له، حكاياته مع أصدقاءه حبه وإخلاصه لزوجته محاولاته في الابتعاد عنك رغم استماتتك في الحصول عليه رأيت فيه مثال للرجل الذي أتمناه، من الممكن أن تقابلين الشخص الصحيح في الوقت الخاطيء ما يفرق هو طريقتك في التعامل مع الأمر وأنا لم أفعل شيئا.

- لم تفعلي شيئًا لأنه لم يسمح لكِ، لم يبادلكِ نفس الشعور أبدًا، وهذا ما جعلكِ تحقدين عليَّ وتختلقين أكاذيب تدّعين أن حمد قالها لكِ عنّي، لتشعريني بأنني عشت معه وهمًا صنعته بيدي، تريدين حرق قلبي ولن أسمح لكِ.

- أشعر بالشفقة عليك، ألم تقولي في ذلك اليوم أننا نقول الحقيقة للأغراب، لقد روى لي حمد كل شيء، تدّعين طوال الوقت أنه يحبكِ؟ وهو فقط يعاملكِ بلطف، إذا كان يحبكِ فعلًا، لماذا لم يقل ذلك ببساطة؟ كان يعلم أنه لن يراني ثانية، بماذا سيفيده الكذب في هذا الموقف؟.

قالت ميرا:

- أؤكد لكِ أن هذه ليست الحقيقة، لقد نسي حمد زوجته قبل غرق السفينة، وأنساني معه حياتي بأكملها، وما حدث بعد حفل الزفاف يؤكد أنني من يقول

الحقيقة، سأروي لك الآن ما جعلني لا أستطيع فراق حمد طوال الثلاث سنوات الماضية.

*******

## الفصل السادس

صعد الجميع إلى الأعلى أمسكت ميرا بذراع جرجس، بينما تشبثت بنورة بذراع حمد وهي تحاول الاختباء بداخله من شدة خجلها بسبب نظرات ركّاب الدرجة الأولى لهم حتى شعرت بأنه مكتوب على جبهتها جملة واحدة "لا أنتمي لهذا المكان".

خلال سيرهم إلى جناح الغرف رأت ميرا زوجها هنري وهو يجلس في الخارج عند حافة السفينة، فنظرت إليه بضع لحظات، حتى قال لها حمد:

- هيا لنذهب إلى هنري.

ثم نظر إلى جرجس قائلًا:

- وأنت يا عريس، لقد اجتزنا المنطقة المحظورة يإمكانك الآن اصطحاب العروس والذهاب إلى الغرفة وحدكما.

أعاد النظر إلى ميرا وأكمل حديثه:

- ميرا تحملين مفتاح الغرفة في حقيبتكِ، أيمكنكِ أن تعطيه للعروس وتذكّريها برقمها، ريثما أتحدث مع العريس على انفراد لمدة دقيقة واحدة؟

أجابت ميرا بالموافقة.

ذهب العروسان في طريقهما إلى الغرفة، بينما ذهبت ميرا بصحبة حمد إلى هنري الذي ابتسم ابتسامة عريضة عندما رآها قادمة نحوه قائلًا:

- كم أنتِ جميلة اليوم، كنت أترجاكِ من أجل ارتداء هذا الفستان في أي مناسبة من المناسبات التي دُعينا إليها من قبل، ولكنك كنت ترفضين.

قالت ضاحكة:

- كنت أدخّره إلى المناسبة التي تليق به، ولم أجد أجمل من الدعوة إلى عرس لكي أرتديه، لقد رقصت الدبكة يا هنري أتصدق؟.

رد مبتسمًا:

- أنا سعيد أنكِ استمتعتِ بوقتكِ يا عزيزتي.

- نعم استمتعت كثيرًا، ولا أشعر بقدماي حاليًا، أرغب في النوم على الفور.

قال حمد مبتسمًا:

-اذهبي ونامي على الفور.

- سمعت الرجل هيا عزيزتي سأجلس مع حمد هنا لبعض الوقت، ثم سأوافيكِ بعد برهة، تصبحين على خير.

ابتسمت قائلة:

- تصبحون على خير.

سارت بضع خطوات، ثم تذكرت شيئا ما فعادت مسرعة إلى الوراء.

- لقد أخطأت.

قال حمد:

- هذا شيء طبيعي، إنه من شيمك، ولكن فيما أخطأت هذه المرة؟ هذا ما نريد أن نعرفه.

بينما كان يضحك هنري.

- لقد نسيت أنه من المفترض أن أعطي بنورة رقم غرفتك يا حمد، تصرفت بطبيعية ووصفت لها مكان غرفتي وأعطيتها مفتاحي، ماذا سنفعل الآن؟ أخجل

أن أذهب إليهما وأقوم بإخراجهما من الغرفة.

تساءل هنري باندهاش:

- ماذا يحدث الآن عزيزتي؟ من يبيت في غرفتنا؟.

بعد أن شرحت ميرا لـــ هنري ما حدث، قال حمد:

- لا بأس، تستطيعين المبيت في غرفتي أنتِ وهنري، وأنا سأجد دومًا مكانًا لي في الدرجة الثالثة، سأبيت الليلة على فراش بنورة وجرجس.

قال هنري:

- نعم هذا هو الحل الأنسب، ولكنني لن أنام في غرفتك يا حمد، لا أستطيع أن أغفو على فراش ليس فراشي.

قال حمد:

- ولكنك تبيت حاليًا على فراش ليس فراشك.

ابتسم هنري:

- لم يكن فراش أحد من قبلي.

ضحك حمد ضحكة ساخرة قائلًا:

- أيها الأجنبي المعتدّ بنفسه، نعم صدقت، لم يكن الفراش لأحد من قبلك، مبارك عليك المبيت في البار بجانب السكارى والساهرين من رجال الدولة ورجال الأعمال، ستستمع إلى الكثير من الأسرار والفضائح اليوم.

- نعم، ستكون ليلة ممتعة.

قالت ميرا:

- سأذهب للنوم.

مرت ساعة، كانت ميرا خلالها قد سبحت في بحر نوم عميق، لم يخرجها منه سوى صوت طرق على الباب فقامت متخبّطة وقالت:

- من؟

فأجاب حمد:

- أنا.

تطاير النوم من عينيّ ميرا على الفور، وفتحت الباب وهي تشعر بالتوتر قائلة:

- ماذا تريد؟ هل حدث شيئا؟

وضع حمد يداه على باب الغرفة وهو يبتسم قائلًا:

- أرى أنكِ ارتديتِ بيجامتي، ونمتِ بها.

قالت ميرا وهي تشعر بالحرج:

- خِفتُ أن يتمزق الفستان ولم تكن سترتدي البيجامة اليوم على أية حال أليس كذلك؟ سأنظفها لك في الصباح.

- لست منزعجًا من ارتداءك لها بالعكس، إنني فقط لم أكن أعلم أن البيجامة بهذا الجمال، في الحقيقة لا أعلم إن كانت ما تراه عيناي هو جمال البيجامة، أم جمالكِ أنتِ بداخلها، أرجوكِ لا تنظفيها في الصباح اجعلي عطرك يسكن فيها لبعض الوقت.

قالت ميرا وقد احمرّ وجهها:

- أتدق بابِ في هذه الساعة المتأخرة من الليل لكي تغازلني؟

- لا، بل جئت لأنام إنك في غرفتي، أنسيتي؟

دخل حمد إلى الغرفة وأغلق الباب، وسط اندهاش ميرا التي لم يحرك لها ساكنًا، وبدأت تتسارع دقات قلبها وذهب إلى خزانته وقال حتى يهدىء من روعها:

- لا تقلقي، أمزح معكِ جئت إلى هنا فقط لأنني أيضًا لا أريد النوم بالبذلة، آسف على إيقاظكِ، سأجلب ملابس النوم من الخزانة وأخرج على الفور.

قالت "ميرا" وهي تحاول ألاّ تشعره بمدى ضعفها في هذه اللحظة:

- لا أشعر بالقلق.

- ستموتين من القلق.

جلست ميرا على الفراش وهي تبتسم قائلة:

- أشعر أن اليوم من الأيام التي لا تنسى، لقد ضحكت كثيرًا.

جلس هو على الكرسي المقابل للفراش قائلًا:

- إنها خفة ظل العرب أيتها الأجنبية الجميلة.

- نعم وخصوصًا خفة ظل فاطيمة، بالمناسبة ألا تعلم أنك رجلًا متزوجًا، ويجب ألاّ تسمح لأي سيدة بأن تقترب منك لدرجة تجعلها تغار عليك؟

- فاطيمة تغار عليَّ؟ بالطبع لا، ليس فقط لأنني رجلًا متزوجًا، بل لأنه لم يحدث بيننا شيئًا يجعلها منجذبة إليَّ لقد قضينا سويًا يومان فقط، تصادقنا وحكينا لا يوجد شيء قلته لها يجعلها تنجذب إليَّ.

قالت ميرا بغضب:

- الإعجاب من الممكن أن يحدث في دقيقة واحدة، لن تقترب امرأة من رجل لم يسمح لها بالاقتراب منه، وأنت سمحت لها بالاقتراب، والإعجاب والغيرة، رأيتهما في عينيها.

- لماذا تنزعجين منها؟ ألهذا الحد خائفة على مشاعر فاطمة زوجتي؟!

ارتبكت ميرا:

- إنه مبدأ، لا أحب أن أراك تكسر مبادئك.

- كسرتها معكِ بالأمس.

صمتت للحظات وهي تنظر إلى الأرض من شدة الخجل ثم قالت بصوت منخفض:

- وقد شعرت بالذنب يأكلني منذ تلك اللحظة، حتى أنني طلبت من زوجي أن نفترق، ما حدث بيننا كان خطأ، ولا يجب أن نعيده مرة أخرى.

ابتسم حمد قائلًا:

- ومن قال أننا سنعيده يا ميرا؟

تلعثمت:

- لم يقل ذلك أحد، إنه مجرد حديث وليس إلا، المهم أن ما حدث بيننا كان خطأ.

- بالطبع.. سأترككِ الآن لكي تعودي إلى النوم، وسأذهب أنا لـــ فاطيمة.

ضحك حمد وهو يتجه إلى باب الغرفة، فقامت ميرا من على الفراش، ووقفت أمام الباب في مقابله وهي تقول بغضب شديد:

- أنت رجل متزوج، تذكر هذا، لا تتعامل مع هذه المخلوقة مرة أخرى؛ من أجل زوجتك.

- إنها كما قلت من قبل، امرأة غريبة عني، مهما قضيت معها من وقت الآن، لن أراها ثانية، دعيني لكي لا يضيع مني ما تبقى من وقت لديّ معها.

- لن أتركك ترحل لكي تذهب لملاقاتها.

- لماذا؟ من أجل زوجتي؟

- نعم، من أجل فاطمة.

- أنت لا تأبهين لأمرها، أعلم أنها لا تعن لك شيء، فقط قولي الحقيقة.

- ماذا تريدني أن أقول؟

- قولي أنكِ لا تريديني أن أذهب لملاقاة فاطيمة من أجلك؛ لأنك لا تطيقين

رؤيتي مع امرأة أخرى.

- أهذا ما تريدني أن أقوله؟

- نعم، إذا قلت ذلك، سأبقى معكِ هنا حتى الصباح.

تحركت ميرا من أمام باب الغرفة، وقالت لـ "حمد"

- اذهب، اقض ليلتك مع الغريبة، تسكع معها اضحك معها، سامرها، بل قبّلها، قبلة قوية، تأسرها وتجعلها تشعر بأنها ستظل ضعيفة أمامك طوال العمر.

- ولكنني أريد تقبيلك أنتِ فقط.

قالها حمد ثم أسرع باتجاه ميرا وأمسكها من ذراعيها وقبّلها قبلة طويلة، ولم يخرج حمد من غرفته هذه الليلة.

* * *

ابتسمت ميرا في صباح اليوم التالي عندما فتحت عينيها ورأت حمد بجانبها على الفراش، وقد استيقظ هو الآخر وابتسم قائلًا:

- هل يزداد وجهكِ نورًا في الصباح؟.

- أريد أن أفعل شيئًا لطالما تمنيته كلما رأيت وجهك.

- ما هو هذا الشيء الهام؟

- أريد تقبيل وجنتيكِ كل صباح، وأنت بين النوم والاستيقاظ، وأنتِ ما تزالِ ملكي أنا فقط، ما زلتِ تريني في أحلامك وفي حقيقتكِ أيضًا.

- من فضلك أعطيني هذه القبلة سريعًا.

قامت ميرا بتقبيل حمد وقالت:

- أتعلم، أحب هذه السفينة كثيرًا، أشعر أن هذه الرحلة هي بداية حياتي.

- أشعر بالعكس، كنت متحمسًا لبداية هذه الرحلة، ولكن الآن أخاف منها كثيرًا، ماذا سنفعل بعد ان تنتهي؟

- سأحصل على الطلاق، وأعيش معك بمصر.

- بهذه البساطة؟!

- لا أرى مشكلة في ذلك، من حقك الزواج بأربع، لا مشكلة لديّ أن أكون زوجتك الثانية، بل لا مشكلة لديّ في أي شيء يقرّبني منك، مهما كان سأفعله، أصبحت لا أتحمل فكرة البعد عنك.

- لن أذهب إلى أي مكان.

قام حمد باحتضانها ثم قال:

- أكره إبلاغك بهذا، ولكن يجب أن تخرجي الآن من الغرفة حتى تقابلين هنري بالخارج، ولا يأتي للبحث عنك هنا.

خرجت ميرا من غرفة حمد بابتسامة عريضة وهي ترتدي فستان الليلة الماضية الذي يذكّرها في كل خطوة تخطوها بكل ما حدث إلى أن اختفت البسمة بعد أن رأت هنري خارجًا من غرفتهما.

قالت باندهاش:

- هنري؟ كيف دخلت إلى غرفتنا؟ أين جرجس وبنورة؟

- لقد استيقظا في السادسة صباحًا، رأيتهما وهما ينزلان إلى الأسفل فأخذت منهما مفتاح الغرفة ونمت ساعتين، وها أنذا استيقظت مرة أخرى أما أنتِ فما كل هذا النوم؟ ليلة واحدة قضيتيها بالدرجة الثالثة تجعلكِ كسولة بهذا الشكل؟

ارتبكت قائلة:

- لست كسولة، هيا ندخل إلى الغرفة، أريد تبديل هذا الفستان.

- قومي أنتِ بذلك، وسأنتظركِ في المطعم لتناول الإفطار سويًا.

* * *

ابتسمت فاطيمة وهي تعدّل من جلستها قائلة:

- حمد فعل كل ذلك؟ أهذا ما تتذكرينه عن هذه الليلة؟!

قالت ميرا:

- نعم، لماذا سأكذب؟ هل سأخاف منكِ؟.. أنتِ؟ تعلمين مركزي جيدًا، أستطيع أن أجري اتصالات الآن تجعلكِ تعودين إلى بلدكِ فورًا.

ردت فاطيمة بثقة:

- بالرغم من كل هذه التهديدات، لكنك تخافين مني، تخافين من أن أروي لزوجكِ ما حدث بينكِ وبين حمد على السفينة، وتخافين من أن أخبره ماذا فعلت بعدها؟ ولكن أكثر ما تخافين منه هو أن أقول لـ حمد ماذا فعلتِ به؟ وكيف تركته بجانبكِ بلا علاج؟ فيكرهكِ إلى الأبد.

- لقد تحدثت معكِ بكل صدق من امرأة لأخرى، شرحت لكِ ما حدث بالتفصيل، وفتشت عن أسرار لم تكوني تعلمينها من قبل، وما زلتِ تهددينني؟

- من قال لكِ أنني لم أكن أعلمها؟

أصاب ميرا ذهولًا مصحوبًا بالغضب فانقطعت عن الحديث، واكتفت بالنظر إلى

فاطيمة التي قالت:

- "نعم أنتِ تروين الأحداث ولكن من وجهة نظركِ، ترين نفسكِ الضحية، وأن حمد هو الرجل الذي أغواكِ وسلب منكِ حياتك الهادئة، ولكن العكس كان صحيحًا، أنتِ من أغويتيه، وأنتِ من أنسيتيه زوجته وابنه، وقد أخطأ عندما سمع لكِ، ولكن شأنه شأن بقية الرجال يضعفون أمام المرأة الجميلة وسرعان ما يعودون إلى صوابهم ويتركون هذه النزوات الصغيرة ويعودون إلى زوجاتهم.

- لست نزوة في حياته، رويت لكِ ما حدث بالضبط، أترين مما قلته لكِ ومما فعله معي أنني كنت نزوة في حياته؟

- أنتِ كالشيطان يا ميرا تكمنين في التفاصيل، ما حدث بينكما بالفعل قد حدث رواه لي حمد ولكن بتفاصيل مختلفة فدعيني أعيد عليكِ ما أخبرتني به بالضبط بالتفاصيل الصحيحة، لا أحب العبث بالكلمات الصغيرة التي تغيّر كل شيء.

قالت فاطيمة قبل أن تعيد رواية ما حدث في هذه الليلة كما عرفته.

**********

## الفصل السابع

جلست فاطيمة أمام ميرا بكل أريحية وثقة لتعيد عليها نفس ما قالته من عبارات، من مواقف، من همسات، وسكتات، ولكن بتغيير بسيط جدًا، تفاصيل صغيرة غيرت المشهد بالكامل، صعد الجميع إلى الأعلى، أمسكت ميرا بذراع جرجس بينما تشبثت بنورة بذراع حمد وهي تحاول الاختباء بداخله من شدة خجلها بسبب نظرات ركّاب الدرجة الأولى لهم، حتى شعرت بأنه مكتوب على جبهتها جملة واحدة، "لا أنتمي لهذا المكان"، خلال سيرهم إلى جناح الغرف، رأت ميرا زوجها وهو يجلس عند حافة السفينة، فنظرت إليه بضعة لحظات، ثم قالت:

- حمد، أيمكنك أن تذهب لتتحدث مع هنري؟ أشعر أنه متعب بعض الشيء، وأنا سأعطي المفتاح ورقم الغرفة للعروسين، لقد اجتزنا المنطقة المحظورة، يستطيعان السير وحدهما الآن.

ابتسم قائلًا:

- مبارك للعروسين، أراكما في الصباح.

عند حافة السفينة قال حمد لـ هنري:

- أنتَ هنا؟

تساءل هنري:

- هل انتهى العرس؟

- نعم، وها هي زوجتك تقف هناك مع العروسين.

- وماذا أتى بهما إلى هنا؟ أليست غرفتهما بالدرجة الثالثة؟

- سمحت لهما بالمبيت في غرفتي الليلة، لقد تزوجا ثم صعدا إلى السفينة على الفور، يا رجُل.. لقد صعدت العروس على متن السفينة بفستان زفافها!

- فستان الزفاف دائمًا فالًا جيد.

- نعم، إنه كذلك.

ابتسم هنري ابتسامة عريضة عندما رأى ميرا قادمة نحوه قائلًا:

- كم أنتِ جميلة اليوم يا ميرا، لقد كنت أترجاكِ من أجل ارتداء هذا الفستان في أي مناسبة من المناسبات التي دعينا إليها من قبل، ولكنكِ كنتِ ترفضين.

قالت ضاحكة:

- كنت أدخره إلى المناسبة التي تليق به، ولم أجد أجمل من الدعوة إلى عرس لكي أرتديه، لقد رقصت الدبكة يا هنري، أتصدق؟

- أنا سعيد أنكِ استمتعت بوقتكِ يا عزيزتي.

- نعم استمتعت كثيرًا، ولا أشعر بقدماي، أرغب في النوم على الفور.

قال حمد مبتسمًا:

- اذهبي ونامي على الفور.

قال هنري:

- سمعت الرجل، هيا عزيزتي، سأجلس مع حمد هنا لبعض الوقت، ثم سأوافيكِ بعد برهة، تصبحين على خير.

ابتسمت:

- تصبحون على خير.

سارت بضع خطوات، ثم تذكرت شيئًا ما فعادت مسرعة إلى الوراء.

- لقد أخطأت.

قال حمد:

- هذا شيء طبيعي، إنه من شيمك، ولكن فيما أخطأتِ هذه المرة؟ هذا ما نريد أن نعرفه.

بينما كان يضحك هنري.

- لقد نسيت أنه من المفترض أن أعطي بنورة رقم غرفتك يا حمد، تصرفت بطبيعية ووصفت لها مكان غرفتي، وأعطيتها مفتاحي، ماذا سنفعل الآن؟ أخجل أن أذهب إليهما وأقوم بإخراجهما من الغرفة.

تساءل هنري:

- ماذا يحدث الآن عزيزتي؟ سيبيت هؤلاء الأغراب في غرفتنا؟

قال حمد:

- لا بأس يا ميرا تستطيعين المبيت في غرفتي أنتِ وهنري، وأنا سأجد دومًا مكانًا لي في الدرجة الثالثة، سأبيت الليلة على فراش العروسين.

قال هنري:

- نعم، هذا هو الحل الأنسب، ولكنني لن أنام في غرفتك يا حمد، لا أستطيع أن أغفو على فراش ليس فراشي.

قال حمد:

- ولكنك تبيت حاليًا على فراش ليس فراشك.

رد هنري:

- لم يكن فراش أحد من قبلي.

ضحك حمد ضحكة ساخرة قائلًا:

- أيها الأجنبي المعتدّ بنفسه، نعم صدقت، لم يكن الفراش لأحد من قبلك، مبارك عليك المبيت في البار بجانب السكارى والساهرين من رجال الدولة ورجال الأعمال، ستستمع إلى الكثير من الأسرار اليوم.

ابتسم هنري:

- نعم، ستكون ليلة ممتعة.

قالت ميرا:

- سأذهب للنوم.

مرت ساعة، ثم قام حمد بإلقاء التحية على هنري وسار في طريقه للنزول إلى الدرجة الثالثة، ولكنه سمع صوتًا أوقفه عن السير، قائلًا:

- حمد.

- ميرا!

اندهش حمد من مناداة ميرا له في هذا الوقت المتأخر من الليل، ثم ذهب ليحدثها أمام باب الغرفة حتى لا يتسببَ في إيقاظ النيام.

قالت ميرا:

- نمت لنصف ساعة فقط ثم استيقظت، فخرجت للاطمئنان على هنري، هل هو بخير؟.

- تركته في البار، إنه بحالة جيدة، ربما يكون قد نام الآن وهو جالسًا هناك، لقد شرب كثيرًا.

- أتمنى أن يكون بخير.

- وأنا أيضًا، أراكِ في الصباح.

همّ حمد بالرحيل عندما حاولت ميرا إيقافه قائلة:

- انتظر، هل سوف تنام في الدرجة الثالثة بهذه البدلة باهظة الثمن؟.

- نعم، ماذا سأفعل غير ذلك؟

- خذ ملابس للنوم من غرفتك، وحافظ على البدلة نظيفة، أليس هذا مناسبًا أكثر من النوم بهذه البذلة الراقية؟

- نعم، مناسبًا جدًا.

دخل حمد الغرفة، ثمَّ ذهب إلى الخزانة مباشرة، بينما أغلقت ميرا الباب وجلست على الفراش.

- هذه الفتاة العربية، التي كانت تحاول مضايقتي، ما اسمها؟

- إنها لا تحاول مضايقتكِ، نعم إنها لا تفكر في الحديث قبل أن تتفوه به، ولكنها لم تقصد أبدًا أن تزعجكِ، واسمها فاطيمة.

- نعم فاطيمة، إنها معجبة بكَ.

ضحك حمد قائلًا:

- هذا سخيف، بالطبع لا.

- لن تفهم أنت هذا، النساء فقط من يستطعن كشف هذه الأمور، لأننا نفهم بالنظرات، أما أنتم أيها الرجال، فتحتاجون أن نلقنكم الكلمات كما هي حتى تفهموننا.

- أؤكد لكِ أنها ليست معجبة بي.

- وأنا أؤكد لك أنها معجبة بك.

- وإن يكن، لا يهمني، إنني رجل متزوج، وسأصبح أبًا قريبًا، لا تهمني هي ولا غيرها من النساء، من تهمني هي زوجتي فقط.

ابتسمت ميرا ابتسامة هادئة، وقد احمرّ لون وجهها قائلة:

- أحسنت، هذا الرد هو ما كنت أنتظره منك.

- لقد أخذت ما أحتاجه من ملابس، أراكِ في الصباح.

- انتظر، خذ هذه الوسادة معك، بالتأكيد الفراش في الأسفل ليس مريحًا كما هنا.

أخذ حمد الوسادة من على الفراش، فأمسكت ميرا بكفّيه وأجلسته بجانبها وابتسمت قائلة:

- شكرًا لك.

ابتسم ثم أردف قائلًا:

- بل شكرًا لكِ، الفكرة كانت فكرتي، ولكن أنتِ من نفذ كل شيء لـ جرجس وبنورة.

- تأثرت جدًا بحديثهما عن حبهما لبعضهما البعض، أتمنى ألاّ يفترقان أبدًا.

- أتمنى ذلك أيضًا.

- ولكنهما صغيران جدًا في السن، هل يعرفان كيف؟

ثم احمرّ وجه ميرا خجلًا، وهزت رأسها متسائلة:

- كيف؟.. تفهم قصدي.

ابتسم، قائلًا:

- نعم تحدث والد جرجس معه، وأنا أعطيته بعض النصائح.

- لماذا لم تقل لي وقتها؟، كنت نصحته أنا أيضًا، إنه صغير في السن، لن يخجل مني، كنت سأعلّمه كيف يتعامل مع الأنثى حتى يستطيع امتلاكها؟ هذا الحديث بالذات يحتاج لسماعه من أنثى مرت بهذا الموقف من قبل، وليس من رجل، يفعل ما يفعله بقية الرجال، ثم لا يعلم إن كانت امرأته سعيدة بالفعل، أم تتظاهر أمامه بالسعادة حتى لا تجرح كبرياءه.

- أعتقد أنني أعطيته نصائح جيدة، إنها نجحت مع فاطمة، وأعتقد أن بنورة أصغر عمرًا من زوجتي، لن يهمها شيئًا مختلفًا في هذه السن الصغيرة.

اقتربت ميرا منه قائلة:

- هل قلتَ له أن يقترب منها، لتشعر هي بالدفء الذي يشع من نبضات قلبه، ثم يضع كفّه على صدرها، ليشعرها بأن نبضاته قد تركته وانتقلت لتسري في جسدها، فتصبح قلوبهما في لحظة وكأنها معلّقة في الهواء معًا من شدة الخفقان؟

ارتبك قائلًا:

- لم أقل هذا بالضبط، ولكن سأقول له هذه النصيحة غدًا.

- قل له أيضًا أن يهمس لها في أذنها بما يشعر، قم بتمثيله له حتى يفهم.. هكذا.

وقفت ميرا على ركبتيها أمام حمد وهي ما زالت على الفراش، ثم همست في أذنه قائلة:

- أحبكِ يا بنورة، أتمنى لو أقبلكِ الآن، فتستمر هذه القبلة إلى آخر لحظة في حياتي، وكأنها آخر ما تبقى لي في الدنيا، لا يوجد غدًا ولا يوجد مستقبل، فقط هذه القبلة، ولذلك سأحصل عليها، مهما كلفني الأمر.

أزاحت ميرا وجهها من جانب أذن حمد، حتى كادت أن تلامس شفاهها شفاهه وقالت:

- قل له عندما يشعر أنه لا مفر من تلك القبلة، وإنه في أقصى درجات احتياجه إليها، حيث سيموت من سرعة خفقان قلبه الذي لن يهدأ إلا بعد حصوله عليها.

قال حمد وقد ارتطمت شفاهه بشفاهها، وشعر بأنفاسها الحلوة قد اختلطت بأنفاسه:

- ماذا يفعل؟

قالت "ميرا" وهي تنظر إلى شفاهه:

- ماذا تنتظر يا حمد؟

- لن أنتظر بعد الآن، آسف يا ميرا، ولكنني أحتاج إلى هذه القبلة.

قام بتقبيلها قبلة طويلة، ولم يغادر حمد غرفته هذه الليلة.

* * *

قالت ميرا بحدة:

- جئت لمنزلي بعد ثلاث سنوات من غرق السفينة للافتراء عليّ؟

أجابت فاطيمة:

- فقط أقول لكِ ما أخبرني به حمد في اليوم التالي.

- لا أصدقكِ، لن يروي حمد ما حدث بيننا لأحد، خاصة وأنها تفاصيل كاذبة، لماذا سيقول لغريبة مثلكِ أنني أغويتيه، بينما هو من أغواني؟

- صدقيني هذه الروايات المتضاربة بين ما قاله وما تقولينه، جعلتني لست متأكدة من شيء، الله وحده يعلم الحقيقة، كل ما أعلمه الآن هو أن هناك رجلًا بالأعلى لم يتذكر عائلته لمدة ثلاث سنوات، ويجب أن يعود إليها، مهما كانت طبيعة علاقتكما، وبغضّ النظر عن المخطيء ومن قام بإغواء الآخر ليدمر حياته، أنتِ أم هو.

- هذا هو ما قلته له على متن السفينة، وقد اتفقنا على أن يعود إلى زوجته، لقد خشيت على مستقبل الولد الصغير، أشعر دائمًا أنني أم دون طفل ولا أريد أن يكون هناك طفلًا بدون أم أو أب، خاصة وإن كان بسببي، كما أن هنري تحدث معي في اليوم التالي، وقال لي أنه يريد إعطاء زواجنا فرصة أخرى فحبست نفسي داخل غرفتي طوال اليوم لأفكر وقررت أن هذا هو القرار الصحيح، لماذا لا أعطي زواجي من هنري فرصة ثانية؟ أخطأت مرة، وتملّكني شعور الطفلة المراهقة مع حمد، ولكن يجب أن أعود للصواب، ويجب أن يعود حمد أيضًا للصواب.

قالت فاطيمة بسخرية:

- وإذا كنتما قد اتفقتما على إصلاح الأخطاء، ماذا يفعل حمد هنا في منزلكِ بعد ثلاث سنوات من هذا الاتفاق؟ هل ما زال يعمل على إصلاح الخطأ؟

قال حمد:

- لا يا فاطيمة، لم أصلح الخطأ.

وقفت المرأتان في ذهول عندما سمعا حمد أمامهما متذكرًا اسم فاطيمة فابتسمت هي، بينما تسارعت دموع ميرا في السقوط على وجهيها وكأنها في سباق، ما هي الدمعة التي ستفوز بحرق جفونها قبل الأخرى؟

نظرت ميرا إلى حمد بخوف شديد، إنه بدأ يتذكر لقد حان موعد النهاية التي تم تأجيلها منذ سنوات، سيتركها الآن، وسيكرهها إلى الأبد.

*********

الفصل الثامن

قالت ميرا بقلق محدّثة حمد خلال تناولهما للإفطار بالكافية، في اليوم الرابع من أيام الإبحار على متن تيتانيك، يوم أربعة عشر من أبريل عام 1912م:

- ماذا سنفعل؟

رد عليها ببرود وهو يكمل تناول طعامه..

- لا أفهم سؤالك، نحن متجهين إلى أمريكا، سأمكث هناك عدة أيام، ثم سأعود إلى مصر.

- وأنا؟

- وأنتِ ستكونين في وطنكِ، ومع زوجكِ، ما المشكلة؟

- ستتركني بهذه السهولة؟

- لم نكن يومًا معًا كي أتركَكِ، لي زوجة وعدتها أن أعود قبل أن تلد ابني، وسأنفذ وعدي، مهما كلفني الأمر.

قالت ميرا بغضب:

- لن تعود إليها، وتتركني هنا وحدي.

- كيف تكونين وحدكِ ومعكِ زوجك؟ إنه يحبك، قال لي أنه يريد إعطاء زواجكما فرصة أخرى، وأنا أصدقه.

- إنه لا يحبني، يريد فقط الحفاظ على مظهره حتى لو كان الثمن لحدوث ذلك هو حياتي، إنه يستمتع بنظرات الاحترام التي يتلقّاها يوميًا من المعجبين بشركته، هو يدمن العمل، لا يهمه الحب، أو الاستمتاع بالحياة، أعطه فكرة جيدة تصلح ككتاب، وسيشعر بأنه بأفضل حال دون الحاجة لأي شيء أو إنسان آخر.

- ولكني على عكسه أحب زوجتي، وسأعود لها قريبًا، ما حدث بيننا كان خطأً، أشعر بالذنب كلما أنظر في عينيّ هنري.. أوافقكِ بأن له أخطاؤه، ولكنه لا يستحق الخيانة، سأصلح خطأنا يا ميرا، إذا لم تتركيني وشأني سأخبره بكل شيء، والآن بعد إذنكِ، انتهيت من الطعام.

ترك حمد الكافية، ونزل مسرعًا إلى الدرجة الثالثة، هاربًا من الحديث الذي لا يريد اكتماله.

قال حمد عندما شاهد فاطيمة، يوسف، مصطفى، جرجس، وبنورة، يتناولون الإفطار وهم يحدّقون إلى ضاهر:

- عمَّ تتحدثون إذًا؟

قالت فاطيمة:

- إنه هذا المخبول، يعتقد إنه رأى الفتاة التي قتلها معنا على السفينة، تجلس وهي تبتسم له عند هذه الزاوية، وكانت ترتدي فستان زفاف يشبه فستان زفاف بنورة.

جلس حمد بجانب ضاهر ونظر إليه قائلًا:

- تسللت وشربت الكحول مرة أخرى؟، لماذا لا تنتظر حتى تصبح مستعدًا لشرب الكحوليات؟ إنها ذات تأثير سيء عليك.

قال ضاهر:

- أقسم لك إنني رأيتها هنا، تقف وتبتسم لي في هذه الزاوية.

قال يوسف ممازحًا:

- نعم، أنا أيضا رأيتها، كانت تأكل من طعامي، أين نصف طبق الفواكه الذي كنت أتناوله بالأمس يا ضاهر؟ هل أكلته نورين؟

ضحك جرجس قائلًا:

- بنورة إن نورين كانت ترتدي فستان زفاف يشبه فستان زفافكِ، هلا تطمئنين عليه، ربما أخذته، مثلما أكلت طعام يوسف.

قال ضاهر بغضب:

- أترى يا حمد؟ إنهم يسخرون مني دائمًا، لم أقترب من طعامك يا يوسف رأيت مصطفى وهو يأكله بعد أن غفوت أنتَ بالأمس، وأنت يا جرجس فستان زفاف بنورة كما هو، لا يصح أن أرتديه قبلك.

ثم ترك الجلسة وانصرف بعيدًا، قالت فاطيمة وقد شعرت بالحرج..

- لماذا غضب هذا الصغير؟ كنا فقط نمزح معه.

رد حمد:

- لأنه شابًا قتل فتاة بالخطأ، والآن يعتقد إنه يراها في كل مكان، إنه يحتاج للعلاج النفسي، وليس للسخرية، انتظروا أنتم هنا، سأذهب للتحدث معه بهدوء.

وضع حمد كفّه على كتف ضاهر قائلًا:

- أصدق أنك رأيتها.

- لا تصدقني، ولكنك تحاول مراعاة شعوري، شكرًا على المحاولة، هذا أفضل من السخرية على أية حال.

- بلى أصدقك، عندما استيقظت من النوم اليوم رأيت زوجتي تنام بجانبي على الفراش، ولكني لم أرها سعيدة كما رأيت أنت نورين، بل رأيتها تبكي؛ ولهذا أصدقك.

- إذن يمكنك أن ترى الشخص الذي تحبه بجانبك، مهما كان بعيدًا عنك.

- أعتقد أن اشتياقنا لهم هو من يجعلنا نراهم.

- ستعود إلى زوجتك قريبًا.

- وستتزوج أنت فتاة أمريكية جميلة من بنسلفانيا، ستنسيك عائلتك بأكملها.

- وهل أنستك السيدة الأمريكية عائلتك؟

فوجئ حمد بسؤال ضاهر وشعر بالضيق، إنه هرب من الحديث مع ميرا في الدرجة الأولى ليجد نفسه مضطرًا للحديث عنها في الدرجة الثالثة.. قائلًا:

- لماذا تسألون جميعًا نفس السؤال، لماذا تعتقدون أنني وميرا على علاقة؟ لا يوجد بيننا أي شيء.

- إنها بالكاد تجلس مع زوجها، كلما أقترب من الدرجة الأولى أراها تجلس معك، أتعلم أن لي أصدقاء من العاملين بطاقم السفينة في الأعلى؟ هل تعلم بماذا يلقبونك؟ العربيّ الغامض، لم أقل لهم أننا أصدقاء لأسمع منهم كل شيء، إنهم يعتقدون أنك وميرا على علاقة، أو على الأقل لديهم الشكوك، لأنك العربي الوحيد بالدرجة الأولى، تعيش وسط نخبة من الأثرياء الأجانب، من وجهة نظرهم أنت لا تنتمي إلى هذا المكان، كيف دفعت ثمن التذكرة؟ ولماذا لا تتحدث مع أحد بالرغم من وجود الحسناوات اللاتي يحاولن التحدث معك وأنت تتجاهلهن؟ لماذا تجلس مع ميرا وحدها، ولماذا لا تجلس هي مع زوجها؟ هل تعتقد أنكما غير مرئيين؟

شعر حمد بثقل ألقاه ضاهر فوق صدره، قائلًا بصوت منخفض:

- لم أكن أعلم أن الجميع مهتمًا بعلاقتي بها إلى هذا الحد.

- سمع صديقي الذي يعمل نادلًا بالمطعم إحدى الفتيات الفاتنات تتحدث عنك، قال لي أن هناك أحمقًا عربيًا يعيش هنا ولا يتحدث مع أحد، حتى أنني سمعت إحدى حسناوات الدرجة الأولى وهي تقول لصديقتها أنها كانت ترغب في محادثته ولكنها تخاف أن يحرجها، لأنها ابتسمت له عدة مرات، وهو لم يعيرها اهتمامًا، ودائمًا يجلس مع سيدة عجوز.

قال حمد بحزن:

- أهذه هي فكرة الناس عنّي؟.

- تيتانيك سفينة كبيرة، ولكن بعد فترة تشعر بأنك محاصرًا بداخلها، ماذا سنفعل لقتل الملل يا أخي سوى التحدث عن بعضنا بعضًا؟

- معك حق، لم أنتبه لهذا من قبل، هذا هو اليوم الأخير الذي سأقضيه في الدرجة الأولى، بدءًا من الغد سأجلس معكم هنا، ولن أتحدث مع ميرا كما كنت أفعل، لا أحب حديث الناس عنّي بالسوء.

- لماذا تبالغ؟ بإمكانك أن تحصل على ما تريده دون مغادرة الدرجة الأولى فقط قم

بمحادثة الفتيات الجميلات بدلًا من ميرا، إن الدرجة الأولى قطعة من الجنة، أيترك أحد الجنة بإرادته؟

- لم ترى الجنة حتى تتأكد أن الدرجة الأولى قطعة منها، أشعر بأنها جزء من الجحيم.

- ستتأكد من ذلك عندما تصبح واقفًا أمام باب الجحيم، وقتها ستقف للحظة وتقول، يا لحماقتي، إن تيتانيك كانت قطعة من الجنة.

- أتراني هالكًا في الجحيم؟.

- لا، ولكنني أحببتك، ولا أستطيع العيش في الجحيم وحيدًا.

ضحك حمد ثم احتضن ضاهر قائلًا:

- لن يذهب أيًّا منّا إلى الجحيم، توقف عن الإحساس بالذنب وفكّر بالمستقبل، سنرى معا أماكن رائعة بأمريكا، ولن أتركك، نحن أصدقاء إلى آخر العمر.

قالت فاطيمة بسخرية:

- هل أقاطع خلوتكما؟

- بالإذن، ثقيلة الظل وصلت، لا نستطيع أن نقف جميعنا هنا، قد تغرق السفينة.

قالها ضاهر قبل أن يذهب إلى غرفته، بينما وقفت فاطيمة لتتحدث مع حمد.

- لماذا جئتَ إلى هنا منذ الصباح الباكر؟ ليست عادتك، لم نرك بالأمس سوى ليلًا، فلماذا أسرعت إلى هنا وقت الإفطار؟ هل ستستيقظ السيدة الأجنبية اليوم في وقت متأخر؟.

- لم أكن أعلم أنني متورطًا معها إلى هذا الحد.

شعرت فاطيمة بالقلق، قائلة:

- ماذا حدث؟ تبدو متوترًا.

روى لها حمد كل شيء، فاعتلى الغضب وجهها قائلة:

- آه من الرجال وحماقتهم! ألم تستطع أن تصدها قبل أن تخطيء في حق زوجتك وصديقك، لماذا تفيقون دائمًا بعدما تنالون بعضًا من المتعة؟ أم أن تذوق المتعة المحرّمة، ومللكم منها، هو الذي يوقظكم؟.

شعر بالخجل، فأبقى رأسه منخفضًا، قائلًا:

- لقد أخطأت، ولا أريد الاستمرار بهذا الشكل، ولكني لا أعلم ماذا أفعل؟.

- لا تفعل شيئًا، لا تجلس معها، ولا تقترب منها مرة أخرى لأنها ستحاول الإيقاع

بك مجددًا، إن الإنسان يصاب بشلل دماغيًا عندما يُحب، لا يفكر في شيء على الإطلاق سوى بمن يحب، لا يفكر حتى في نفسه، ولذلك ستحاول هي الوصول إليك حتى إن كانت ستؤذي نفسها وتؤذيك في الطريق، فابتعد.

صمت للحظات، فنظرت له فاطيمة قائلة:

- أتعلم شيئًا؟ أشعر في بعض الأوقات بأنك تحبها، تحب شيئًا ما بها لا تستطيع التخلص منه، هي كانت لديها الجرأة لكي تعترف بشعورها نحوك، ولكن ليس لديك القدرة لكي تعترف لها بالمثل، أعتقد السبب في ذلك هو أن الرجال ليس لديهم الجرأة للإفصاح عن مشاعرهم، فقط يلومون غيرهم عندما يقومون بفهم مشاعرهم وتلبية رغباتهم الدفينة بدلًا منهم.

- أتقولين أنني أردت ما حدث؟

قالت فاطيمة وهي تشعر بغيرة، جعلتها تريد أن تقسو عليه حتى توجعه مثلما تشعر بالوجع غير المبرر حتى الآن بالنسبة لها:

- على الأقل لم تمنعه، أنت استمتعت به، وتشعر بالذنب حاليًا، فألقيت بكل شيء على عاتق ميرا لتتحمله وحدها، حتى تريح ضميرك، وإذا كانت هي شيطانًا أغواك، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا تأخذه في أحضانك، أخطأت خطأً لا يُغتفر.

- أريد العودة إلى زوجتي وابني فورًا، لن أمكث في أمريكا يومًا واحدًا، سأعود إلى مصر فور وصول السفينة إلى الميناء.

تنهدت فاطيمة ثم نظرت إليه قائلة:

- قبل معرفتك كنت فاقدة الثقة في الرجال، بالرغم من أخطائك إلا أنك لديك الشجاعة للاعتراف بها وتصحيحها، اخترت زوجتك وبيتك في النهاية، رجال قليلون من يختارون فعل الشيء الصحيح، أتمنى الزواج من شخص يشبهك.

قال حمد وهو ينظر إلى عينيها:

- تستحقين الزواج برجل أفضل مني، لديك قلب من الذهب، وشجاعة و"جدعنة" مئة رجل، لم أقابل فتاة تشبهكِ من قبل، ومتأكد أنني لن أقابل مثلك.

قالت وقد احمرّت وجنتيها:

- سنشتاق إليك كثيرًا بعد انتهاء الرحلة.

فابتسم هو قائلًا:

- أعلم، لأنني أيضًا سأشتاق إليكم.

لم يشعر حمد بمرور الوقت في ذلك اليوم، فقد جلس مع الأصدقاء بالدرجة

الثالثة يرقصون، يلعبون، ويتسامرون إلى أن حلّ الظلام، بينما لم تعش ميرا يومًا أكثر مللًا من ذلك اليوم، فلم تفعل شيئا سوى الجلوس مع سيدات النخبة الراقية ليتناقشن حول روعة السفينة، وأناقة ملابس دوف زوجة السير "كوزمو"، بالإضافة لوسامة بعض رجال طاقم السفينة، حيث اعترفت أكثر من سيدة بالتودد إليهم لكسر الملل.

استمعت ميرا لحديث السيدات وهي ترسم فوق شفاهها ابتسامة تحجب عنهم شرودها، فهي كانت تجلس في الحقيقة مع أفكارها التي لا تتوقف، تعيش سرها الكبير، وتعيد تفاصيل ما حدث بينها وبين "حمد" في ذهنها كل بضعة دقائق فتبتسم، ثم تفزع حين تتذكر حديثه الذي قاله لها في الصباح، تقلق من المستقبل القريب حتى أصبحت ترتعد من اللحظة التي سترسو فيها تيتانيك على البر، تمنت لو تبقى محاصرة فيها إلى الأبد، ليبق محاصرًا معها ولا يجد مفرًا من حبها.

خلال هذا الوقت، لم تفكر بـ"هنري" ولو للحظة، فهي تعتقد أنه تخلّى عنها بكل جوارحه منذ زمن طويل، ولهذا سيستطيع تدبر أمره في الحياة بدونها، كما تدبر أمره في النجاح بعمله بعيدًا عنها، عندما كانت ما تزال بجانبه.

أما هنري فقد قضى هذا اليوم كبقية الأيام مع أصدقائه من رجال الأعمال، بين حمام السباحة والبار وقاعة الجمنازيوم، تحدث عن إتمام الكثير من الأعمال عندما يصل إلى أمريكا، وبدا له المستقبل مزدهرًا أكثر مما مضى.

العاشرة مساءً.

ترك حمد أصدقائه وصعد إلى الدرجة الأولى باحثًا عن ميرا ولكنه لم يجدها في غرفة القراءة مع هنري، أو في غرفتها، لم يجدها أيضًا عند حمام السباحة، ولم يجدها في غرفة الجمنازيوم، ليراها بعد بحث طويل تقف وحدها على حافة السفينة، فقط تنظر إلى البحر.

قال حمد مبتسمًا:

- أتنتظرين أحد هنا، سيدتي؟

ردت ميرا وهي ما زالت تنظر إلى البحر:

- ما يخيفني هو أنني ليس لديّ أحد لأنتظره، فالإجابة هي لا، لا أنتظر شيئًا، ولا أنتظر أحدًا.

- هل توافقين على تناول العشاء معي هنا على حافة السفينة؟

- لا أشعر برغبة في تناول الطعام الآن.

- نتناول الحلوى إذًا أرجوك، أريد التحدث معك.

نظرت إليه نظرة امتزج بها الغضب مع العتاب، ثم جلست على إحدى الكراسي الموجودة بجانب سور السفينة قائلة:

- تعلم ما أحبه من الحلوى، سأنتظرك هنا.

أحضر حمد أطباق الحلوى، وجلس بجانبها، قائلًا:

- أريد الاعتذار منكِ عن كل شيء، لم أخطط لما حدث بيننا، لا أعلم علي من يقع الخطأ، كنت أحاول فقط أن أعاملك بلطف وود لأنكِ صديقتي، شعرت بأنكِ قريبة جدًا مني، ولكنني اقتربت أكثر من اللازم، تعديت كل الحدود، ولذلك أعتذر.

- هل قبّلتني لأنك تعاملني بلطف وود لأنني صديقتك؟

قالت ميرا بسخرية ثم أكملت..

- في الحقيقة لا أعلم إن كان موقفنا هذا من المواقف التي تنتهي باعتذار، بعض المواقف من صعوبتها يكون فيها الاعتذار سخافة، فلا تعتذر، وأنا لن اعتذر أيضًا، لنكمل حياتنا بهدوء، كأننا لم نكن هنا، ولم نرى بعضنا من قبل.

- إذًا أنتِ توافقينني على إيقاف صداقتنا حتى إشعار آخر؟

- لقد فكرت كثيرًا حتى أرهقت عقلي وروحي، كيف ستكون حياتي معك؟ وكيف ستكون حياتي بلا هنري؟ لم أجد لنفسي حياة في كل الإجابات، إذا اخترتك ستتركني من أجل زوجتك، وسأكون أنا النزوة، أحبك ولكنك لن تحب المرأة التي في عمر والدتك، وتترك من هي أصغر عمرًا، وبالتأكيد لن تترك ابنك من أجل أي شخص، وإذا تركت "هنري" سأكون أنا الخاسرة، ليس لديَّ أي شخص آخر، حتى هو لن يخسر شيئًا إذا تركته، بل سيتزوج بأخرى فورًا وينجب منها البنات والبنين، وسأموت أنا وحيدة في منزلي، أخاف كثيرًا من هذه الفكرة، لذلك سأتركك، هذا هو الحل الأسهل بالنسبة لك على كل حال، بالرغم من أنني سأشتاق إليك كثيرًا.

- أنتِ لا تعلمين كم أقدركِ وأحترمكِ، خسارتك لا يمكن أن أعوضها.

ضحكت ميرا ضحكة طويلة بصوت عالٍ قائلة:

- تخاف أن تعترف لي بمشاعرك وتقول كم أحبكِ، بالرغم من أنك لن تراني ثانية بعد هذه الرحلة، إنه حقًا طبع الرجال، تهرب من الكلمة التي ستضعك في الحرج، إن كل مواقفك تدل على محبتك لي، ولكن الكلمة هي التي ستصنع الفارق، ستكون الدليل الذي قد أدينك به، حسنًا سأترك لك كلمتك لا أريدها، والآن أتركني أرجوك.

- أتعلمين، أود احتضانك لمرة أخيرة، ولكني أخشى أنني إذا احتضنتك لا أفلتك.

نظرت ميرا إلى البحر قائلة بغضب:

- أنت رجل مجنون، لا تعذبني معك بازدواجيتك وحديثك المعسول، كان من الممكن أن نكون سويًا لولا جبنك، والآن انتهى الحديث بيننا.

الساعة الحادية عشر وأربعون دقيقة ليلة الأحد "نوبة المراقبة"

عندما غادرت الشمس في اليوم الرابع من الإبحار على متن تيتانيك، لم يتبقى من حرارتها آثر، كما أبى القمر أن يسطع، فكان الأفق باردًا مظلمًا، لم يرى خلاله "فريدريك فليت" مراقب السفينة أي شيء أمامه، فاكتفى بارتداء معطفه الثقيل وشرب بعض المشروبات الساخنة واحدة تلو الأخرى لتساعده على تحمّل برودة الجو في هذه الليلة.

كان فليت منتبهًا خلال نوبة مراقبته للسفينة التي تستمر لساعتين من العاشرة مساءً إلى الثانية عشرة صباحًا، لأن زميله سيمونس الذي كان مسؤولًا عن النوبة السابقة، أخبره بأن هناك أوامر بمراقبة سطح البحر جيدًا، حيث تم تحذير جميع رجال المراقبة الستة باحتمال وجود بعض كتل الجليد الخفيفة، طافية على الماء بمواجهة السفينة.

قال فليت:

- سأنتبه جيدًا، يا سيمونس.

رد سيمونس:

- ليتهم أعطونا النظارات.

قال فليت بغضب:

- لا يوجد لدينا نظارات مراقبة لنعطيها لكم؟ كيف يقولون لنا هذا؟ هذه هي المرة الأولى التي أبحر فيها دون نظارات، كان من الممكن أن نرى الآن إذا ما كان يوجد أمامنا قطع من الجليد أم لا، ولكن بدلًا من هذا، سأضطر إلى التحديق بعينيّ في كل الاتجاهات في هذا الظلام الحالك.

قال سيمونس:

- لا بأس، إنهم يقولون إنها بعض الكتل الجليدية الطافية على سطح البحر، غير مؤذية، فقط انتبه لها.

- سأنتبه جيدًا، إذا رأيتها، سأدق الجرس ثلاث دقات.

خلال نوبة المراقبة، شرد فليت بذهنه ناظرًا إلى البحر الهاديء موجاته، وهو يدندن إحدى الأغنيات التي يحبها ويتخيل أمامه حبيبته التي تنتظره في نيويورك تتراقص على أنغامها، ولكن بعد ربع ساعة من الرقصة، تحديدًا في الساعة الحادية عشر وأربعين مساءً، بدأ ظل كتلة سوداء يظهر في الأفق، كلما سارت السفينة إلى الأمام، كلما كبرت الكتلة السوداء، حتى صارت شبحًا ارتعدت منه

صديقته واختفت تمامًا، فانتبه فليت لما يحدث وصرخ، قائلًا:

- إنها قطع الجليد، ولكن هذه ليست مجرد قطع جليدية، إنه جبل من الجليد!.

شعر بالفزع، فهرول ليضرب الجرس ثلاث دقات، ثم هرع إلى الهاتف ليتحدث مع الضابط السادس "جايمس مودي" قائلًا:

- لقد رأيت جبل جليدي أمامنا مباشرة.

فأجاب مودي بهدوء:

- شكرًا لك.

ثم أغلق الهاتف، فعاد فليت إلى مكانه بالمراقبة مرة أخرى وقد رأي أن السفينة تحاول تغيير اتجاهها، فاستمر بالمراقبة لينهي نوبته المتبقي منها سوى عشرين دقيقة فقط، وكلما كانت تمر دقيقة منهم، كان يرى الجبل الجليدي يقترب منه أكثر فأكثر، وكأن هناك خطوات متبادلة من الطرفين، كلما اقترب الجبل من فليت يبادله هو بخطوة أخرى، وبالرغم من ذلك لم يترك مكانه قبل انتهاء نوبته، حتى بعد تعرض السفينة لهزة قوية وسقوط بعض الكتل الجليدية على سطحها.

بعد انتهاء نوبة مراقبته، نزل مسرعًا إلى غرفة القيادة، ليجد طاقم عمل السفينة في حالة تأهب قصوى، يطلبون منه الصعود إلى الأعلى مرة أخرى؛ لمساعدتهم في إخلاء السفينة من الركاب، فعلم فليت أن القبطان فشل في إبعاد السفينة عن الجبل الجليدي، فصعد بهدوء آملًا أن يجد له مكانًا في إحدى قوارب النجاة، وفي ذلك الوقت دوّى صوت الكابتن سميث في جميع أرجاء التيتانيك للإعلان عن غرقها.

...

الساعة الحادية عشر وأربعون دقيقة ليلة الأحد "على سطح السفينة"

ذهبت ميرا إلى غرفتها للاختباء بعيدًا عن أعين الجميع، بينما ظلّ "حمد" على سطح السفينة شاردًا إلى أن سمع صوتًا يشبه قطع الملابس الحريرية، ورأى قطعة من الثلج قد هبطت فجأة على بعد خطوات منه، فشعر بالخوف، وتحرك من مكانه ليتأكد مما رآه عن قرب، وأتبعه اثنان فقط من ركاب الدرجة الأولى، ولكنه سمعهما يضحكان، حيث قال أحدهما:

- يبدو أن السفينة قد مرت على جبل من المرمر، فتناثر على سطحها.

اطمئن حمد لهذا الحديث ولكنه لم يستطع البقاء على سطح السفينة لشدة البرودة، ولم يستطع أيضا الذهاب إلى غرفته، حيث شعر بأنه لا يريد البقاء وحيدًا، فظل يتجوّل في أرجاء السفينة دون هدف، فشاهد الطبّاخين وهم

يقدمون الطعام في المطعم، الساهرين وهم يدخنون السيجار الفاخر في البار، والعازفين وهم يعزفون السيمفونيات الممتعة بصالة المطعم الكبير، وعلى بعد خطوات منهم كان يجلس "هنري" مع السير "جون إستر" تاجر الفراء وزوجته، وهم يحاولون الاستمتاع بعزف الموسيقى خلال تناولهم وجبة لذيذة.

ظل يتجول ويتجول إلى أن اقترب من غرفة قيادة السفينة التي لم يمر من أمامها أبدًا سوى في هذه اللحظة فقط، بل كاد أن يقتحمها عندما سمع صراخًا يصدر منها.

قال جايمس مودي "الضابط السادس":

- جبل جليدي! كنت أظن أن هناك تحذيرات بأنه ربما يوجد أمامنا بعض قطع الجليد الخفيفة الطافية على الماء، ماذا حدث إذًا؟ ألم يحذرك أحد بشأن هذا الجبل الجليدي يا جاك؟ لا بد وأن كابتن سميث لم يكن يعلم أن الوضع بهذه الخطورة، وإلا لما كان قرر أن يذهب لينام قائلًا أننا سنسيطر على الوضع إذا ظهر شيئًا في الأفق، حتى عندما غيّرنا اتجاه السفينة، لم نسيطر على الوضع.

قال جاك فيليبس عامل التلغراف اللاسلكي؛ ردًا على مودي:

- لقد تلقيت عدة رسائل تحذيرية بشأن جبل جليدي، ولكن قال كابتن سميث أنه متأكد بأنه لا يوجد جبل جليدي أمامنا، وحتى إن وجد، فلن يحدث شيء لأننا نبحر على متن تيتانيك، السفينة التي لا تغرق ومن البديهي أن ينتصر الفولاذ على الجليد، وذهب لينام، كان واثقًا جدًا، لذلك لم أكترث لبقية الرسائل التي تسلّمتها.

قال مودي:

- حسنًا، إنها ستغرق الآن، ستموت هنا مع رسائلك التي لم تعرها انتباها، لقد توقفت الغلّايات عن العمل، وتوقفنا عن الإبحار، أحدث الجبل الجليدي شقًا في منتصف السفينة وغمرت المياه غرفة البريد، سنغرق لا محالة.

ثم دمعت عيناه

- لا أمل لنا في النجاة اليوم.

قال جاك:

- لا يا كابتن انظر لقد حذرتنا سفينة "إس إس كاليفورنيان" من الجبل الجليدي منذ قليل، بالتأكيد أنها تبحر بجانبنا الآن، سأرسل لطاقم السفينة نداء استغاثة، سينقذوننا، هذا شيء مؤكد.

- "هنا تيتانيك، انقذونا، نحن نغرق".

أرسل جاك الرسالة عن طريق راديو اللاسلكي، ثم نظر إلى الضابط مودي، وهو

يحاول أن يخبئ عنه إحساسه بأن لا أحد سيتلقّى الرسالة.

صرخ مودي:

- يجب أن نطلق صواريخ الاستغاثة، عسى أن يرانا أحد، ستموت آلاف الأنفس إن لم يتم إنقاذنا، أتمنى أن أموت غرقًا، الموت أفضل من العار، سيلعننا التاريخ.

هذه كانت المرة الأولى التي يشعر فيها حمد بدوار البحر منذ أن صعد على متن تيتانيك، بالرغم من أن السفينة في هذه اللحظة كانت قد توقفت عن الحركة.

لقد شعر ببرودة تسري في جسده وتحدث شلل في أطرافه، ولكنه سمع صوت أحدهما يهمّ بالخروج من الغرفة، فعصفت الخواطر بذهنه..

"ربما سيذهب ليبلغ القبطان سميث بالكارثة التي لا يعلمها أحد من الركاب بعد.. الركاب.. ميرا؟ ستموت ميرا، فاطيمة، ضاهر، جرجس، بنورة، وهنري، سيغرق الجميع، فاطمة لن أرها حتى ولو لمرة أخيرة، ولن أعلم ما هي ملامح ابني حسن، سيعيش طوال حياته بلا أبّ، لا بد أن أعيش من أجله."

قال حمد بصوت عالٍ:

- نعم، سأعيش من أجل ابني.

ثم ركض بأقصى سرعة لديه حتى وصل لغرفة ميرا، دق الباب بقوة ودموعه تتناثر على وجهه، ففتحت، وشعرت بالفزع من رؤيته في هذه الحالة، قائلة:

- ما بك؟ ماذا حدث؟

قال:

- نحن نغرق.

- موقفنا ليس بهذه الصعوبة.

- السفينة تغرق يا ميرا، لقد سمعت طاقم السفينة وهم يتحدثون، اصطدمنا بجبل جليدي، لا يعلم أحد هذا الخبر بعد، وهذا يعطينا أفضلية الوقت لن تكفي هذه القوارب لإنقاذ الجميع، اليوم سيحصد الموت أرواحًا كثيرة، اليوم يوم الموت، أتوسل إليك ارتدي ملابسكِ سريعًا ريثما أخبر أصدقائي وأخبر هنري ليأتوا معنا، سأقطع حبل إحدى قوارب الإنقاذ، وسنركبها، وسنبحر وحدنا حتى ترانا إحدى السفن الكبيرة وتنقذنا، هيا يا ميرا هيا.

سقطت دموعها، ثم احتضنته قائلة:

- إننا نعيش داخل قصتك الآن، قلت لي في أول يوم لنا هنا إنك البطل، وأصدقك، تستطيع إنقاذ الجميع وستفعل ذلك، سنكون بأمان، أنا وأنت سنكون بأمان، أعدك بذلك، سنعيش، هيا اذهب إلى أصدقائك سريعًا، ثم قابلني هنا بعد عشر

دقائق.

نزل حمد إلى الدرجة الثالثة فأخبر أصدقاءه بما يحدث للسفينة، وبدأ الجميع في التجهّز بسرية للهرب معه في قارب النجاة، وفي ذلك الوقت دوّى صوت الكابتن سميث في جميع أرجاء تيتانيك للإعلان عن غرقها.

الساعة الثانية عشرة صباح الاثنين.

- الرجاء الانتباه، يحدثكم القبطان "إدوارد جون سميث"، قبطان سفينة تيتانيك، يؤسفني أن أعلن اصطدام السفينة بجبل جليدي وتوقفها عن الحركة، أرجو منكم الهدوء، فلتصعد السيدات والأطفال على سطح السفينة، ستركب السيدات والأطفال قوارب النجاة أولًا، كلما كنتم هادئين كلما استطعنا إنقاذ المزيد من الأرواح، أتمنى للجميع نيل فرصة للنجاة.

سكن الفزع السفينة بعدما سمع كل من على متنها إعلان القبطان عن غرقها، وأصبحت تيتانيك مثل الأرجوحة، لا تتمايل فقط بسبب انشقاقها لنصفين من المقدمة، بل تتمايل أيضا من حالة الهرج والمرج التي أحدثها الركاب محاولين العثور على فرصتهم في النجاة، احتضن الأزواج زوجاتهم وتساقطت دموع الأمهات على رؤوس أطفالهم، وكان حمد يركض صوب غرفة ميرا، ففي الوقت الذي تفاجئ الجميع بالخبر أصبح هو مستعدًا هو ومن معه للهرب.

عندما دق حمد باب الغرفة فتح له هنري هذه المرة، قائلًا بهدوء:

- أرجوك اذهب مع ميرا إلى غرفة الجمانيزيوم وانتظراني هناك، لقد تحدثت مع بعض الرجال من طاقم السفينة، سنصعد جميعا إحدى قوارب النجاة، اهدأ، أعدكم أننا لن نموت اليوم.

خرجت ميرا من الغرفة ووقفت بجانب حمد قائلة بغضب:

- تعال معنا الآن، ماذا إذا غرق هذا الجزء من السفينة أولا، ولم تستطع اللحاق بنا؟

قال:

- لا أستطيع الرحيل دون كلبي وقبعتي، سأبحث عن الكلب والقبعة، ثم سأسرع إليكما، لا تقلقي سيكون كل شيء بخير.

- ستتركني أسير بمفردي وسط هذه المياه والسفينة تغرق، من أجل إنقاذ كلب وقبعة؟ أليست زوجتكَ أحق بالإنقاذ من قبعتك المهمة؟.

صرخ حمد:

- هيا بنا يا ميرا، إن ما يفعله هنري من الإنسانية، سينقذ الكلب ثم يأت إلينا، وهو بالتأكيد مطمئن عليكِ لأنك معي، هيا بنا، لا وقت للجدال، إننا نغرق، نغرق.

ركض حمد ومعه ميرا إلى غرفة الجمانيزيوم، وفي طريقهما إلى هناك وجدا المليونير "بنجامين جاجنهيم"، فدعته "ميرا" ليركب معهما في قارب النجاة الذي وعدها به زوجها ولكنه أجابها قائلًا:

- أشكرك، رأيت الناس تتكالب في الخارج على هذه القوارب الصغيرة، وقد أعطاني طاقم السفينة سترة للنجاة، ولكنني سأذهب لغرفتي وجدت أنه من الحكمة أن أرتدي بدلتي الأغلى، عزيزتي ما دام الهلاك لا مفر منه، فسأموت نبيلًا كما عشت نبيلًا.

ثم تركها وأكمل طريقه بكل هدوء إلى غرفته.

لم يكن غرق السفينة سببًا كافيًا لانقطاع صوت الموسيقى، حيث ظل العازفين بالمطعم يعزفون أجمل الألحان، دون أدنى محاولة منهم للهرب من مصيرهم المحتوم، بل تشبث كل عازف بآلته، احتضنها وأغمض عينيه وظل يعزف ألحانه المفضلة لآخر مرة، آملًا في إنه عندما يفتح عينيه مرة أخرى يرى الجنة، أو لا يرى شيئا، المهم إن الموت سيكون بالتأكيد موتًا رحيمًا عندما يصاحبه لحنًا جميلًا.

أمام العازفين جلس السير "ميجور أركيبولد" مع ثلاثة من أصدقائه يدخنون السيجار الفاخر، ويتحدثون عن شؤون البلاد، غير آبهين لما يحدث من حولهم، ربما لم يصدقوا أن السفينة ستغرق بالفعل، أو ربما رفض كبريائهم الهرولة في الأرجاء مثل الجميع بحثًا عن الحياة، إنهم نبلاء الحياة قدمت لهم على طبق من فضة وهم لن يقوموا بالجري وراءها الآن، فتركها أهون من لحظة ذل وضعف أمام الموت.

مع مرور كل دقيقة، كان يغرق جزءًا من السفينة، وكان الموت منتظرًا في كل ركن لينقض على من سيسقط أولًا، وإن كانت لم تمت الأجساد بعد فقد ماتت أرواح البعض عندما فقدوا أملهم في النجاة، فلن تحمل هذه القوارب الجميع.

وصل حمد مع ميرا أخيرًا إلى غرفة الجمانيزيوم، وكانَ أول الحاضرين، ولكن ما لبثا أن جلسا هناك وجاء إليهما الكولونيل "جون إستور" وزوجته.

جلس الكولونيل بجانب ميرا بكل أريحية قائلًا بهدوء:

- أرى أنكما قلقين.

قالت ميرا باندهاش:

- إن السفينة تغرق يا كولونيل!.

قال إستور ببرود:

- عزيزتي، لا أرى أن الأمر خطيرًا، إن طاقم السفينة يبالغ في الحماية، نحن على

متن تيتانيك، أبحرنا على متنها لأنها سفينة فولاذية لا تغرق، برأيك الفولاذ أم الجليد؟ من سينتصر على من؟

ردت ميرا:

- إذا لم يكن الوضع خطيرًا، لما أمر قبطان السفينة بإخلائها من جميع الركاب على الفور.

قال إستور:

- يريدوننا أن نركب تلك القوارب الصغيرة الضعيفة، ونترك هذه السفينة القوية الآمنة؟ بالطبع لن أترك السفينة، هنا أكثر أمانًا من هذه القوارب، ستغرق بنا في عرض البحر فور ركوبنا فيها.

ثم نظر إلى زوجته وأكمل حديثه

- لا تخافي يا عزيزتي، أؤكد لكِ أننا هنا بأمان ولن يحدث شيء، وحتى أثبت لك، أنا لا أحتاج لسترة النجاة.

قام إستور بإخراج سكين صغير من جيبه، وقام بشق سترة النجاة الخاصة به قائلًا لزوجته:

- انظري للمواد المصنوع منها سترات النجاة يا عزيزتي، إنها مواد ضعيفة، بالتأكيد الجلوس هنا أكثر أمانًا من السباحة بهذه السترات في عرض البحر.

قال حمد متعجبًا من عدم مبالاة إستور:

- لقد شققت سترة النجاة الخاصة بك، أرى أن هذا تصرف خاطئ في ظل هذه الظروف، السفينة تغرق بالفعل، وقد هزم الجبل الجليدي الفولاذ، أرجوك لا تشق سترة نجاة زوجتك.

رد إستور:

- لا تخف، سنكون بأمان هنا، متأكد من هذا.

قال هنري وهو يشير إلى ميرا لكي تلحق به للأعلى:

- لقد وجدت الكلب ولكنني لم أجد القبعة، للأسف ستغرق قبعتي المفضلة مع السفينة، هيا بنا.

قامت ميرا من جلستها وودعت الكولونيل وزوجته، ثم أمسك حمد بيديها وصعدا سويًّا إلى السطح، وعندما وصلوا رأي أصدقاءه الذين استعدوا وجاءوا قبل غيرهم للّحاق بقوارب النجاة، إلا أنه وجد يوسف، ومصطفى أبناء عمومة فاطيمة يرتديان ملابس النساء لكي يستطيعا الركوب معها في القارب.

نظر حمد إليهما وإلى فاطيمة ولم ينطق أيّا منهم بكلمة، في محاولة للتكتم على ما يحدث وعدم لفت الانتباه، بينما احتضن جرجس زوجته "بنورة" محاولًا تدفئتها من البرد إلى أن يجدا قاربًا للنجاة يمكنها الركوب فيه، ووسط هذه المشاعر المضطربة وقف ضاهر بجانبهم يبتسم لـــ حمد، فرد له حمد الابتسامة، وقال بصوت عالٍ:

- لا تخف، ستكون بخير، ستكونون جميعكم بخير.

في هذا الوقت كان قارب النجاة الثاني قد امتلأ، وقبل أن يرحل بثوانٍ طلبت السيدة "روزالي" الصعود مرة أخرى على متن السفينة، وفور خروجها من قارب النجاة ارتمت في حضن زوجها "إيزدور ستروس" وهي تبكي قائلة:

- لا يمكنني الرحيل الآن من دونك.

ثم ابتسم الزوجان، وذهبَ ليجلسَ في أحد الأركان الهادئة، إلى أن يضمهما البحر في أعماقه؛ ليظلا سويًّا إلى الأبد.

لم يزد رؤية هذا المشهد في نفوس الواقفين سوى المزيد من شعور الرغبة بالبقاء حتى لا يلاقوا نفس المصير، فهرول الجميع إلى قارب النجاة الثالث، صعدا هنري مع الكلب أولًا، ثم فاطيمة، وقبل أن يدعس أولاد عمومتها القارب، اكتشف طاقم السفينة خدعتهما، فما لبث أن تكالب بعض الرجال على القارب في محاولة للنجاة عندما اكتشفوا الرجال العرب التي تحاول الفرار بملابس السيدات، خاصة عندما شاهدوا هنري والكلب يجلسان على متن القارب بأمان، فأطلق طاقم السفينة بعض الطلقات النارية، أصابت بعضها مصطفى ويوسف فسقطا في الماء بجانب ابنة عمتهما فاطيمة التي وقفت وصرخت داخل القارب من هول المفاجأة قائلة:

- لا، اسبحا يا يوسف، يا مصطفى، لا تتركاني.

بكى الجميع، وأكثرهم بكاءً كان جرجس الذي أمسك بيديّ بنورة وذهب بها أمام القارب، ثم وضع قبلة على جبينها وقد غرق وجههما في بحر دموع ليس له نهاية.

قال جرجس:

- أعلم أنني تزوجتكِ أربعة أيام فقط، ولكن يكفيني أنني تزوجتك عمري بأكمله، لا يهم المدة التي قضيناها سويًا، المهم هو أنني لن أعيش يوما بعدك، سأموت الآن وأنا سعيد، فقد نفذت وعدي لك، وبقيت بجانبك لآخر لحظة في حياتي، أرجوك افعلي ما سأقوله لك، ستصعدين على متن هذا القارب الآن، وتذهبين إلى أبي بكندا، سيهتم بكِ، أنتِ آخر شيء سيتبقى له من روحي، وبعدها اتركِ الأيام تنسيكِ.

قالت بنورة:

- لن أركب في هذا القارب، سأبقى هنا معك، ربما لن نموت، ربما سيأتي أحدهم لإنقاذنا، كن متفائلًا، لن أرضى بالأربعة أيام كما رضيت، لم تتذوق أكلاتي بعد، ولم أعدّ لك قهوتك، ولم أنجب منك طفلًا يشبهك، ما زال الوقت مبكرًا جدًا يا ربي، ما زال الوقت مبكرًا، لن أتركك، ليست هذه النهاية، ستكون قصتنا سيئة إذا كانت هذه نهايتها، وقصتنا ليست سيئة.

صاح جرجس:

- لا تكوني ساذجة، إنني رجل فقير من ركاب الدرجة الثالثة، لن يأتِ أحد لإنقاذي، ولن يسمح لي أحد بالركوب في القارب بجوارك، ولا أحب الموت مرتديًا ملابس النساء، كوني شجاعة، كوني قوية بدوني، أؤكد لكِ أنك ستعيشين قوية بدوني.

علا صوت بكاء بنورة خلال احتضان جرجس لها لمرة أخيرة، ثم نظر لـ"حمد"، الذي تدخّل واقتلع بنورة بصعوبة من بين ذراعيه، فابتسم جرجس لها حتى ركبت القارب بسلام ثم صرخ:

- أحبكِ يا زوجتي.

وبعدها سار مع أبناء عمومته ليتجمّعوا مع غيرهم من الشباب العرب، حيث جلس الجميع في مقدمة السفينة، أمام موجات البحر ليغنوا ناعيين أنفسهم قائلين:

- "ابكي ونوحي يا حردين.....على الشباب الغرقانين .. غرق منكِ إحدى عشر شاب..... بسن الخمسة والعشرين .. منهم سبعة عزابي.....والبقية مزوجين .. ما فيهم واحد شايب..... كلن بالخمس وعشرين"

ارتفع صوت غناء الشباب، فنظر إليهم حمد بيأس، إنه لا يستطيع إنقاذهم، إذا حاول مجرد المحاولة سيموت معهم لا محالة، ولكنه لديه فرصة لإنقاذ ضاهر الذي يقف بجانبه، فأمسك بذراعيه ليدفعه داخل القارب بسرعة قبل أن ينتبه أحد، ولكن صرخ ضاهر فجأة:

- أرى نورين.

صرخ حمد بغضب:

- نورين ليست هنا، هذا ليس مجال للنقاش الآن، أحتاج لتركيزك الكامل، قف بجانبي، عندما تأتي اللحظة المناسبة، ستقفز إلى قارب النجاة، بحيث لا يستطيع منعك أحد من الركوب معنا في اللحظات الأخيرة.

نظر ضاهر إليه وهو يبتسم بكل أريحية، ثم نظر إلى جرجس وبقية الشباب وهم

يغنون، فأمسكه حمد من ذراعيه وصرخ قائلًا:

- لا تنظر إلى هناك، كن معي، لا تنظر إلى أحد سواي، ما بك؟ سنركب القارب معًا، أحتاج إلى تركيزك الكامل، هلا تنتبه إلىّ للحظات، أرجوك.

صرخ فجأة أحد ركّاب الدرجة الأولى محدّثا طاقم السفينة قائلًا:

- لماذا يركب هنري هاربر في قارب النجاة؟ ألم يقل القبطان أنه سيتم إنقاذ الأطفال والسيدات أولًا؟ إنه حتى جعل كلبه يركب معه، ستنقذون الكلب وتتركونا نموت هنا في عرض البحر؟

صرخ هنري من القارب:

- لا أريد أن أرى أحدًا يعترض على إنقاذي للكلب، وهو لا يشغل حيّز كبير، قوارب النجاة غير ممتلئة عن آخرها بالناس، ولم يمنعكَ أحد من الركوب معنا.

- إذًا سأصعد معكم.

قالها الرجل في محاولة للهجوم على القارب، فتراص طاقم السفينة ليحولون بينهم وبين القارب، مطلقين بعض طلقات الرصاص في الهواء وهم يصرخون في وجه الجميع، قائلين:

- السيدات والأطفال أولًا يا سادة، أنتم من النبلاء، تفهمون التقاليد وتعلمون القواعد، السيدات والأطفال أولًا يا سادة.

شد وجذب وتشابك بالأيدي زاد من حدة التوتر على السفينة حتى سقط بعض الركاب قتلى دهسًا، وسقط آخرين قتلًا بالرصاص، وفي هذا الوقت نظر حمد إلى ضاهر وأعطاه إشارة القفز إلى القارب، وعندما همَّ بالقفز أمسكه من ظهره أحد ركاب الدرجة الأولى، قائلًا:

- إلى أين تذهب؟ لن تركب في هذا القارب، هذا ليس مكانك.

اختل توازن ضاهر فلم يستطع القفز في القارب، ولم يستطع العودة إلى السفينة، فأسرع حمد نحوه كي يجذبه نحو السفينة، ولكن سقوط ضاهر في البحر كان أسرع من أي شيء.

صرخ حمد قائلًا:

- سقط ضاهر في الماء، لا بد أن أنقذه، سأسبح وأنقذه.

جذبته ميرا من ذراعه وهي تبكي قائلة:

- سيفوتنا القارب يا حمد، أنظر للناس من وراءك، هيا نركب، اقطع الحبل لكي نرحل من هنا سريعًا دون حدوث مشكلات إضافية، لا داعِ لأن نرى شخصًا آخر يموت أمامنا.

نظر إليها حمد، ثم نظر إلى ضاهر الذي اختفى جسده تمامًا من على سطح المياه ، وتبقى وجهه فقط كان يبتسم بهدوء وكأنه يستنشق الهواء العليل لأول مرة في حياته، نظر إلى "حمد" نظرة وداع، ابتسم للمرة الأخيرة، ثم اختفى وجهه، ولم يصعد مرة أخرى على سطح المياه، وربما لم يحاول الصعود مرة أخرى.

غلبت الصدمة على شعور حمد فاختفت أصوات الناس من حوله، وتوقفت حركة الأشياء للحظات ولم يفق من هذا الثبات إلا على صوت صراخ ميرا:

- سنموت هنا، اقطع الحبل الآن، أو سنموت.

قام حمد بحمل ميرا على ذراعيه، وقفز بها إلى القارب فأجلسها، وقطع الحبل الذي يربط بين قارب النجاة وبين السفينة، فانطلق القارب في البحر دون أن يمتلئ عن آخره بالركاب، بل كان نصفه فارغًا تقريبًا.

جلس حمد بجانب ميرا، بينما جلس هنري في الناحية الأخرى من القارب، وتعالت أصوات بكاء السيدات اللاتي بكين لتأبين أحبابهن، فقد ظنن أن أجسادهم تسبح حولهن طوال الطريق، كانت تبحث نورة في المياه على زوجها، ربما تجد جرجس، ربما استطاع النجاة، قفز في الماء وسبح حتى وصل إليها، أو ربما استطاع القفز في إحدى قوارب النجاة التي ستلحق بهم بعد قليل، كل شيء جائزًا.

بينما نعت فاطيمة أبناء عمومتها الذين حتى لم تكن لديهم فرصة للنجاة من الغرق، فهم ماتوا قبل مواجهة تحدى الموت الأكبر الذي ينتظره الجميع ربما رفق الموت بهم، وأنهى عليهم عذاب انتظاره.

لم يجرؤ أحد على التحدث أو مشاركة مخاوفه وأفكاره السوداء عن أحباءه مع أحد بل ساد الذهول والخوف بين الجميع، إنهم واجهوا صعوبات كثيرة لتجنب مواجهة الموت على متن سفينة كبيرة، ليواجهونه الآن في قارب صغير، لقد شعر الجميع بشدة برودة المياه عندما ركبوا في القارب فتسلل البرد القارص إلى أرجلهم، ثم تخلّل عظامهم شيئًا فشيئًا، فحاولوا تدفئة أنفسهم بالجلوس بجانب بعضهم بعضًا، وارتداء جميع الملابس الثقيلة التي استطاعوا إحضارها معهم.

كلما ابتعد القارب الصغير عن السفينة، كلما زادت برودة المياه وزاد الظلام وامتلأت النفوس بالحزن والرعب، فقد شاهدوا الصورة الكبيرة الآن وأصبحوا مجبرين على متابعة لحظة سقوط سفينتهم في الماء.

دبّ الأمل أخيرًا في القلوب عندما شاهد ركاب قارب الإنقاذ صواريخ استغاثة تيتانيك تسطع في السماء، فقد اعتقد البعض أن هناك سفينة سترى هذا النور

الكبير، وستأتي حتمًا لإنقاذ الناس ولكن بدأ الأمل يحتضر بعد إطلاق إشارة الاستغاثة الرابعة والخامسة، دون ظهور مراكب أخرى في الأفق.

وسط ظلام المحيط الحالك، كانت أنوار تيتانيك ما زالت تلمع في السماء، فقد وقفت شاهقة تكاد أنوارها أن تلمس النجوم، بعدما أصبحت بزاوية قائمة وهي تغرق، لتتربع على عرش أعماق المحيط.. مثواها الأخير.. وكلما غرق منها جزءً في الماء، كلما تلاشت الأنوار، وظلت تتلاشى وتتلاشى، حتى اختفت السفينة من على سطح الماء، وكأنها لم تكن، في تمام الساعة الثانية والثلث صباح يوم الخامس عشر من أبريل.

أصبح لا يوجد مجال للرؤية، ولا يوجد وجهة محددة لقارب الإنقاذ الصغير، لا يعلم الجميع أين هم؟ ولكن صمت الركاب في محاولة للسيطرة على النفس فلن يحدث أسوأ من ذلك بالتأكيد، ولكن ما لبث أن انكسر هذا الهدوء المخيف عندما شاهد الركاب قارب نجاة آخر على مقربة منهم، وأخيرًا ناجيين آخريين من تيتانيك.

بدأ قارب الإنقاذ الآخر في الاقتراب منهم، ولكن سمع الركاب صوت سقوط أحدهم في المياه، فصرخت بعض النساء وكدن أن يقمن لإنقاذ من سقط، لولا أن صرخ هنري قائلًا:

- أحذركم، لا يترك أحد منكم مكانه، إذا تحرك أحدنا سيختل توازن القارب، كما فعل هؤلاء الحمقى، لقد سقط أحدهم في المياه، أكرر، لا يتحرك أحد، إذا سقط أحدكم في المياه لن نساعده لأننا إذا ساعدناه سنموت جميعًا غرقًا معه، كفانا أننا متكدسين في هذا القارب الصغير، لم أعلم مدى صغره إلا عندما صعدت به، كم كانت تيتانيك كبيرة.

تشبث جميع ركاب قارب إنقاذ رقم 3 بأماكنهم، ولم تمر سوى لحظات حتى اختل توازن ركاب القارب الآخر، وبدأ يتساقط راكب وراء الآخر في الماء، ومن استطاع الصعود على متن القارب مرة أخرى، أثقل القارب الذي بدأ يميل معهم إلى المياه، حيث امتلأ بالمياه شيئًا فشيئًا، ثم انقلب وبدأ في الاختفاء من على سطح المحيط وسقط معه ثلاثون راكبًا ظنوا منذ دقائق أنهم كانوا من ناجيين تيتانيك.

قال حمد في محاولة لتهدئة الجميع بعدما شاهدوا الموت يقف أمامهم:

- لن يحدث لنا مثلما حدث معهم.

لم يجرؤ أحد على الرد على حمد وظل الصمت سيد الموقف، فتابع حديثه، قائلًا:

- لقد أنقذنا الله من الغرق على متن سفينة شاهدناها تغرق أمامنا، وأنقذنا أيضًا من اختلال توازن قاربنا، لم يسقط منّا أحد في الماء، إنه أرسل لنا الإشارات عبر

هذا القارب لكي يعلّمنا كيف ننجو، وسنفعل ذلك، سننجو، لن نضيّع أرواح من ضحّوا بحياتهم لإنقاذنا هباءًا، سنحيا من أجلهم، وسنعيش لنحيي ذكراهم، سيظلوا على قيد الحياة طالما هم أحياء في قلوبنا، تذكروا ذلك.

انقضت نصف ساعة على متن القارب الحزين، بدت كأنها سنوات وسنوات، بكت فيها جميع النساء عدا ميرا التي كانت آمنة في القارب مع من تحب! كانت تتوقف النساء عن البكاء عندما كنّ يشردن في التفكير بأحبابهن، فيحصلن على استراحة قصيرة ثم يكملن، حتى أصبح البكاء في النهاية دون دموع، فقد نفذ رصيدهن منها.

خلال بكاءها صاحت بنورة فجأة، قائلة:

- انظروا إلى الماء، يوجد شخص يعوم هناك، ربما يحاول الوصول إلى القارب، ربما يكون جرجس، إنه جرجس يحاول الوصول إلينا، اقتربوا منه، أرجوكم.

قال هنري:

- إنه ليس زوجكِ أيتها الصغيرة، فلتهدئي، لا نريد جميعا أن نموت الآن.

جرت بنورة وانحنت تحت رجليّ حمد باكية وهي تقول:

-أرجوك، ربما يكون جرجس، لنلقِ نظرة فقط.

طلب حمد من فاطيمة المكلومة على وفاة أبناء عمومتها، الجلوس مكانها، لكي يذهب إلى الناحية الأخرى من القارب لرؤية ما رأته بنورة، ثم تحرك بحذر، صرخت بنورة بفزع شديد عندما شاهدت الجسم الذي كان يطفو بجانبهم قائلة:

- إنها السيدة "إلين جيردا"، يا إلهي، تسبح بجانبنا جثة "إلين"، نحن نسبح في بحر من جثث أصدقاءنا، هذا ليس بحرًا، هذه مقبرة كبيرة، أشعر أنني داخل قبري، لا يوجد نور في السماء، لا أرى جيدًا، ابعدوا جثة إلين، أبعدوها.

جرت فاطيمة نحو بنورة لتحتضنها بعد نوبة الهلع التي انتابتها من رؤية الجثة قائلة:

- اهدئي، اهدئي.

قال هنري محاولًا السيطرة على هلع الجميع:

- أعلم أننا عشنا مع الموت على متن تيتانيك، وبالطبع هذا منافي للطبيعة، الحياة والموت لا يجتمعان، ولكننا استطعنا أن نخدع الموت الذي قضى على التيتانيك بنفسها، لقد تركنا الموت بعيدًا، فلا تدعوا شبحه يتخلل إلى رؤوسكم، ستشرق الشمس بعد قليل، بالرغم من موت أصدقائنا، ستشرق على الجثث الطافية على سطح البحر ستشرق بالرغم من غرق تيتانيك بمن عليها وستشرق حتى إذا متنا نحن الآن، فدعونا نعيش مهما كانت الظروف، الحياة

ستستمر بنا أو بدوننا، وأنا أفضّل أن تستمر بوجودي فيها.

ساد الصمت، ونظر الركاب إلى أرضية القارب، منتظرين المعجزة التي ستنقذهم منه، وسط هذه المشاعر المضطربة لم ينتبه أحد لإسناد السيدة "ميرا" رأسها على كتف "حمد" طوال الوقت المتبقي لهما على سطح هذا القارب الصغير.

***

الساعة السادسة صباحًا..

أشرقت الشمس أخيرًا، بعد أن ظن البعض أنهم لن يروا شعاعها مرة أخرى، ثم دوّى صوت أحد المحركات، فوقف الجميع بتأهب؛ ليشاهدوا سفينة كبيرة مقبلة باتجاههما.

صرخ حمد:

- نحن هنا، أنقذونا، ساعدونا

ثم صرخت فاطيمة:

- ساعدونا، نحن ركاب تيتانيك.

وقف الجميع ولوّحوا بأيديهم إلى السفينة، ونبح كلب هنري كأنه يشارك في صنع الأمل، الذي كان يكبر في كل لحظة تقترب فيها السفينة "كارباثيا" من القارب.

في السادسة والنصف صباحًا، أصبح ركاب قارب الإنقاذ رقم 3 على متن سفينة "كارباثيا" جلس هنري مع زوجته ميرا وكلبه "صن" في إحدى أركان السفينة الكبيرة ليحاول تصفية ذهنه، أما حمد فقد جلس مع فاطيمة وبنورة في الجهة المقابلة من السفينة، وبين هذه المنطقة وتلك تشكّل خط وهمي يربط بين نظرات ميرا وحمد التي فشلت في أن تفسّر ما تشعر به الأنفس من رهبة وخوف، كانت الحقيقة الوحيدة المؤكدة، هي أن كل منهما تمنّى لو احتضن الآخر وبكى بحرارة، حتى يستوعب العقل والقلب ما حدث خلال الساعات الماضية.

ظلت كارباثيا في البحر لمدة ثلاثة أيام، حتى وصلت أخيرًا إلى نيويورك بأمريكا في الثامن عشر من أبريل عام 1912م.

خلال الأيام الثلاث انتشرت أخبار الفاجعة في جميع أنحاء العالم، وتمت المطالبة بإجراء تحقيقات موسّعة بأمريكا وبريطانيا للرد على أسئلة ترددت بغضب على ألسنة الناس، ما هو السبب الحقيقي لغرق تيتانيك؟ لماذا لم يوجد على متنها قوارب إنقاذ وسترات نجاة تكفي الجميع؟ ولماذا عدد الناجون من الدرجة الأولى أكبر من عدد الناجون من الدرجة الثالثة؟ فهذا هو ما أبلغته سفينة كارباثيا

للسلطات لاسلكيا.

عندما أشيع أن مدير شركة وايت ستار لاين مالكة تيتانيك، "جيه بروس" قد نجا من الغرق، تظاهر المواطنون في أمريكا مطالبين بإعدامه دون محاكمة.. قصاصًا لجميع الغرقى.

انتظر المتظاهرون أمام الميناء حتى شاهدوا السفينة كارباثيا ترسو أمامهم، فبدأوا يقتربون منها شيئًا فشيئًا، منهم من كان لديه أمل في رؤية ذويه أحياء، ومنهم من علم بوفاة أحبابه، فأراد التحقق من أن جيه بروس ما زال حيًا ليقتصّ منه بيديه.

كان الوضع في البداية هادئًا، نزل الناجون من كارباثيا واحدًا تلو الآخر، حتى جاء دور بروس، ثم حمد، ميرا، هنري، بنورة، وفاطيمة، عندما رأى الناس جيه بروس يخطو أولى خطواته على درج السفينة، بدأوا بالتسارع نحوه، فحاولت الشرطة الوقوف أمامهم لتأمينه ولكن تدافع الناس بشدة حتى صعد "بروس" مرة أخرى إلى السفينة خوفًا من أن يكون قد نجا من الغرق ليُقتل بعد ثلاثة أيام خنقًا.

منعت الشرطة عدد كبير من الناس من الصعود على متن كارباثيا إلا فئة قليلة استطاعت الوصول، وتشابكت مع الشرطة على سطحها، حتى كاد أحدهم أن يقتل بروس بعصا مدببة كان يمسكها بيده قائلًا:

- هذه الضربة من أجل ابني الذي قتلته سفينتك، سأشق رأسك نصفين، مثلما شققت السفينة نصفين وقتلته.

هرول حمد إلى بروس محاولًا إنقاذه، ليس خوفا عليه ولكن خوفًا على الأب الذي فقد ابنه ويوشك على أن يفقد حياته، فأمسك بذراعه محاولًا تهدئته، قائلًا:

- خسرت ابنك، لا تخسر حياتك.

في حين حاول الأب أن يفلت ذراعه قائلًا:

- لا تعلم مرارة فقدان الابن، لقد خسرت حياتي بالفعل وانتهى الأمر.

تدخل أحد الشرطيين ليدفع الأب بقسوة إلى الوراء فتجمهر الناس حول الشرطيّ، حتى أصبح من الصعب رؤية من يتشاجر مع مَن، إلى أن صمت الجميع بعد صوت ارتطام قويّ على الأرض، سقط حمد على رأسه مغشيًا عليه بعدما سال خط دم رفيع منها، أصابته عصا الأبّ المكلوم التي كان يلوّح بها في الهواء لتصيب بروس، فضربت حمد الذي كان يحاول فض النزاع، بدلًا منه.

صرخت ميرا وفاطيمة بعد رؤية حمد ممددًا بلا حراك على متن كارباثيا، وطلبت الشرطة من الجميع التزام أماكنهم حتى يتم إسعاف المريض الذي هرع إليه أحد طاقم عمل السفينة قائلًا:

- لا تقلقا، الجرح بسيط، سأجري له الإسعافات الأولية التي يحتاجها، حتى يتم عرضه على طبيب مختصًّا في أقرب مستشفى.

*********

## الفصل التاسع

كان البحر يحتضن تيتانيك احتضانًا عميقًا، وكأنها قصة حب حزينة بين الموت والحياة، من المحال أن تدوم، وقبل أن تختفي السفينة نهائيًا عن النظر، لتسّلم نفسها إلى البحر، وتغرق في حضنه إلى الأبد، كان يرتعد "جيه بروس" مالك تيتانيك، فقد شعر باقتراب الموت منه، خاصة وأن "إدوارد جون سميث" قبطان السفينة، قد اتخذ قرارًا بأن يكون جزءًا لا يتجزأ من السفينة، حتى إذا كانت ستغرق في البحر.

قال جيه بروس:

- يجب أن ننقذ أنفسنا، تبقّى قارب نجاة واحد، إنه حرفيًا ملكي، لقد أخذت برأيك وانتظرت حتى أنقذنا عدد كبير من الناس، لن نستطيع إنقاذ الجميع ولكن نستطيع إنقاذ أنفُسنا، من الحماقة أن نجد فرصة للحياة ونفضّل الموت عليها.

قال سميث:

- إنني أنقذ نفسي بالفعل، من حياة مليئة بالعار والندم، لم أستمع إلى التحذيرات بوجود جبل جليدي في الطريق، بل استمعت فقط لكبريائي الذي أوهمني بأنني على دراية بكل شيء، لقد صدقت الوهم الذي روّجت له، سفينتي لا تغرق، ماذا إذا وجد جبل جليدي؟ ستهزمه السفينة بالتأكيد، إنه مجرد جليد يواجه تيتانيك، ماذا يستطيع أن يفعل؟.

- هذه الكارثة لم تحدث بسبب خطأ ارتكبته أنت، بل حدثت بسبب إقناعي لك بأن السفينة لاتغرق، كان من المفترض أن توفر السفينة للركاب حياة الرفاهية في البحر، لا أن توفر لهم رفاهية الموت مع الأسماك.

قال سميث:

- لقد زودت سرعة السفينة، لم أكتفِ فقط بتجاهل التحذيرات بل جعلت السفينة تسير بأقصى سرعة لها، كأنني كنت أتحدى العالم بأكمله، ها أنا ذا كابتن سميث أقود "تيتانيك"، لقد انتصرت على قطعة الجليد التي تخافون منها، ولكنها للأسف انتصرت عليَّ في النهاية.

- أتوسل إليك، أوشك آخر قارب نجاة على الامتلاء بالناس، لم يعد هناك أطفال أو سيدات على سطح السفينة، فلا تشعر بالذنب، يجب أن ننقذ أنفسنا الآن، لا أستطيع الموت، أخاف من الموت يا سميث أرجوك لا تدعني أموت هنا.

- أنا ذهبت للنوم ولم أفق إلا بعد اصطدام السفينة بالجبل الجليدي، وأنت جعلتنا نصدق أن هذه السفينة لا تغرق، ولذلك غرقنا معها الآن، هذا هو السبب الذي سينقذنا من العار الذي ينتظرنا على البر، لن يتهاون العالم معنا، لقد مات كبريائنا وسمعتنا وشرفنا بغرق أول راكب، فتشجّع ومت كرجل، وادفع ثمن خطأك، لعل العالم يغفر لك عملتك، ويغفر لي أيضا.

قال بروس:

- لست شجاعًا مثلك، واجه أنت الموت وادفع الثمن الذي تعتقد أن عليك دفعه، لم أكن أقصد أن يموت كل هؤلاء البشر، هذا قضاء وقدر سأستغل فرصة النجاة وأتمنى أن تموت بلا ألم.

قال جملته الأخيرة ثم أسرع ليقفز داخل آخر قارب نجاة قبل أن يغادر تيتانيك، وسط نظرة سخط من طاقم السفينة الذي وقف متماسكًا، حتى انكسرت الوقفة بعد ما مالت تيتانيك كل الميل إلى البحر، لم يتشبث بها أحد خاصة كابتن سميث، فقد قدّم نفسه للموت راضيًا.

اختفت مشاهد الذكريات التي كان يراها بروس تمر أمام عينيه، عندما سمع صوت "ويليام ألدن سميث" رئيس التحقيقات الأمريكية وهو يسأله، لماذا سافرت على متن تيتانيك؟

رد بروس:

- في بداية التحقيق معي، أريد التأكيد على أنني أقدر غضب الجمهور، وأقدم تعازيّ لكل شخص فقد عزيز كان على متن تيتانيك، سأحاول المساعدة في التحقيقات قدر ما استطعت، فليس لدي شيئًا لأخفيه.. لقد سافرت على تيتانيك طواعية لكي أختبر سفينتي الجديدة وهي تبحر وأتأكد من أنها توفر للجميع رفاهية سفر لم يختبرها أحد من قبل.

سأل وليام بهدوء:

- هل أعطيت أوامر للقبطان سميث بأن يجعل السفينة تسير بكامل سرعتها مما جعلها لا تستطيع تفادي الجبل الجليدي؟

كان بروس منهارًا في هذه اللحظة الجميع يكرهه الناس تقف أمام منزله كل يوم تنتظره لكي يخرج من الباب، لكي يضربوه بالحجارة، ويتوعّدون له بالموت، الحكومة تريد إلقاء اللوم كاملًا عليه حتى لا تقابلهم أي مشكلة عالميًا وهو يعلم أن المحقق سميث سيسعى جاهدًا لإيقاعه بقول أي شيء يورّطه ولهذا كان حذرًا جدًا في جميع إجاباته خلال التحقيقات، فهو لم ينج من كل هذا حتى يعيش بقية عمره داخل زنزانة حزينة بالسجن.

قال بروس:

- لم أعطي لكابتن سميث أي أوامر من أي نوع، لست بحارًا ولا دخل لي في أي شأن يخص قيادة السفينة فالقبطان هو المسؤول الوحيد، وأؤكد لك أن السفينة لم تسر بأقصى سرعة لها، هذا ما يقوله الناس، كنا ننوي بالفعل أن نجعل السفينة تسير بأقصى سرعتها من باب التجربة، ولكن هذا كان سيحدث يوم الاثنين والسفينة غرقت صباح الأحد، فالحقيقة هي أننا لم نفعل ذلك.

- هل تذكر ماذا حدث عندما ارتطمت السفينة بالجبل الجليدي؟

- لقد كنت نائمًا في غرفتي بالدرجة الأولى عند ارتطام السفينة بالجبل الجليدي، ما أيقظني هو شعوري بقوة الاصطدام، ولكنني لم أعلم وقتها حقيقة ما حدث، فتركت غرفتي وصعدت إلى الأعلى فوجدت كابتن سميث، وسألته عما جرى فقال لي أن السفينة قد اصطدمت بجبل جليدي، فسألته إذا كان الضرر كبيرًا، فقال لي أخشى أنه كبيرًا، فنزلت إلى الأسفل لكي أسأل المهندس الذي صمم السفينة عن الضرر الذي وقع عليها جرّاء الاصطدام، فقال لي أن السفينة تغرق، وقتها جلبت معطفي من غرفتي، وصعدت إلى الأعلى وأمرت البحّارة بإنزال قوارب النجاة، ووقفت أساعد في عملية الإخلاء، حتى ركبت في آخر قارب نجاة.

- تحدثت مع كابتن سميث وقال لك إن السفينة تضررت من الاصطدام؟

- نعم، تحدثت معه، وقال لي أن السفينة تضررت.

تساءل سميث:

- مثلما قال لك ضابط السفينة؟

أجاب بروس:

- لم أتحدث مع أحد سوى كابتن سميث ومهندس السفينة فقط.

- متأكد؟

- نعم.

- هل تركت القبطان إدوارد سميث على السفينة؟.

- نعم تركته، لم أره بعدما ركبت على متن آخر قارب نجاة.

- هل تعلم إذا ما كان حيًا أم غرق؟

- لم أره بعد أن صعدت على متن آخر قارب نجاة.

كرر بروس..

- ما السبب في غرق السفينة؟

- الجبل الجليدي.

- متأكد؟

- نعم.. متأكد.

قال سميث:

- شكرا لك مستر بروس، لا تغادر البلاد، من الممكن أن نستدعيك إذا احتجنا لشهادتك مرة أخرى.

...

دقت الساعة الواحدة ظهرًا، وتم استدعاء هنري وميرا هاربر للإدلاء بشهادتهما، فقد تم استدعاء جميع الناجين كشهود عيان على الفاجعة، حتى يتم بيان ما حدث بالضبط في هذه الليلة المشؤومة، ومعاقبة المذنب، فروى الزوجان ما يتذكرانه، وفي نهاية التحقيق قامت ميرا بتقديم شهادة طبية، وبعد أن دقق فيها المحقق ألدن سميث، قال:

- حسنًا، سيتم إعفاء حمد حسب من الشهادة، إنه فقد ذاكرته.

...

أمام أحد المستشفيات الكبرى في أمريكا، وقفت فاطيمة تنتظر لمدة نصف ساعة حتى وجدت ميرا تخرج من الباب، فركضت خلفها لتلحق بها قبل أن تركب سيارتها.

قالت فاطيمة بقلق:

- سيدة ميرا، لماذا لا أستطيع زيارة حمد؟ ماذا به؟

نظرت ميرا إليها بضيق قائلة:

- هو أصبح بخير الآن، ولا تستطيعين زيارته لأن الزيارة ممنوعة، أنا لا أتحدث معه، فقط أطلب من الأطباء الاهتمام به وأرحل.

تساءلت فاطيمة:

- إذا كان بخير، لماذا يمنع الأطباء عنه الزيارة؟

قالتها وقد شعرت بأن ميرا تكذب عليها.

فردت ميرا بحدةٍ:

- اسمعيني.. نحن الآن لسنا على متن سفينة في عرض البحر يوجد لكِ مكانًا في قاعها بسبب تذكرة رخيصة الثمن، نحن في أمريكا بلد لا تنتمي إليه، لا يوجد لديكِ أحد هنا لتبقي من أجله، سيستغرق علاج حمد أسابيع وربما شهور،

هذا ما علمته من الأطباء، فلماذا تنتظرينه؟ ما الصلة التي تربطكما ببعضكما؟ كما أن عائلتكِ بالتأكيد قلقة عليكِ أستطيع باتصالاتي أن أعفيكِ من الشهادة في التحقيقات، فهي لن تؤثر في أي شيء على أية حال، كما أستطيع أن أشتري لكِ تذكرة السفر ولكن عليكِ أن تقبلي بهذا العرض الآن، وتسافرين وتبدئي حياتكِ من جديد في مكان آخر، مع أناس تنتمي إليهم بدلًا من أن تتعرضي هنا للمضايقات في بلد يقبض على العربي فيها بسهولة، لن تصمدي هنا وحدكِ، ولن تجديني بجانبكِ عندما تتعرضين لأي مشكلة، لا تعلمين ماذا يمكن أن يقال عنكِ للشرطة؟ أتمنى أن تكوني قد فهمتيني، وقبلتِ العرض السخيّ الذي أعرضه عليكِ.

صمتت فاطيمة ونظرت إلى الأرض، فهي شعرت بأنه لا حول لها ولا قوة أمام هذا التهديد، فابتسمت ميرا قائلة:

- قبلتِ العرض إذًا، عين العقل، اصعدي معي.

...

قال حمد:

- كيف عشتُ في أمريكا بعد انتهاء التحقيقات لمدة ثلاث سنوات ولم أعد لوطني ماذا عن فاطمة، وابني، هل ولد ابني بسلام؟ هل كان الجنين صبيًا بالفعل؟ ما هو اسمه؟ وكيف حال أخي؟

ثم شعر بأن المنزل الواسع يضيق على صدره شيئًا فشيئًا، وأن الغرفة تدور وتدور، لقد شعر وكأنه عاد إلى تيتانيك مرة أخرى، يحاول النجاة بنفسه من الغرق، وما كانت سوى لحظات قليلة حتى غاب عن الوعي مرة أخرى.

قالت ميرا وهي تبكي محاولة إفاقته:

- قلت لك أن هذا كله سيكون عبئا عليه، لقد كان يعيش معي بسعادة، من الممكن أن يموت الآن.

طمأنتها فاطيمة قائلة:

- لا تخافي سيفيق، إنه فقط أثقل بالذكريات، لا بأس من أن تهزمه ذكرياته السيئة، فلا داعٍ لقلقكِ الزائد عليه، استغلّي هذا الوقت في التفكير بكذبة جديدة تبررين بها فعلتكِ.

مرت ساعتان بمثابة انتظار نهاية العالم بالنسبة لـ ميرا الخائفة من رد فعل حمد بعدما يعلم ما حدث له خلال الثلاث سنوات الماضية، التي تسلمّت فيهم هي دفة حياته، وكأنه طفلًا صغيرًا في رعايتها، أما فاطيمة الشامتة فقد شعرت أيضا بثقل الوقت، لأنها لم تكن تطيق صبرًا حتى يفيق ويعلم حقيقة هذه الأجنبية

المتكبرة.

قال حمد وهو يفتح عينيه محدّقًا في أرجاء المكان:

- أما زلت هنا؟ لم يكن كابوسًا.

قامت ميرا بإعطاءه كوبًا من العصير المنعش، ولكنه رفض أن يشربه قائلًا:

- ما يدريني أنكِ لن تخدّريني بهذا الشراب؟ لا أثق بكِ لقد أبقيتيني سجينًا معكِ لثلاث سنوات، ولا أريد البقاء هنا بعد الآن.

قالها حمد بغضب، ثم أجهشت ميرا بالبكاء قائلة:

- الآن فقط أتمنى لو أنني غرقت مع تيتانيك، ليتني مِتُ وأنت تحاول إنقاذي وتشعر بالحب نحوي، وقتها لم أكن لأسمعك توجّه لي تلك الكلمات القاسية.

ثم قالت بصوت منخفض..

- كلماتك تقتلني يا حمد.

قالت فاطيمة وهي تنظر لـ ميرا بشماتة:

- لقد روى كل منّا ما يعلمه، ولكن ما حدث في الثلاث سنوات الماضية لا يعلمه أحدًا غيرك، كنتِ المتحكمة في جميع الأمور فأخبرينا ماذا فعلتِ عسى أن يكون هناك مبررًا لكذبتكِ الكبيرة، ولو أنني أشك في ذلك.

ردت ميرا:

- لم أنوي الكذب، ولكنني كنت خائفة، خائفة من فقدانه كثيرًا.

********

الفصل العاشر

"جميعنا بخير".. إمضاء حمد حسب، ظلت فاطمة تردد هذه الجملة لنفسها مرارًا وتكرارًا، فهذا هو ما كتب في التلغراف الذي أعطاه لها سيد حسب، بعدما تسلّمه في يوم الثامن عشر من أبريل عام 1912، الساعة الخامسة والثلث فجرًا على مقر إقامته بفندق مينا هاوس، ولكن ترديد الجملة أصبح يفقد معناه أسبوعًا تلو الآخر، خاصة بعدما انتهى الحديث عن غرق تيتانيك، وما زالت لا توجد أي أخبار عن زوجها.

دق الباب، ففتحت مسرعة وهي تقول:

- هل هناك أخبار جديدة؟

دخل سيد إلى المنزل حاملًا المشتريات التي تلزمها مع عدد من جريدة الأهرام قائلًا:

- للأسف، قرأت في الجريدة أن شركة "وايت ستار لاين" مالكة تيتانيك نفت رسميًا وجود أي عربي على مُتنها، لقد محت الشركة وجود حمد من الأساس، أصبح من الصعب التواصل معهم بشأن تحديد مكانه.

قالت فاطمة بارتباك شديد ودموعها تتساقط على وجهها:

- هذا مؤشر سيء، لا بد وأنهم قتلوه هو وغيره من العرب، ونفوا وجودهم على السفينة حتى لا تتم مساءلتهم عن شيء، لقد قتلوا زوجي، ويتّموا ابني.

حاول سيد تصنّع الهدوء لكي لا يزيد من قلقها، قائلًا:

- لا تفزعي يا عزيزتي، لقد تحدثت مع ميرا عندما قرأت هذا التصريح، وقالت لي أنها ستتابع الأمر بنفسها، وإذا كان إثبات أن حمد كان أحد ركاب تيتانيك سيساعد في إيجاده، ستشهد في التحقيقات بأنه كان معها.

- هل ما زالت تخبرك أنها لا تعلم عنه شيئا؟

تساءلت فاطمة التي كانت تساورها الشكوك دائمًا بشأنها.

- نعم، قالت لي أنها قامت بتكليف متحرّ خاص للبحث عنه، لديَّ أمل كبير بأنها ستجده.

-لا أصدق هذه السيدة، لا بد من أنها تكذب، كانت تركب على متن الدرجة الأولى هي وزوجها وحمد، فكيف تم إنقاذها وإنقاذ زوجها وكلبهما، ولم يتم إنقاذ حمد؟ كيف لا تعلم عنه شيئا؟ بالتأكيد رأته خلال عمليات الإنقاذ، من الممكن أن يكون معها.

- إذا كان معها، فلماذا لم يعد إلى بلده؟ هل تظنين أن حمد سيترك عائلته لكي يعيش مع سيدة أجنبية بالخارج؟

صمتت فاطمة وتساقطت دمعة من عينيها قائلة:

- هو لا يفعل ذلك بالتأكيد سيعود، ربما تأخر سفره، أو ربما سافر دون رؤية ميرا وهو في طريقه إلى هنا الآن ربما سيعود الشهر القادم، لا أعلم، أثق فقط بأن الله سيردّه إليَّ.

...

نظرت ميرا إلى حمد بتوتر شديد قائلة:

- سأروي لك ما حدث، ولكن عليك أن تفهمني، لقد جلس هنري بعيدًا عني في قارب النجاة، في الوقت الأكثر صدقًا في حياة الإنسان عند مواجهة الموت يتضح كل شيء، وقد كان زوجي بعيدًا عني، وقتها قلت لنفسي إذا لم يقرّب الموت بيننا فلن تقربنا الحياة، وقتها خسرته، نعم اخترت أن أعود إليه وأعيش معه تحت

سقف واحد، ولكن أبقيتك هنا، لأنك كل ما تبقى لدي من أثر للحياة، زيارتك ورؤيتك في نهاية كل أسبوع كانت بالنسبة لي كل شيء، وقد وفرت لك كل ما تحتاجه، ماذا كنت ستحتاج أكثر من ذلك إذا كنت عدت إلى مصر؟

صرخ حمد بغضب شديد:

- لا أحتاج لسماع ما تحتاجينه يا سيدة ميرا، ولا أريد معرفة شعورِكِ نحوي، ونحو زواجكِ الفاشل، أريد معرفة ماذا حدث لي ولعائلتي؟.

قالت ميرا باكية:

- لقد فقدت الذاكرة بسبب سقوطك على رأسك في المشاجرة التي وقعت على متن كارباثيا، وقال الطبيب أن ما مررنا به من أحداث ليلة غرق تيتانيك سيزيد من المرض، فكان من الصعب عودة الذاكرة إليك، كانت تنتابك نوبات وكوابيس مؤلمة، لقد أرحتك من ألمك عندما اخترعت لك شخصيتك الجديدة، أصبحت سعيدًا بعدها، صدقني.

- ماذا حدث لـ فاطمة؟ هل وضعت ابننا؟ يا لغبائي! بالطبع وضعته، كيف حاله؟ هل يعلمون بأنني ما زلت على قيد الحياة؟

قالت ميرا وهي تنظر إلى الأرض، وقد امتلأت عينيها بالدموع:

- لقد أرسلت لعائلتك تلغرافًا بإمضائك بعد الحادث مباشرة، ليطمأنوا بأنك على قيد الحياة، أنجبت فاطمة صبيًا، أسمته حسن، يناديه الناس "حسن الغريب"، لأن والده غريبًا عنه، لم تعتبرك مفقودًا أو ميتًا، ولم تتزوج برجل آخر، فهي تنتظرك في منزل عائلتها على أمل أن تعود إليهما، هذه هي كل معلوماتي عنها حتى نهاية العام الماضي.

تساءل حمد بصوت منخفض مرتعش، وتسارعت دقات قلبه خوفًا مما سيسمعه:

- لماذا توقفت أخبارهما، ماذا حدث؟

- كنت أتواصل دائمًا مع شقيقك لأطمئن منه على أحوالهم ولأخبره بأننا مازلنا نبحث عنك، حتى ...

نظرت ميرا لـحمد وارتعش صوتها خوفًا ثم أكملت حديثها قائلة:

- لقد مات سيد العام الماضي، آسفة لخسارتك.

نهض حمد من كرسيه وقد اعتلاه الغضب ثم أمسك بذراعيّ ميرا فوقفت وهي ترتعش وتتساقط الدموع من عينيها في حين قال لها:

- آسفة؟ علام تتأسفين؟ على أنكِ السبب في عدم تواجدي بجانب زوجتي عندما وضعت ابني؟ أم لأنني لم أكن حاضرًا نهاية حياة شقيقي؟ لم أره قبل أن

يموت، لم أودعه، لقد مات وهو قلقًا عليّ، معتقدًا أنه ربما سيلقاني في السماء لأنني غرقت، ظنًا منه أنكِ تخففين عنه بقولك أنكِ ما زلتِ تبحثين عني، هل كنتِ تعلمين بماذا يفكر قبل أن يموت؟ علام تعتذرين أيتها الأجنبية باردة المشاعر؟ لم تفعلين شيئًا أبدًا، ليتني لم أنقذكِ في هذا اليوم، يا ليتكِ متِ ولم يمت أخي.

أفلتها لتسقط على كرسيها في ذهول منها، بينما ذهب هو إلى غرفته ليلملم أغراضه، وصعدت وراءه فاطيمة التي لم تنبث ببنت شفة من حدة الموقف.

وقفت على باب غرفته تشاهده وهو يبكي بحرقة على وفاة شقيقه قائلًا:

- آه يا سيد

قالها بحرقة وهو يلقي بملابسه في حقيبة السفر، وتشاهده فاطيمة وهي خائفة من أن تتحدث فينفجر في وجهها كما انفجرت مشاعره الغاضبة في وجه ميرا.

لمحها تقف عند باب الغرفة فمسح دموعه وتصنّع الثبات فهو رجل لا يصح أن يبكي أمام النساء، وقال:

- تستطيعين التحدث يا صاحبة اللسان الذي لا يرحم، منذ متى تخافين من الرجال؟

ابتسمت فاطيمة ثم ركضت مسرعة لتحتضنه قائلة:

- تذكرتني أخيرًا! حمدًا لله على سلامتك أنقذتك الحياة من الغرق مرة، ومن النسيان مرة، أرجوك في المرة القادمة لا تورط نفسك في أي شيء قد لا تستطيع الشفاء منه، الثالثة ثابتة.

جلست على الفراش، بينما أحضر حمد الكرسي الخشبي الصغير وجلس أمامها قائلًا:

- ماذا حدث لكِ خلال الفترة الماضية؟ ماذا حدث لكم جميعًا؟

- لقد استطعت الوصول لعائلتي في إنديانا عملت معهم، ثم أحضرت والدتي إليَّ، وقابلت شابًا لطيفًا، تزوجنا، ثم اكتشفنا بعد فترة اننا مختلفان، فحدثت بيننا بعض المشاجرات، وبعدها حصلت على الطلاق، ثم ها أنذا، جئت إلى هنا لمعرفة عنوانك لمراسلتك في مصر

ضحكت ثم قالت:

– لم أكن أعلم أنني سأنقذ حياتك خلال طريقي للانتقال لميتشجن، أحتاج إلى هذه البداية الجديدة الآن.

- ستجدين رجلًا أفضل بالتأكيد، تستحقين رجلًا يستطيع الاعتناء بكِ.

ابتسمت ونظرت إلى الأرض بعدما شعرت بالخجل ثم قالت:

- ألا تريد معرفة ما حدث لبنورة؟

قال بحزن:

- بالطبع، لا أتوقع أنها وجدت جرجس في أحد قوارب النجاة كما كانت تتمنى، فالحياة لا تعطينا ما نريده أبدًا.

- معك حق، إنها لا تعطينا ما نريده.

صمتت للحظة وهي تنظر إلى عينيّ حمد ثم أكملت..

- لم تجد بنورة زوجها، فذهبت لعمها في ولاية أوين ساوند بكندا كما طلب منها جرجس، ولكنه عاملها بقسوة وطردها من المنزل فور وصولها إليه حزنًا على وفاة ابنه وهو يحاول إنقاذها، اعتبر بشكل ما أنها السبب في وفاته، لم يفكر هذا العم الأحمق في أن بنورة لو لم تركب قارب النجاة، كانت ستموت مع ابنه، لم تكن لديه فرصة في الوصول إلى أي قارب.

- عندما نفقد شخصًا عزيزًا علينا لا نتحمل الصدمة، فنفعل أشياء نندم عليها بعد ذلك.

نظر حمد إلى باب الغرفة حيث تذكر ما فعلته ميرا وكأن عقله الباطن زرع له هذه الكلمات برأسه ليبرر له بشكل ما فعلتها معه ثم أكمل..

- ماذا فعلت هذه الصغيرة بعد ذلك؟ إنها لا تتحدث اللغة الإنجليزية، وليس لديها معارف في أمريكا؟

- من حسن الحظ قابلت هناك إحدى ناجيات تيتانيك، فعرضت عليها السيدة أن تُؤمّن لها مسكن، وبالفعل عاشوا سويًا ليس لمدة طويلة، فبعد خمسة أشهر قابلت "مايكل" زوجها الحالي، وهي الآن أمًّا وتعيش بسعادة.

- حمدًا لله أن أحدهم تبدّلت قصته من قصة مأساوية إلى قصة سعيدة.

- أنتَ أيضًا قصتك سعيدة، ابنك يعيش بسلام مع زوجتك التي تنتظرك بفارغ الصبر، لا يهم ضياع ثلاث سنوات مقابل حياة بأكملها ستعيشها مع ابنك، بإمكانك تعويض كل ما فاتك.

- أعتقد أنني لن أعيش هذه الحياة السعيدة بعد كل ما حدث، إن أول شيء تذكرته هو وجه ضاهر وهو يغرق، كنت أشاهده دائمًا يغرق في أحلامي، ولكنني لم أميّز من هو هذا الشخص، عرفته فقط عندما تذكرت كل شيء لن أنسى هذه اللحظة أبدًا.

- ضاهر هو أول شخص منّا حصل على نهايته السعيدة، كان يعلمها منذ البداية، فهو كان ينادي دائمًا باسم نورين خلال نومه كل ليلة، لطالما شعرت من حكاياته إنه يريد الذهاب إليها، وقد ذهب بالفعل إنه معها الآن.

- انظري إليكِ وأنتِ تتحدثين برومانسية في عالم الأحلام الوردية، لقد غيّرتكِ الأيام.

ضحكت فاطيمة قائلة:

- هل تذكر جون إستور صاحب الفراء، هذا الشخص شديد الثراء؟

- نعم، لقد أصرّ على البقاء على متن تيتانيك هو وزوجته لأنها أكثر أمانًا من قوارب النجاة، ماذا حدث له؟

- لقد عدّل عن رأيه، فقد سمعت بعض الأخبار التي تقول أنه حاول ركوب إحدى قوارب النجاة هو وزوجته عندما حاصرتهما المياه في قاعة الجمنازيوم ففرت الزوجة من نافذة القاعة إلى قارب النجاة، ولكن رفض طاقم السفينة أن يصعد هو قارب النجاة معها، فمات غرقًا، الأموال ليست كل شيء في النهاية، أليس كذلك؟.

- معكِ حق، أنها لا تساوي شيئًا.

ابتسمت فاطيمة ثم قالت:

- حسنًا.. سأتركك الآن لتحزم حقائبك، وسوف أقابلك فيما بعد قبل أن تعد لمصر، يجب أن أودعك وداعًا يليق بك، فلا أعلم متى سأراك ثانية؟

ابتسم حمد واحتضنها قائلًا:

- امتزجت أرواحنا يوم مواجهتنا للموت سويًا، فلا بد وأن تجمعنا الحياة مرة أخرى، وسنتلاقى ثانية، ليس لديَّ شك في ذلك.

قامت فاطيمة بتوديعه ولم تتفوّه بكلمة واحدة إلى ميرا وهي في طريقها للخروج من المنزل، فصمتت ميرا، وظلت جالسة في مكانها تنتظر أي معجزة تجعل حمد يغيّر أفكاره بشأنها، كانت تتمنى أن يراجع نفسه ويظل معها، ولكنها كانت تعود إلى رشدها سريعًا إذا راجع نفسه، بالتأكيد سيريد العودة إلى ابنه وزوجته.

مرت نصف ساعة على مغادرة فاطيمة، وخلال هذا الوقت كادت ميرا أن تفقد وعيها عدة مرات من شدة التوتر، حتى أصبحت تحدث نفسها قائلة:

"نعم فكرت على السفينة في ترك هنري، وجربت ذلك بعدما عدنا إلى أمريكا مباشرة، ولكن الوضع كان شديد الصعوبة، لم أكن أستطع العيش بمفردي، بدأ الناس في المجتمع النخبوي ينظرون إليَّ نظرة المطلقة، نظرة دونية من مجتمع جاهل، كما أنني لم يكن معي المال أو النفوذ الكافي لأعيش كما كنت أعيش

قبل الحادث فعدت إليه وقلت سأعمل إلى إصلاح زواجي، ولكنني عدت إلى نفس الدوامة، إلى نفس السجن، لم أكن أستطع ترك حمد أيضًا في هذا الوقت، كان من الممكن أن أقتل نفسي إذا رحل بعيدًا عني، فهو الذي يهوّن عليَّ حياتي الزوجية الفاشلة، ويعطيني أملًا للعيش حتى أراه كل أسبوع، عندما فقد ذاكرته أتيحت لي فرصة الحصول على الأنيس الذي طالما تمنيته لماذا لا أستغلها؟ هل يلام المرء على محاولته لأن يكون سعيدًا؟ كان حمد سعيدًا خلال تواجده معي بأمريكا، كان من الممكن أن يتزوج وينجب أبناء هنا في بعض الأوقات كنت أشعر بأنه ربما قصد تناسي ما حدث، لقد اتفقنا قبل الحادث على إنهاء علاقتنا، وعدم رؤية بعضنا بعضًا مرة أخرى، عودة ذكرياته هو الشيء الوحيد الذي كان يحول بينه وبين تنفيذ هذا الوعد، فربما تناسى بالفعل، وهذا هو ما جعل الذاكرة ترفض العودة إليه، إذًا الخطأ ليس بالكامل خطئي، لا يوجد مبرر لأحد في نسيان زوجته وطفله، هذه ذكريات سعيدة، لا يمكن نسيانها."

توقفت ميرا عن البكاء فجأة، عندما رأت حمد قد نزل من غرفته متوجهًا إلى باب المنزل دون حتى أن ينظر إليها، حتى قالت:

- انتظر خذ أشياءك معك، ملابسك ومقتنياتك التي كانت على السفينة، لقد احتفظت بها في مكان بعيدًا عنك.

قال حمد بحدة:

- بالطبع، خطتكِ كانت محكمة، أخفيتِ عني هذه الأشياء، حتى لا أتذكر سواك.

تقدمت ميرا نحوه قائلة:

- تفضل، لقد جهزت لك كل شيء يخصك، قفطانك الحريري، الجلاليب، الشيلان، العمائم، البدلة الإنجليزية التي ابتعناها سويًا عندما كنا في باريس حتى خاتمك الذهبي المصنوع على شكل الخنفساء لقد وجدوه، لم يجدوا الكثير من الأشخاص، ولكنهم وجدوا خاتمك، كم أنتَ محظوظ!، بطريقة ما دائمًا ما تعود إليك كل الأشياء التي تفقدها حتى وإن طال الزمن، أو صعبت الظروف.

- لا أريد هذه الأشياء، لا أريد شيئا يذكرني بهذه الرحلة المشؤومة، ولا أريد شيئا يذكرني بكِ.

نظرت ميرا لعينيه وهي تبكي:

- ليست هذه الأشياء التي ستذكرك بي، فَـ أنت لا تستطيع أن تنساني، بالتأكيد تتذكر الآن ما كان بيننا، ألم تشعر بأي شيء نحوي عندما عادت إليك ذاكرتك؟ ألم تتذكر مشاعرك عندما كنا سويًا؟ أرجوك قل لي أنك تتذكر.. أي شيء.. تذكر أي شيء.

- نعم تذكرت، مرت ثلاث سنوات، تغيرت أنا، ولكنك بقيتِ مثلما أنتِ.

- لا يتبدّل القلب، مهما تبدّلت علينا السنوات.

- لقد حاولتِ تدمير حياتي، وليس حياتي فحسب، بل حياة زوجة لم تهنأ بزوجها، انتظرتني مدة طويلة تفوق مدة زواجنا، والأكثر من هذا تدمير حياة الطفل الصغير الذي كان سيكبر دون أب، كيف لكِ أن تفعلي ذلك؟ ألم تشعرين بالشفقة عليه؟ وشقيقي، لا أستطيع رؤيته مرة أخرى، أنا كل عائلته لقد ماتَ وحيدًا، لا أستطيع غفران ذلك.

- أؤكد لكَ أن مكوثك هنا لم يكن خطة شريرة مني، لم أعلم أن الموت كان منتظرًا لكي يفرق بينك وبين شقيقك، إذا نجوت أنت فشقيقك سيموت، هذه سخرية القدر وليس فعلي أنا، ولم أفكر بأنك ستكون هنا إلى أن يكبر ابنك، كنت أعلم في قرارة نفسي بأنك ستعود إليه يومًا ما، ولكنني فقط كنت أؤجل اليوم، لقد عانيت كثيرًا خلال رحلتنا على السفينة، ولم أستطع فقدانك بعدها، تعودت على وجودك هنا، كيف سأعيش بدونك الآن؟ أشعر بأنني أغرق.

انهارت ميرا من البكاء وجلست على الأرض، فوقف حمد بكبرياء الغاضب للحظات، ثم نظر إليها وترك حقيبته من يده، وجلس بجوارها.

- أعلم أنكِ حاولتِ المحافظة على بقائي هنا لأنكِ لا تودين خسارتي، ولكن هذا تصرف أناني، لقد أخطأتِ في حق كثيرين، أولهم حق نفسك، وحق زوجك، لماذا لم تحاولين إصلاح زواجكِ؟

- حاولت ولكنني فشلت، أرى هنري كل يوم كما أرى أي قطعة أثاث في المنزل، لا أشعر بشيء تجاهه وهو كذلك، ولكننا لا نستطع أن نترك بعضنا بعضًا لكثير من الاعتبارات، هذا هو قدرنا، وعلينا أن نقبل به، ولكنني بجانب هذا عثرت أخيرًا على السعادة معكِ، أرجوك لا ترحل، سنحضر طفلك إلى هنا، سأقوم بتعليمه في أفضل المدارس، وسيصبح شيئا كبيرًا في المستقبل.

- وهل ستعيش معي فاطمة هنا أيضًا؟

- مستعدة أن أحضرها إلى هنا، لا أمانع أن تعيش معك إطلاقًا، فقط ابق معي وسأفعل ما تريده.

مسحت ميرا دموعها، وأمسكت ذراعيّ حمد قائلة وهي تتلعثم في الكلمات وترتجف:

- أنظر حولك يا حمد، أليس المنزل جميلًا؟ سيتسع لكم جميعًا، وسنمرح كثيرًا، أعدك أنني لن أزعج فاطمة أبدًا، أتعلم.. سيصبح المنزل باسمك، أو سأشتري لكما منزلًا جديدًا، حتى لا تشعر زوجتك بالسوء تجاه عيشها في منزلي.. هذا ما ستقوله لها، ستقول أنك فقدت الذاكرة، وهذا ما حدث فعلًا، لن تكون قد كذبت عليها، وستقول أيضًا أنك صنعت لنفسك حياة مذهلة هنا، وأنه من الأفضل أن

تنتقلوا للعيش بأمريكا، ولن أقل لها أنني اشتريت لك المنزل، سنقول لها أنك اشتريت المنزل من أموالك الخاصة، نظير عملك في الثلاث سنوات الماضية.

ابتسم "حمد"، قائلًا:

- تعلمين أن هذا خطأ، وإنني يجب أن أعود إلى زوجتي وابني.. إلى بلدي.

- لماذا؟ قل لي ماذا يرضيك وسأفعله فقط لا ترحل وتتركني هنا؟ ستقتلني الوحدة، سأموت وحدي كما كنت أخشى.

- اهدئي واسمعيني، لم تعطِ لنفسك فرصة حقيقية لإصلاح زواجك لأنني هنا معكِ، عندما أرحل ستحظين بهذه الفرصة أخيرًا، سيؤنسكِ هنري، ومع مرور الوقت ستستطيعين نسياني.

- لن أستطيع.

- ولا أنا سأستطيع، سأقول لكِ شيئًا ربما يساعدك ويساعدني، أنا أحبكِ يا ميرا، ولطالما أحببتكِ، لم أكن أريد الاعتراف بذلك لأن هذا خطأ، نحن ننتمي لأشخاص آخرين، قطعنا على أنفسنا وعودًا ويجب أن نكملها للنهاية، لست رجلًا يتخلى عن وعده، ولا أريدكِ أن تكوني هذه المرأة التي تتخلى عن زوجها من أجل رجل آخر.

- تخبرني أنك تحبني في لحظة تركك لي ليكون عذابي أكبر؟ لقد تمنيت سماع هذه الكلمة منذ أن تلاقت أعيننا في القاهرة، والآن أسمعها في لحظة الوداع؟ هل تعاقبني على ما فعلته، تعطيني ما تمنيته وتهرب في لحظة؟

- أنا لا أهرب، أنا أعود من هروبي، لقد هربت معكِ، والآن سأعود لحياتي، من الطبيعي أن يعد كل منّا لما كان عليه، لا نستطع أن نظل هاربين سويًّا إلى الأبد.

- كيف سأعيش بدونكِ؟ ماذا سأفعل؟

- أعطيني سكنًا خاصًا في قلبك، لا يعلم عنه أحد غيركِ، فأسكنك طوال الوقت سرًا، وسأفعل أنا كذلك، فنظل في قلوب بعضنا البعض طوال الوقت، ألا يرضيكِ هذا الحل؟

- لن أراك ثانية؟

- صورتي معكِ.

- لن أتحدث معك ثانية؟

- سنرسل لبعض الخطابات من وقت لآخر.

- لن أحتضنك ثانية؟

ابتسم حمد، ثم قام باحتضانها حضن قوي طويل، وهمس في أذنها قائلًا:

- لديَّ إجابة سؤالكِ التالي.. سأقبلكِ ثانية.

بعد قُبلة طويلة نزلت الدموع من عينيّ ميرا، نظرت إلى حمد صامتة، حيث هربت منها الكلمات، فابتسم هو قائلًا:

- أتغارين من زوجتي، وسيذكرنا التاريخ معًا إلى الأبد؟ لقد نجونا سويًا من تيتانيك.

ابتسمت قائلة:

- نعم، سيذكرنا التاريخ سويًا.. إلى الأبد.

نهض حمد من على الأرض، فتشبثت ميرا بذراعيه، وتقدمَ إلى الباب دون أن يتحدث أحد منهما بكلمة أخرى حتى قال هو:

- أراكِ عندما يحين وقت اللقاء يا ميرا.

فنزلت دموعها قائلة:

- سأراك في كل وقت وفي كل شيء.

فتح باب المنزل ففوجئ بـ هنري واقفًا أمامه، فشعر وميرا بالارتباك ونظرا إلى بعضيهما بعضًا، حتى تساءل هنري:

- ماذا يحدث؟ لماذا تبكي يا ميرا؟

أجابته بصوت تخلّله البكاء:

- لقد استرد حمد ذاكرته، سيعود إلى بلده الآن.

ابتسم حمد، بينما احتضنه هنري قائلًا:

- مرحبًا بعودتك يا شيخ العرب، هل كنت سترحل دون وداعي؟

فأجاب:

- لقد حدث كل شيء فجأة، تثاقلت عليَّ الذكريات، وكان لا بد أن أرحل سريعًا.

دخل هنري إلى المنزل، ووضع ذراعه على كتف ميرا، قائلًا:

- جئت للترحيب بضيفتنا فاطيمة، كنت أنو اصطحابكم جميعا لتناول الغداء في الخارج.

ابتسمت ميرا وقالت بصوت مخنوق:

- لقد رحلت يا عزيزي، سأشرح لك فيما بعد.

ابتسم حمد وهو يخرج من باب المنزل، وقد رأى هنري يقف بجانب ميرا متظاهرًا كالعادة بأنهما زوجان سعيدان قائلًا:

- لن أتوقف عن مخاطبتكما، لكما مكانًا خاصًا في قلبي.

...

وصل حمد إلى مصر منتصف عام 1915م، محمّلًا بالذكريات، الحزن والفرح، الموت والحب، لقد شعر بأنه عاش تجربة كل شيء.. ينقصه فقط أن يصبح أبًا، وهو ما سيفعله الآن وإلى آخر العمر.

دق حمد باب منزل عائلة زوجته، فسمع صوت صبي صغير يقول:

- أمي، الباب

ففتحت والدته، ثم تسمّرت في مكانها، وهي تنظر لـــ حمد الذي يقف أمامها، كانت تسأل نفسها في هذه اللحظة، هل هذا حمد فعلًا؟ أم أنا بداخل حلم يمنّيني بكل شيء أريده، ثم أستيقظ فجأة، فلا أجد أي شيء مما تمنيته معي؟

شعرت لوهلة بأنها انفصلت عن الواقع، وتشاهد موقفًا يحدث أمامها ليس لها أي صلة به، وتريد أن تعلم ماذا سيحدث بعد هذه اللحظة، ولكنها تنتظر أي شخص ليحرّك الأحداث بدلًا منها، فهي لا تعلم ماذا تفعل؟!

قال حمد ودموعه تتساقط على وجهه:

- أنا آسف يا فاطمة.

ظلت واقفة كما هي في مكانها، لم تتحرك ولم تنطق بأي كلمة، ولكن نزلت دمعة على وجهها، وهي تحاول استيعاب أن زوجها الذي ظنت أنه مات، قد عاد إلى الحياة واقفًا أمامها يعتذر.

دارت الأرض بـ"فاطمة" دوران جعل روحها تطير إلى السماء، ولم تنزل إلى الأرض مرة أخرى سوى بعد ثلاثة أيام، هذا ما علمته عندما فتحت عينيها وقد وجدت زوجها بجانبها على الفراش.

قال حمد مبتسمًا:

- انتظرتيني أنتِ ثلاث سنوات لأعود، وانتظرتكِ أنا ثلاثة أيام لتستفيقي من هذه الغيبوبة المشؤومة، ثلاثة أيام كانوا بمثابة ثلاث سنوات والله.

ثم أكمل ممازحًا:

- نُعتبر خالصين؟.

نظرت فاطمة إليه بدهشة، ثم أجهشت بالبكاء وهي ترتجف فاحتضنها قائلًا:

- لا تخافي، أنا معكِ الآن، ولن أتركك أبدا، أنتِ بخير، وأنا وحسن بخير، لقد تعرضتِ لصدمة عصبية عندما رأيتيني أقف أمامكِ، هذا كان توصيف الطبيب، لم أكن أعلم أنكِ تحبيني لهذا الحد تستحقين أن أعيش إلى نهاية عمري بجانبك، سأعوضك عن كل ما فات صدقيني.

مسحت دموعها وهي تنظر إليه باهتمام، فأكمل حديثه:

- أقسم لكِ أنني كنت فاقدًا للذاكرة خلال الثلاث سنوات الماضية، وأنني لم أحب غيركِ، سأروي لكِ كل التفاصيل حتى تطمئني، سامحيني أرجوكِ.

جلست فاطمة على الفراش:

- لا أريد معرفة التفاصيل، أريد فقط معرفة شيء واحد، هل كنت مع ميرا طوال هذا الوقت؟ هل كانت بجانبك في الوقت الذي كنت أنا من المفترض فيه أن أكون بجانبك؟.

- نعم، كانت موجودة، ولكنها..

قاطعت فاطمة الحديث قائلة:

- شرطي الوحيد للبقاء معك، هو ألا تتحدث مع هذه السيدة مرة أخرى، ستشطبها من حياتك نهائيا، أو ستشطبني أنا.

نظر إليها حمد باندهاش لجرأتها في الحديث ولأنها وضعته في اختيار صعب، لقد وعد ميرا بأنه سيكون صديقها ولن يتركها، فحاول الدفاع عنها قائلًا:

- اسمعيني يا حبيبتي، لم يكن لها أي ذنب، سأشرح لكِ

قالت فاطمة بغضب:

- لقد انتظرتك ثلاث سنوات أربي ابني وحدي، على أمل أن تعود إليّ، نسأل الهانم كل فترة عنك لنطمئن بأي كلمة، وهي تحجبكَ عنّا، وتقل أنها لا تعلم مكانك، وسأنتظرك لتعطيني مبررات؟ ستنساها الآن، أو ستطلقني الآن، اختر.

احتضنها حمد وقد نزلت دمعة من عينيه، وكأنه ينعي بها صديقته ميرا، ثم قال:

- لا أريد شيء في الحياة سواكِ أنتِ وابني.

بعد هذا اليوم، لم يذكر حمد أي شيء آخر عن هذه الرحلة، ولا عن ميرا، أو حتى عن أي شيء حدث له على السفينة، بل كان يقوم بإسكات أي شخص من أصدقائه، أو معارفه يسأله عمّا رآه على متن تيتانيك، فقد تناسى الأمر بأكمله.

في حين قررت فاطمة أن تكون الزوجة المحبة لآخر يوم في عمرها فسامحته خاصة بعدما تأكدت أنه قطع علاقته بـــ ميرا وهنري، ولم تحاول أن تسأل عن أي شيء يعكّر صفو حياتهما الزوجية السعيدة، حيث كان يحاول زوجها تعويضها

عمّا فعله في الخارج، وهي كانت قابلة بالتعويض، ولم ترد شيئا أكثر من ذلك.

مثلما وفى "حمد" وعده لزوجته، وفى وعده لامرأة أخرى، كان يلقاها من حين لآخر على صفحات رسائل تأتيه من ميتشيجن، محمّلة بالود والسؤال عن الصحة والأحوال، فلم يستطع "حمد" إنهاء صداقته مع "فاطيمة"، ولكنه رفض أيضا مجيئها للعيش بمصر، حتى لا يضايق زوجته، فكانت الرسائل هي الملاذ الوحيد، وقد قبلت به "فاطيمة" بصدر رحب، فأي شيء من ريحة "حمد" جيد، يكفيها أنها تطمئن عليه، يكفيها أنها بباله، وأنه قطع علاقته بـ"ميرا"، فأصبحت هي صديقته الوحيدة.

عاش "حمد" وهو يكتب رسائله لـ"فاطيمة" وسط عائلته بمصر، بينما كتبت هي رسائلها وهي تعيش وحدها بميتشيجن بعد وفاة والدتها، فقد رفضت فكرة الزواج من أي رجل، وكأنها اختارت أن تتزوج روح رجل تتجسد أمامها عندما تقرأ كلمات "حمد" التي لم يقل من خلالها أبدًا بأنه يحبها، ولكن الأمل كان يبقيها على قيد الحياة، حتى وافتها المنية في دار للعجزة قبل عام واحد من وفاة "حمد"، حيث كتبت له في خطابها الأخير ..

صديقي العزيز "حمد"، بعد التحية..

لا أريد إزعاجك باعتراف من الممكن أن يسبب لك الألم، ولكن أشعر بأن عمري قد نفد، لا أعلم لماذا يرادوني هذا الشعور؟ ربما هي مجرد تهيؤات، ولكن على أية حال، لا بد وأن أفصح عن هذا السر الذي يعصف بعقلي نهارًا، ويحرق قلبي ليلًا، أنا أحبك يا "حمد"، منذ اللحظة التي رأيتك فيها.

لم أندم للحظة واحدة على اختياري لعيش حياة بدون زواج وأطفال، فالزواج هو أن يصبح لي رجل أتكئ عليه، وقد كنت لي كذلك، رجُلي الذي لم يتركني أبدًا، أحببت كل لحظة كانت بيننا على متن السفينة، وأحببت لحظات لقائنا على صفحات الخطابات، نعم عندما تتحدث زميلاتي في السكن عن أزواجهن ويحكين عن أولى قبلاتهن، أنسى أنني بعمر الشيخوخة، وأتحول لفتاة عشرينية مرة أخرى، وأتخيل لو كنت قبلتك لمرة واحدة، مرة واحدة لأحكي عنها مثلما يحكين، كنت استرجعت لحظتها في فصول الشتاء لتدفئني، وفي فصول الصيف لتكون لي نسمة باردة تنعشني، ولكن فات الآوان يا صديقي.. فات الآوان.

لا أعترف لك الآن طالبة الزيارة واللقاء، فأعلم منذ البداية أن هذا لن يحدث، كل ما أطلبه منك أن تجيب لي على سؤال واحدا، هل أحببتني يومًا يا "حمد"؟

أشعر دائما بأنك تحبني، ولكنك لم تقلها، فهلا قلتها الآن؟ إذا كنت تشعر بها، آسفة إذا كنت تخطيت الحدود، ولكن لم يتبق لنا مزيدًا من الوقت لنهدره.. تذكر يا "حمد"، لقد أحببتك دومًا، وسأظل أحبك حتى ينتهي العالم، أو أنتهي أنا.

توفت "فاطيمة" بعد إرسال الخطاب بيوم واحد، ولم تصلها رسالة "حمد" الأخيرة.

...

استقر حمد مع زوجته وابنه بشقته بمصر الجديدة، وبعد اعتزاله العمل كترجمان، عمل حمد في مجال السياحة بنزلة السمان حيث كان يقوم بتربية الأحصنة بإسطبل خاص به وإعطاءها للسياح، وقد كبرت أعماله بنزلة السمان، فاستطاع شراء منزل كبير بشارع يلبوغة بشبرا، وفيلا بكفر الجبل بالهرم، وكان دائمًا ما يكون متواجدًا بفيلته بكفر الجبل ليكون بجانب عمله، وبجانب خمسة عشر فدانًا من أرض جديدة اشتراها لتكون ورث لأبناءه فيما بعد.

أُنجب حمد ستة أبناء" هم حسن، عطيات، إحسان، عايدة، دلال، وسيد" الذي أسماه على اسم شقيقه تكريمًا له، وبقي حمد على عهده مع أخيه، فتوسعت العائلة عندما أصبح لـحمد تسعة عشر حفيدًا وهم، "حمدي، وفاء، مراد، مريم، منال، سمير، سامية، سراج، سناء، عبد الرحمن، عادل، عفاف، عزة، محمد، ممتاز، سوسن، مجدي، منتصر، وسونيا."

عاش حمد مع أسرته دون أن يتحدث عن الماضي أبدًا، فلم يعلم أحد كيف كانت حياته على متن تيتانيك، سوى عدد قليل من الأبناء والأحفاد الذين كانوا يصرّون على أن يروي لهم ما حدث له هناك، فهو كان يحب أن يحتفظ بأسرار هذه الرحلة لنفسه، وقد ظل محتفظًا بها طوال حياته، حتى لم يعلم أي مصري عاصره بأنه كان هناك مصريًا على متن تيتانيك، حتى وافته المنية وهو في أتمّ صحتة، مات وسط عائلته في فيلته بالهرم.

اختلف الأحفاد في تقدير عمر جدهم عندما وافته المنية، والأقرب إلى الصحة، أنه توفى في عام 1965 م، عن عمر يناهز مئة عام.

أما ميرا، فقد استمرت في العيش مع زوجها هنري بمنزلهما بمنهاتن بنيويورك، إلى أن وافتها المنية في أربعة عشر نوفمبر عام 1923 م.

بعد وفاة ميرا بفترة قصيرة، تزوج هنري بالسيدة "آن هوبسن"، وأنجب منها الابن الذي كان يحلم به، وكانت وصيته هي أن يدفن بجانب زوجته ميرا، وهذا ما حدث عندما وافته المنية في 1 مارس عام 1944م، بعد عامان صارع خلالهما المرض.

...

ثماني سنوات هي الفترة التي ابتعد فيها حمد عن ميرا، لم يسافر أحدهما خلالهم للآخر، لم يتحدثا أو يرسلا لبعضهما الخطابات، ولم يودع حمد صديقته ميرا قبل أن تموت، ولكن يذكر أحفاده أنه كان يذكرها لهم طوال حياته، ففي بعض الأوقات، كانت تهرب منه الكلمات فيقول:

"يا ليتكم كنتم مثل ميرا، كانت تنفذ ما أطلبه منها، وتستمع لكلمتي، ولا

ترهقني في أي شيء، يا ليتكم كنتم مثلها".

**********

تمت بحمد الله.

**روزالي وزوجها إيزدور ستروس .. "السيدة التي تركت قارب النجاة لتموت مع زوجها".**

**جون إستور تاجر الفراء وزوجته ماكلين**

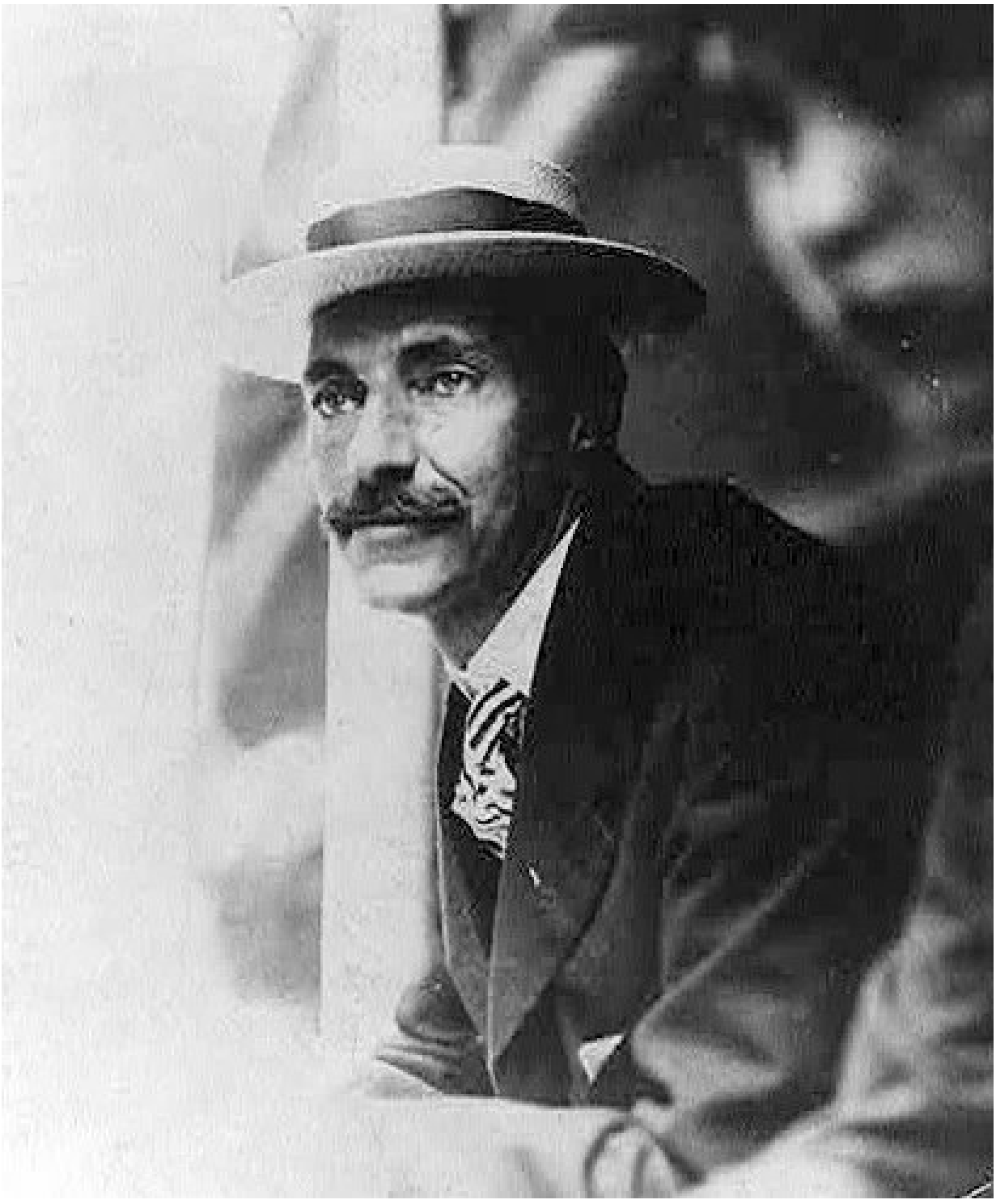

**صورة أخرى لإستور**

**جاك فيليبس عامل اللاسلكي وهارولد برايد مراقب السفينة**

**بنورة وزوجها التي التقت به بعد نجاتها من السفينة**

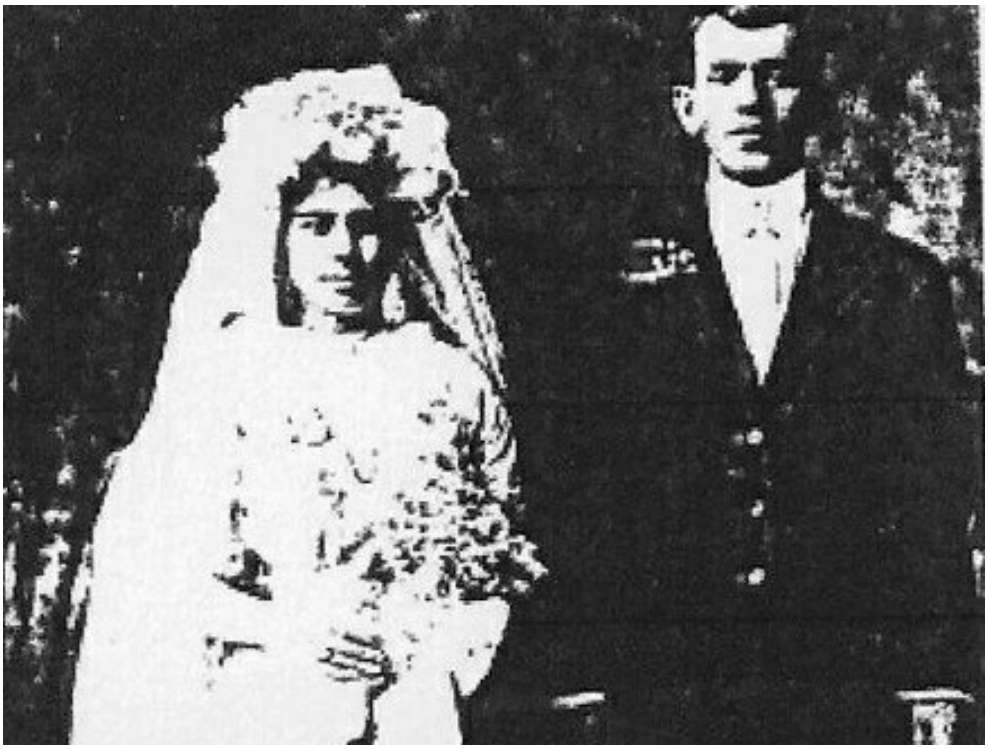

**صورة أخرى لبنورة وزوجها**

**صورة لبنورة وزوجها بعد التقدم في العمر**

**كلب هنري هاربر الذي أصر على إنقاذه**

**أحد عازفي الكمان الذي ظل يعزف حتى غرف السفينة**

**الكمان بعدما انتشلوه من قاع المحيط**

**القبطان سميث على متن السفينة**

**القبطان سميث في صورة تذكارية مع طاقم السفينة**

**جيه بروس مالك السفينة**

FRANCES WILSON

# HOW TO SURVIVE THE TITANIC

OR

# THE SINKING OF J. BRUCE ISMAY

BLOOMSBURY

**غلاف كتاب يتحدث عن انهيار امبراطورية جيه بروس**

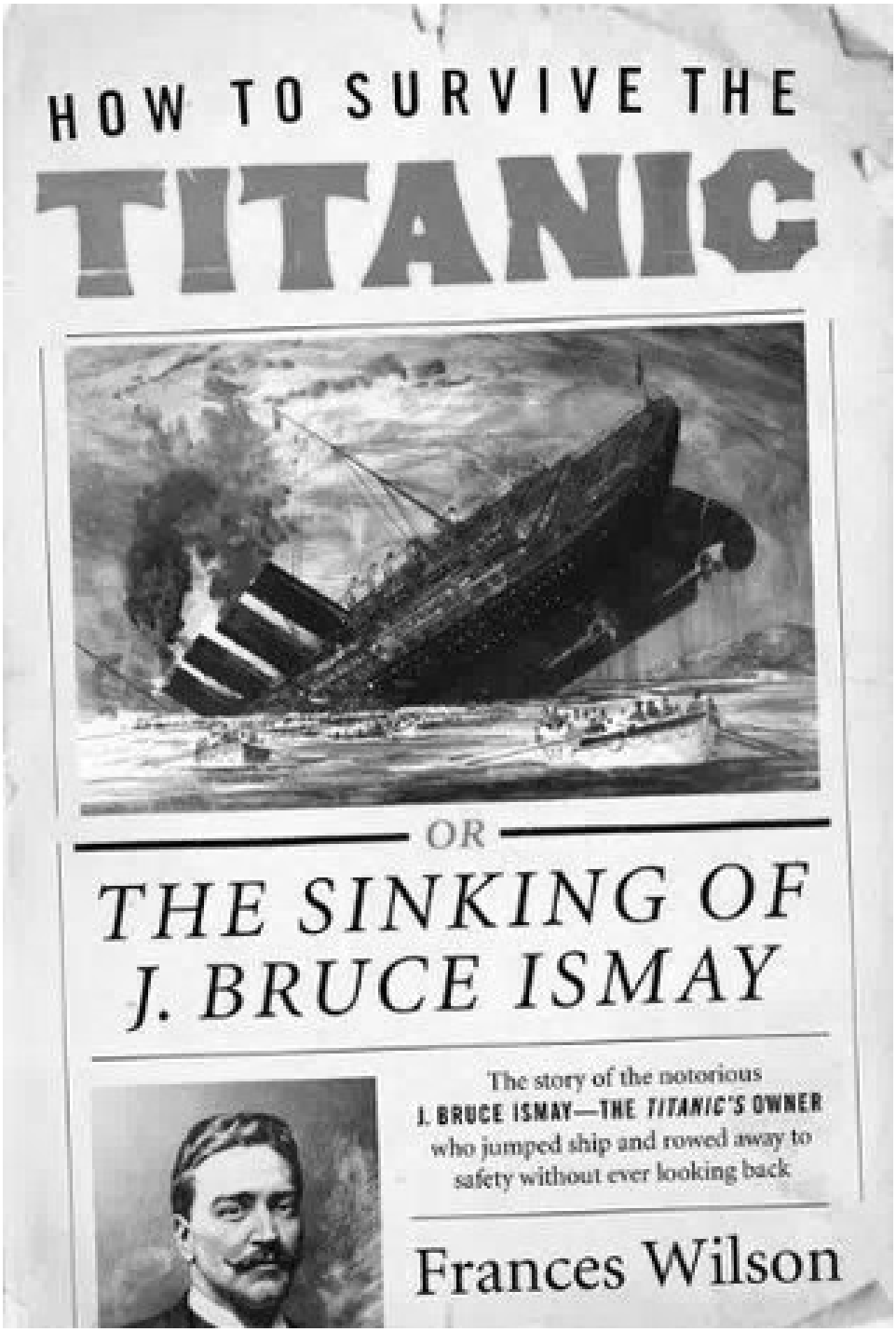


**مقال ينتقد جيه بروس على غرق تيتانيك**

**صورة أخرى لطاقم عمل السفينة**

**صورة لتيتانيك وهي في عرض البحر**

**صورة لقوارب الإنقاذ**

**صورة لقارب إنقاذ آخر**

**صورة للناجيين على الشاطيء**

**صورة لأحد الضباط يقف بجانب الجثث التي تم انتشالها من البحر**

**صورة "قيل" إنها لـ "ميرا هاربر"، ولكن ليس هناك تأكيد على ذلك، إلا أن الكلب الموجود بالصورة يتشابه مع الكلب الموجود في بقية الصور، على أنه الكلب "صان" الذي أنقذه "هنري".**

**صورة "حمد حسب" قبل أن يتوفاه اللّه ببضعة سنوات**

عدد ١٠٢٧٥

# الأهرام

... ابريل (نيسان) سنة ١٩١٢

## فهرست

## إلى مجلس شورى القوانين

## وصف تيتانيك

## أخبار البرق

## بين مصر وسوريا

[illegible]

**جريدة الأهرام تكتب في صفحتها الأولى عن وصف تيتانيك عام 1912**

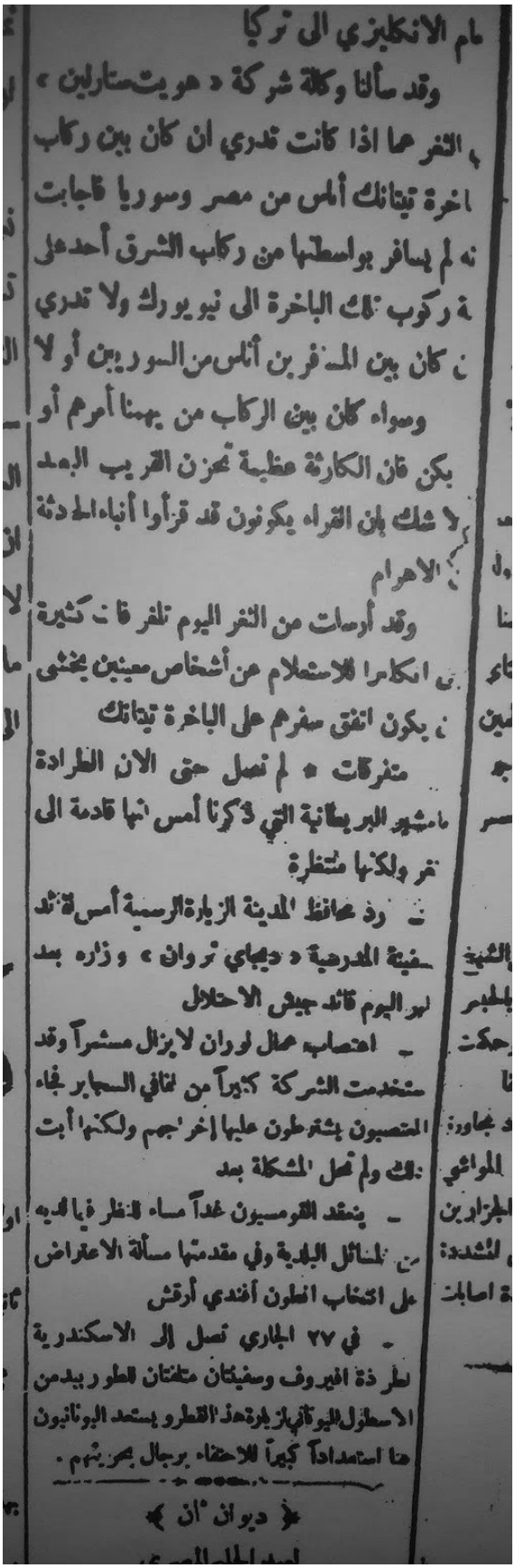

مام الانكليزي الى تركيا

وقد سألنا وكالة شركة « هويت ستارلين »

، النفر عما اذا كانت تدري ان كان بين ركاب

اخرة تيتانك أناس من مصر وسوريا فاجابت

نه لم يسافر بواسطتها من ركاب الشرق أحد على

ة ركوب تلك الباخرة الى نيويورك ولا تدري

ن كان بين المسافرين أناس من السوريين أو لا

وسواء كان بين الركاب من يهمنا أمرهم أو

يكن فان الكارثة عظيمة تحزن القريب البعيد

لا شك بان القراء يكونون قد قرأوا أنباء الحادثة

الاهرام

وقد أرسلت من النفر اليوم تلغرافات كثيرة

ى انكلترا للاستعلام عن أشخاص معينين يخشى

ن يكون انفق سفرهم على الباخرة تيتانك

متفرقات * لم تصل حتى الان الطرادة

ماشير البريطانية التي ذكرنا أمس انها قادمة الى

نفر ولكنها منتظرة

ـ رد محافظ المدينة الزيارة الرسمية أمس لقائد

سفينة المدرعة « ديجاي تروان » وزاره بعد

ر اليوم قائد جيش الاحتلال

ـ اعتصاب عمال لوران لا يزال مستمراً وقد

ستخدمت الشركة كثيراً من لمافي السجاير فجاء

المعتصبون يشترطون عليها اخراجهم ولكنها أبت

ذلك ولم تصل المشكلة بعد

ـ ينعقد القومسيون غداً مساء للنظر فيما لديه

من المسائل البلدية وفي مقدمتها مسألة الاعتراض

على انتخاب انطون افندي ارقش

ـ في ٢٧ الجاري تصل الى الاسكندرية

طرادة الفيروف وسفينتان متلفتان للطوربيد من

الاسطول الروسي لزيارة هذا القطر ويستعد اليونانيون

هنا استعداداً كبيراً للاحتفاء برجال بحريتهم .

---

ديوان "ان"

**صورة لعمود بجريدة الأهرام يؤكد نفي شركة "ستار لاين" مالكة تيتانيك لوجود أي مصري أو شرق أوسطي على متنها.**

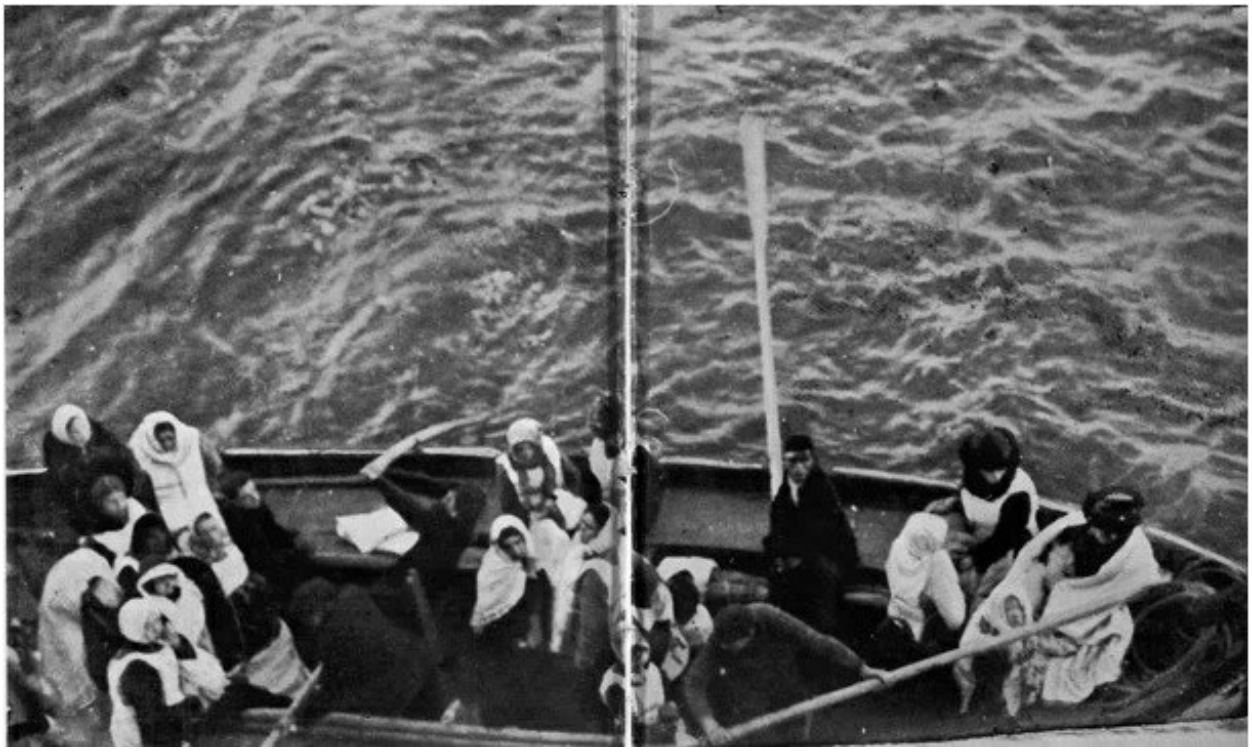

**صورة لقارب نجاة رقم 3، ويوضح وجود "حمد حسب" بجانب "ميرا"، بينما "هنري" يجلس في الجهة المقابلة.**

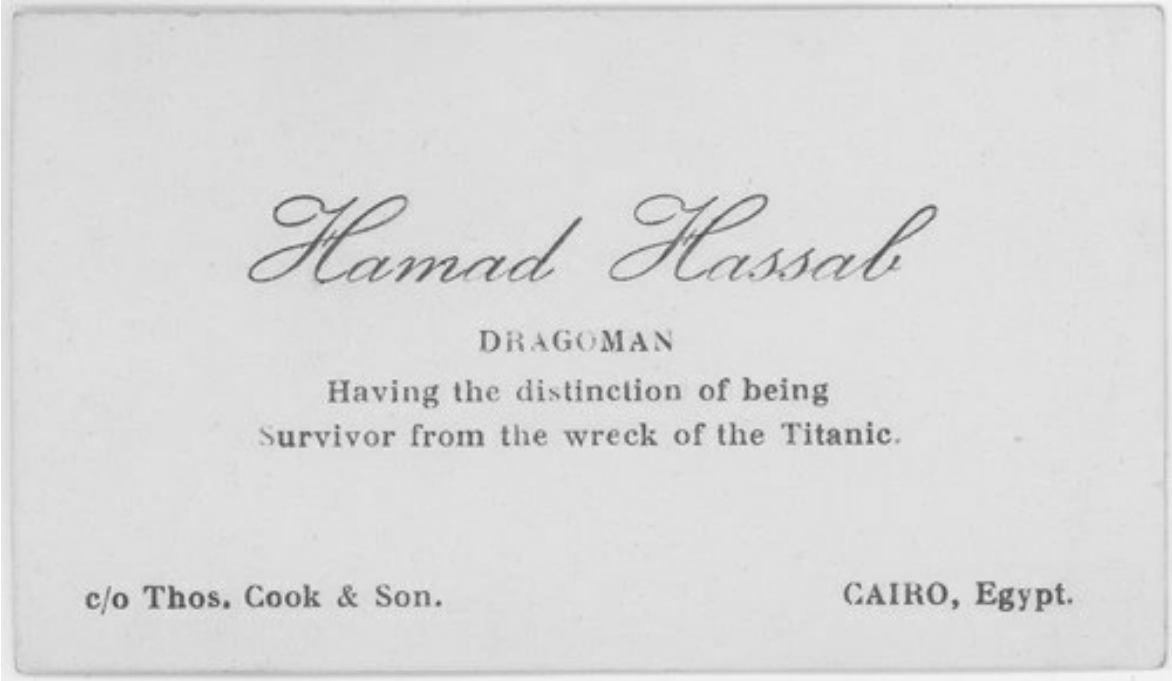


**كارت العمل الخاص بـ"حمد حسب"، قام بتصميمه بعد نجاته من تيتانيك وعودته إلى مصر.**

"SCHEDULE "A".

Harsab

| | | |
|---|---|---|
| 11 | Kaftans of Egyptian Silk | 165.00 |
| 2 | Gellabiahs of Egyptian Cloth | 30.00 |
| 5 | " " " | 60.00 |
| 1 | Gellabiahs of Egyptian Woolen | 10.00 |
| 2 | " " " Pongee | 15.00 |
| 1 | Gellabiahs of Indian Pongee | 15.00 |
| 1 | " " Syrian Pongee | 10.00 |
| 1 | Abaih Cloth Cloak | 25.00 |
| 1 | Heavy scarf Egyptian silk | 10.00 |
| 1 | Gold Ring with Scarab | 25.00 |
| | Flannel shirts and underclothing | 20.00 |
| 1 | Pair of shoes | 5.00 |
| 1 | Gold watch | 25.00 |
| 2 | Arab Turbans | 5.00 |
| 4 | Silk Scarfs | 20.00 |
| 1 | suit English Clothes | 25.00 |
| 2 | Trunks | 22.00 |
| | | $487.00 |

**قائمة بالمتعلقات الخاصة بـ"حمد حسب"، التي تم إثباتها في التحقيقات التي تمت بعد غرق السفينة.**

13 District of
State of NEW YORK } ss.:
County of NEW YORK

HAMAD HASSAB , being duly sworn, deposes and says, I am the claimant in the above-entitled claim. The above claim is true to my own knowledge except as to the matters stated to be alleged upon information and belief, and as to those matters I believe it to be true.

Hamad Hassab

14 Sworn to before me this
7th
day of ~~December~~ Jan. , 1913.

Notary Public,
County.

Southern District of New York, ss.:

15 being duly sworn, says that he is one of the proctors for the above-named claimant; that the said claimant is absent from this district and more than a hundred miles from the City of New York, and deponent is authorized to act for said claimant herein; that he has read the foregoing claim and knows the contents thereof, and the matters therein stated are true to the best of his knowledge, information and belief; that deponent's means of information are letters in his possession which he believes to be true.

16 Sworn to before me this
day of 1912.

17

18

**إمضاء "حمد حسب" على التحقيقات**

**صورة مقربة لجاك فيليبس الذي أرسل رسالة راديو اللاسلكي المكتوب فيها "نحن نغرق"**

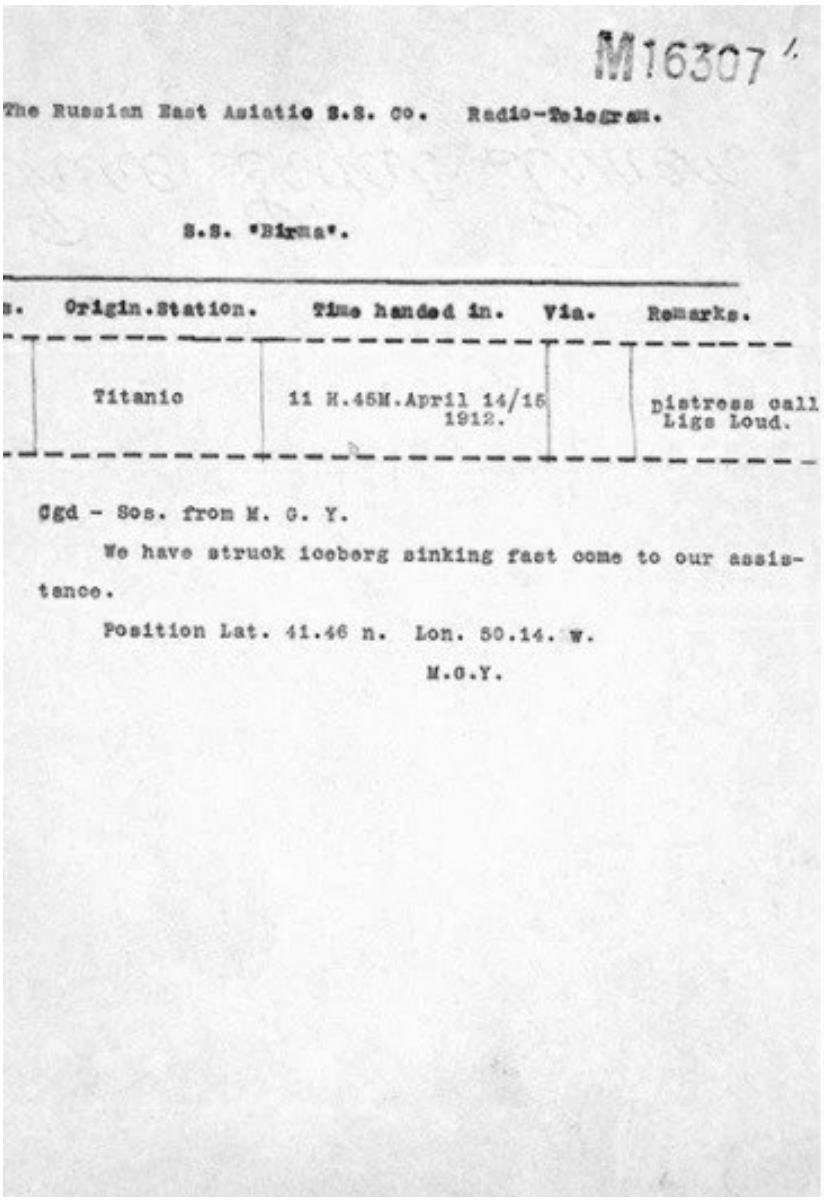

M16307 4

The Russian East Asiatic S.S. Co. Radio-Telegram.

S.S. 'Birma'.

| s. | Origin.Station. | Time handed in. | Via. | Remarks. |
|---|---|---|---|---|
| | Titanic | 11 H.45M.April 14/15 1912. | | Distress call Ligs Loud. |

Cgd - Sos. from M. G. Y.

We have struck iceberg sinking fast come to our assistance.

Position Lat. 41.46 n. Lon. 50.14. w.

M.G.Y.

**رسالة الإستغاثة التي أرسلها جاك فيليبس**

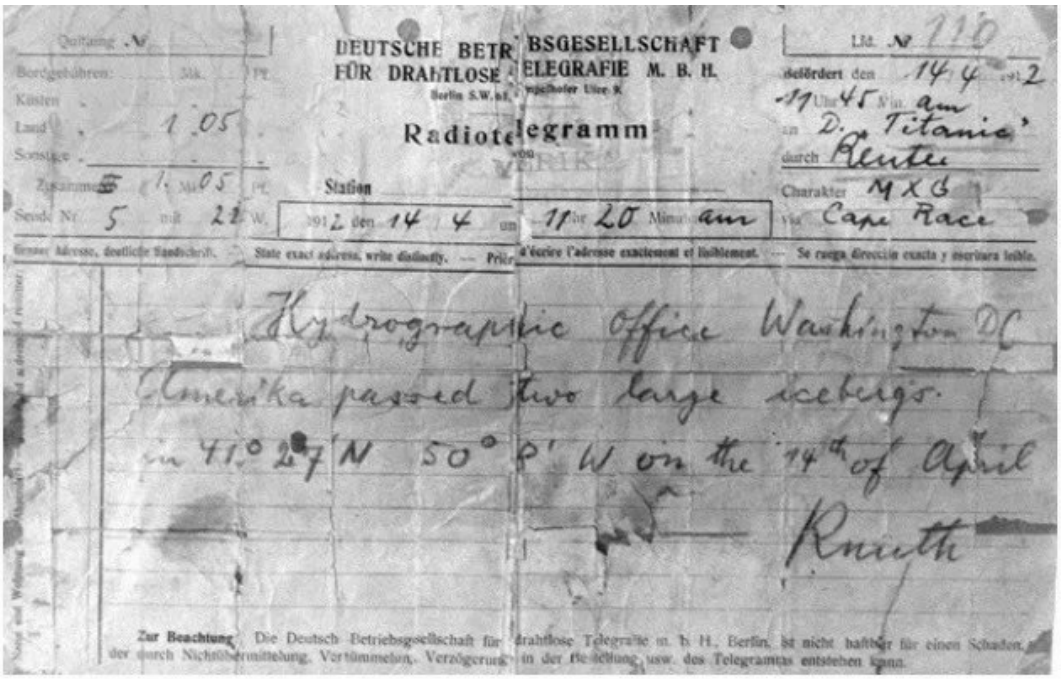

DEUTSCHE BETR[illegible]BSGESELLSCHAFT
FÜR DRAHTLOSE [illegible]ELEGRAFIE M. B. H.
Berlin S.W. 68, [illegible]ngsthofer Ufer 9.

Radiote[illegible]legramm

Station

Hydrographic Office Washington DC
Amerika passed two large icebergs.
in 41.° 27 N 50° 8' W on the 14th of April
Knuth

Zur Beachtung: Die Deutsch Betriebsgesellschaft für drahtlose Telegraphie m. b. H., Berlin, ist nicht haftbar für einen Schaden, der durch Nichtübermittelung, Verstümmelung, Verzögerung in der Bestellung usw. des Telegramms entstehen kann.

*(Preceding image)* A radio telegram from the German ship *Amerika* to the *Titanic*, warning the crew of icebergs.

**رسالة تحذيرية تم إرسالها من سفينة ألمانية إلى تيتانيك، تحذرها فيها بوجود جبل جليدي في الطريق**

**فريدريك فليت أول من رأى الجبل الجليدي خلال نوبة المراقبة وأبلغ عنه**

**إيلين وزوجها إدوارد، الذين ماتوا على سطح قطعة خشبية في عرض البحر، يقال أن قصتهما مأخوذ عنها فيلم تيتانيك**

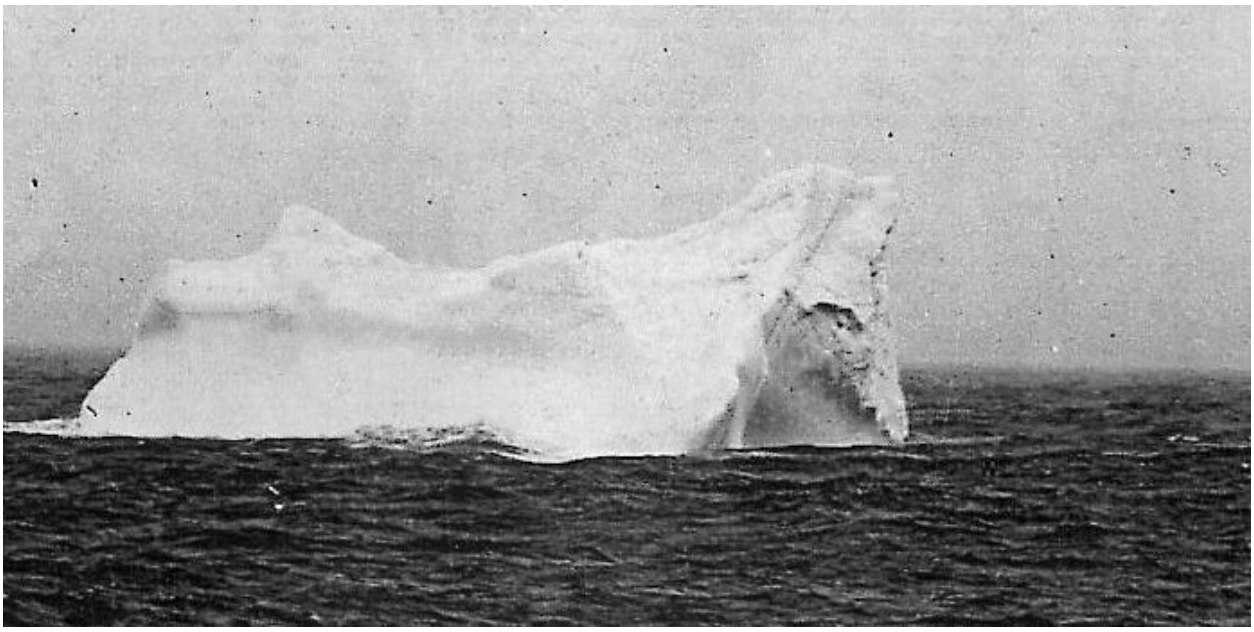

**الجبل الجليدي الذي أغرق السفينة**

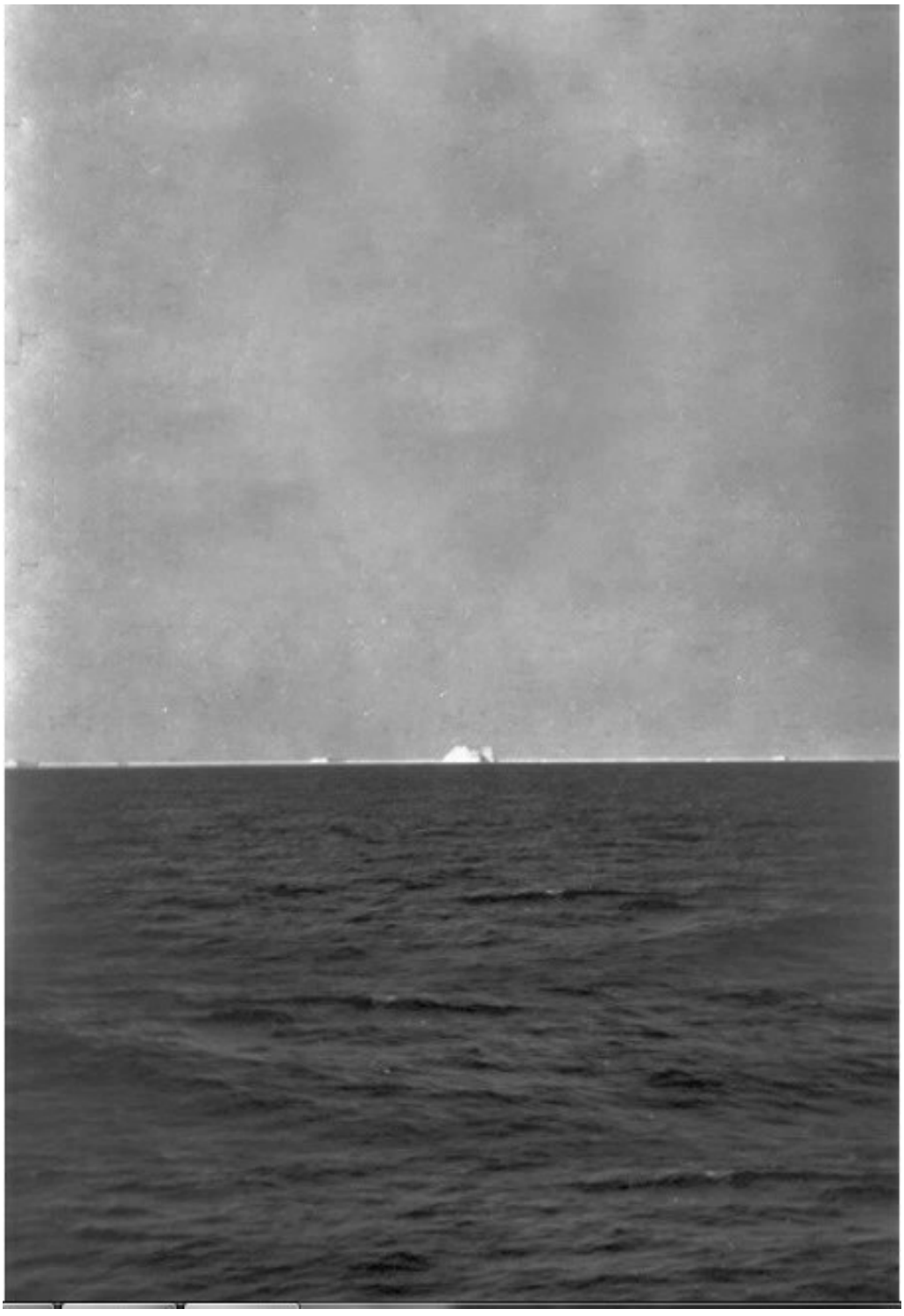

**صورة تم التقاطها عن بعد للجبل الجليدي الذي أغرق السفينة**

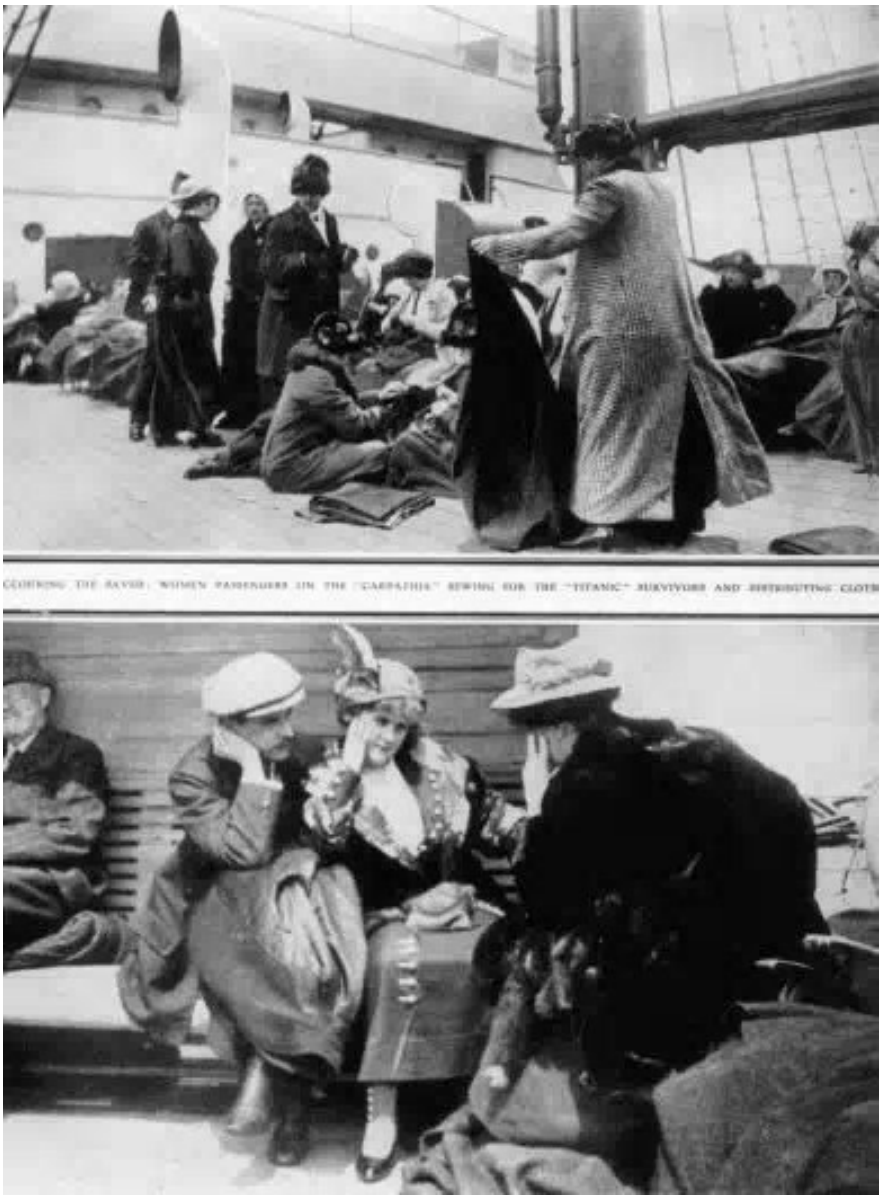

**ناجيين تيتانيك وهم على متن سفينة كارباثيا**

**الناجيين من طاقم سفينة تيتانيك وهم يرتدون سترات الإنقاذ**

**صورة أخرى للناجيين على متن سفينة كارباثيا**

**صورة لآخر قارب إنقاذ يشار فيها إلى جيه بروس مالك تيتانيك**

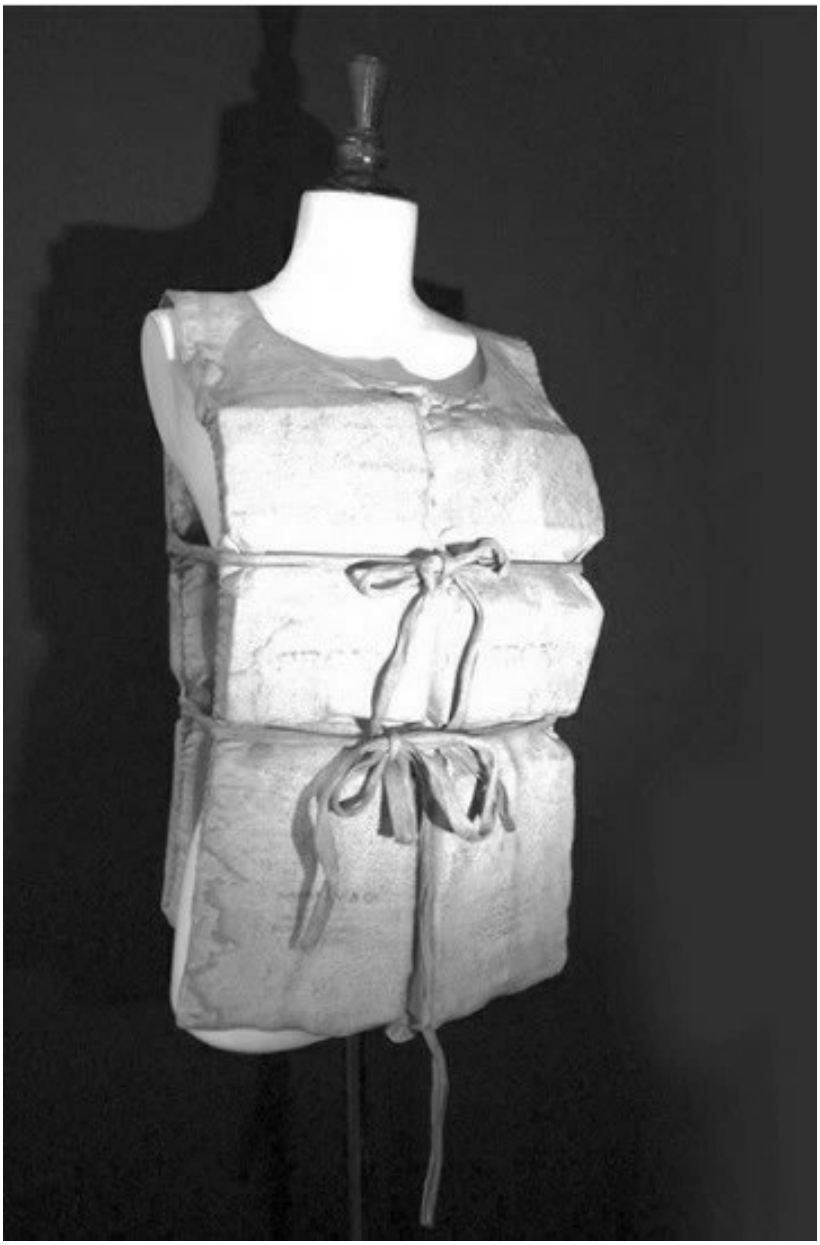

**أحد سترات النجاة التي ارتداها أحد النجاة، معروضة في متحف بالخارج**

**صورة لوليام ألدن سميث رئيس لجنة التحقيقات الأمريكية**

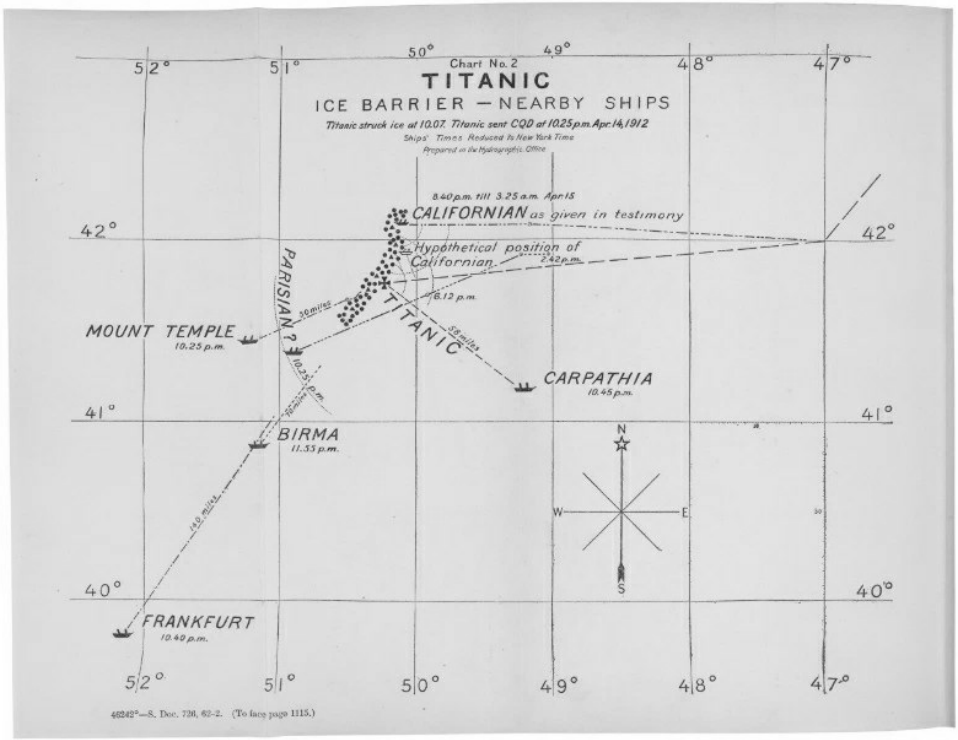


**إحدى الدلائل التي تم عرضها خلال التحقيقات، وهي خريطة تصف**

## مكان الجبل الجليدي ومكان سفينة تيتانيك، والسفن الموجودة حولها

F. FLEET, THE LOOK-OUT MAN

MR. FRANKLIN OF THE WHITE STAR

J. B. BOXALL, THE FOURTH OFFICER

SENATOR W. ALDEN SMITH

T. COTTAM, CARPATHIA OPERATOR

HAROLD BRIDE, JUNIOR MARCONI OPERATOR, WHOSE FEET WERE INJURED

HAROLD J. LOWE, FIFTH OFFICER

## رسم المحكمة للشهود خلال التحقيقات

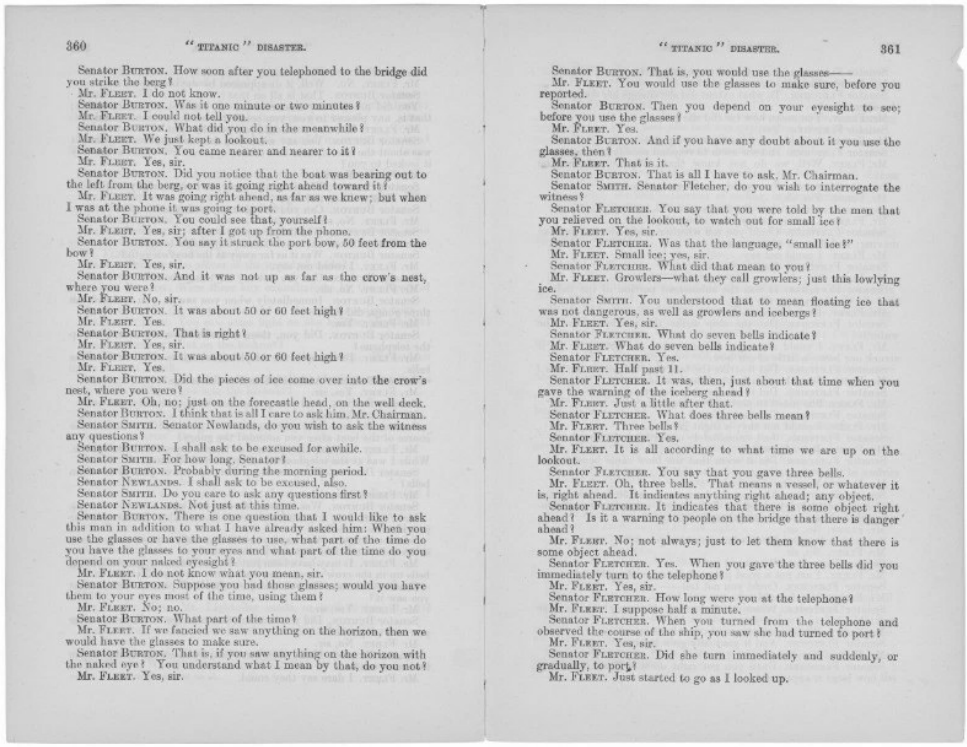

360 "TITANIC" DISASTER.

Senator BURTON. How soon after you telephoned to the bridge did you strike the berg?
Mr. FLEET. I do not know.
Senator BURTON. Was it one minute or two minutes?
Mr. FLEET. I could not tell you.
Senator BURTON. What did you do in the meanwhile?
Mr. FLEET. We just kept a lookout.
Senator BURTON. You came nearer and nearer to it?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator BURTON. Did you notice that the boat was bearing out to the left from the berg, or was it going right ahead toward it?
Mr. FLEET. It was going right ahead, as far as we knew; but when I was at the phone it was going to port.
Senator BURTON. You could see that, yourself?
Mr. FLEET. Yes, sir; after I got up from the phone.
Senator BURTON. You say it struck the port bow, 50 feet from the bow?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator BURTON. And it was not up as far as the crow's nest, where you were?
Mr. FLEET. No, sir.
Senator BURTON. It was about 50 or 60 feet high?
Mr. FLEET. Yes.
Senator BURTON. That is right?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator BURTON. It was about 50 or 60 feet high?
Mr. FLEET. Yes.
Senator BURTON. Did the pieces of ice come over into the crow's nest, where you were?
Mr. FLEET. Oh, no; just on the forecastle head, on the well deck.
Senator BURTON. I think that is all I care to ask him, Mr. Chairman.
Senator SMITH. Senator Newlands, do you wish to ask the witness any questions?
Senator BURTON. I shall ask to be excused for awhile.
Senator SMITH. For how long, Senator?
Senator BURTON. Probably during the morning period.
Senator NEWLANDS. I shall ask to be excused, also.
Senator SMITH. Do you care to ask any questions first?
Senator NEWLANDS. Not just at this time.
Senator BURTON. There is one question that I would like to ask this man in addition to what I have already asked him: When you use the glasses or have the glasses to use, what part of the time do you have the glasses to your eyes and what part of the time do you depend on your naked eyesight?
Mr. FLEET. I do not know what you mean, sir.
Senator BURTON. Suppose you had those glasses; would you have them to your eyes most of the time, using them?
Mr. FLEET. No; no.
Senator BURTON. What part of the time?
Mr. FLEET. If we fancied we saw anything on the horizon, then we would have the glasses to make sure.
Senator BURTON. That is, if you saw anything on the horizon with the naked eye? You understand what I mean by that, do you not?
Mr. FLEET. Yes, sir.

"TITANIC" DISASTER. 361

Senator BURTON. That is, you would use the glasses——
Mr. FLEET. You would use the glasses to make sure, before you reported.
Senator BURTON. Then you depend on your eyesight to see; before you use the glasses?
Mr. FLEET. Yes.
Senator BURTON. And if you have any doubt about it you use the glasses, then?
Mr. FLEET. That is it.
Senator BURTON. That is all I have to ask, Mr. Chairman.
Senator SMITH. Senator Fletcher, do you wish to interrogate the witness?
Senator FLETCHER. You say that you were told by the men that you relieved on the lookout, to watch out for small ice?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator FLETCHER. Was that the language, "small ice?"
Mr. FLEET. Small ice; yes, sir.
Senator FLETCHER. What did that mean to you?
Mr. FLEET. Growlers—what they call growlers; just this lowlying ice.
Senator SMITH. You understood that to mean floating ice that was not dangerous, as well as growlers and icebergs?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator FLETCHER. What do seven bells indicate?
Mr. FLEET. What do seven bells indicate?
Senator FLETCHER. Yes.
Mr. FLEET. Half past 11.
Senator FLETCHER. It was, then, just about that time when you gave the warning of the iceberg ahead?
Mr. FLEET. Just a little after that.
Senator FLETCHER. What does three bells mean?
Mr. FLEET. Three bells?
Senator FLETCHER. Yes.
Mr. FLEET. It is all according to what time we are up on the lookout.
Senator FLETCHER. You say that you gave three bells.
Mr. FLEET. Oh, three bells. That means a vessel, or whatever it is, right ahead. It indicates anything right ahead; any object.
Senator FLETCHER. It indicates that there is some object right ahead? Is it a warning to people on the bridge that there is danger ahead?
Mr. FLEET. No; not always; just to let them know that there is some object ahead.
Senator FLETCHER. Yes. When you gave the three bells did you immediately turn to the telephone?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator FLETCHER. How long were you at the telephone?
Mr. FLEET. I suppose half a minute.
Senator FLETCHER. When you turned from the telephone and observed the course of the ship, you saw she had turned to port?
Mr. FLEET. Yes, sir.
Senator FLETCHER. Did she turn immediately and suddenly, or gradually, to port?
Mr. FLEET. Just started to go as I looked up.

**صورة لأصل التحقيقات التي تمت مع فريدريك فليت مراقب السفينة من أرشيف المحكمة الأمريكية**

**صورة من داخل قاعة التحقيقات**

**صورة أخرى من داخل قاعة التحقيقات**

**جيه بروس مالك السفينة وهو يدلي بشهادته خلال التحقيقات**

**طاقم السفينة خارج المحكمة، في انتظار الإدلاء بشهادتهم**

**بائع جرائد يوزع الجرائد لينشر خبر غرق تيتانيك**

"All the News That's Fit to Print."

The New York Times.

THE WEATHER.

NEW YORK, TUESDAY, APRIL 16, 1912—TWENTY-FOUR PAGES. ONE CENT

# TITANIC SINKS FOUR HOURS AFTER HITTING ICEBERG; 866 RESCUED BY CARPATHIA, PROBABLY 1250 PERISH; ISMAY SAFE, MRS. ASTOR MAYBE, NOTED NAMES MISSING

Col. Astor and Bride, Isidor Straus and Wife, and Maj. Butt Aboard.

"RULE OF SEA" FOLLOWED

Women and Children Put Over in Lifeboats and Are Supposed to Be Safe on Carpathia.

PICKED UP AFTER 4 HOURS

Vincent Astor Calls at White Star Offices for News of His Father and Leaves Weeping.

FRANKLIN HOPEFUL ALL DAY

Manager of the Line Insisted Titanic Was Unsinkable Even After She Had Gone Down.

HEAD OF THE LINE ABOARD



The Lost Titanic Being Towed Out of Belfast Harbor.



CAPT. E. J. SMITH,
Commander of the Titanic.

PARTIAL LIST OF THE SAVED.

Biggest Liner Plunges to the Bottom at 2:20 A. M.

RESCUERS THERE TOO LATE

Except to Pick Up the Few Hundreds Who Took to the Lifeboats.

WOMEN AND CHILDREN FIRST

Carpathia Reaching New York with the Survivors.

SEA SEARCH FOR OTHERS

The California Stands By on Chance of Picking Up Other Boats or Rafts.

OLYMPIC SENDS FIVE NEWS

LATER REPORT SAVES 866.

CAPE RACE, N. F., April 15.—The White Star liner Olympic reports by wireless this morning that the Carpathia reached, at daybreak this morning, the position from which wireless calls for help were sent out last night by the Titanic after having collided with an iceberg. The Carpathia found only the derelict and the wreckage of what had been the biggest steamship afloat.

The Titanic had foundered at about 2:20 A. M., in latitude 41.46 north and longitude 50.14 west. This is about 60 miles south of Cape Race, or about 34 miles east of the position at which the attack on the Titanic occurred.

There were about 2,500 persons aboard the Titanic.

The Leyland liner Californian is searching and watching the position of the disaster, while the Carpathia is returning to New York with the survivors.

It can be positively stated that up to 11 o'clock tonight nothing whatever had been received at or heard by the Marconi station here to the effect that the Parisian, Virginian or any other ships had picked up any survivors, other than those picked up by the Carpathia.

The First News of the Disaster.

The first news of the disaster to the Titanic was received by the Marconi wireless station here at 10:25 o'clock last night. In telling yesterday's New York Times, The Titanic was first heard giving the distress signal "C. Q. D.," which was answered by a number of ships, including the Carpathia,

**صحيفة نيويورك تايمز تنشر أخبار قيل في التحقيقات أنها مغلوطة، حيث لم يكن أحد على علم بالمعلومات الدقيقة التي نشرتها الجريدة بعد، ولم تؤكد الجريدة غرق القبطان سميث في ذلك الوقت**

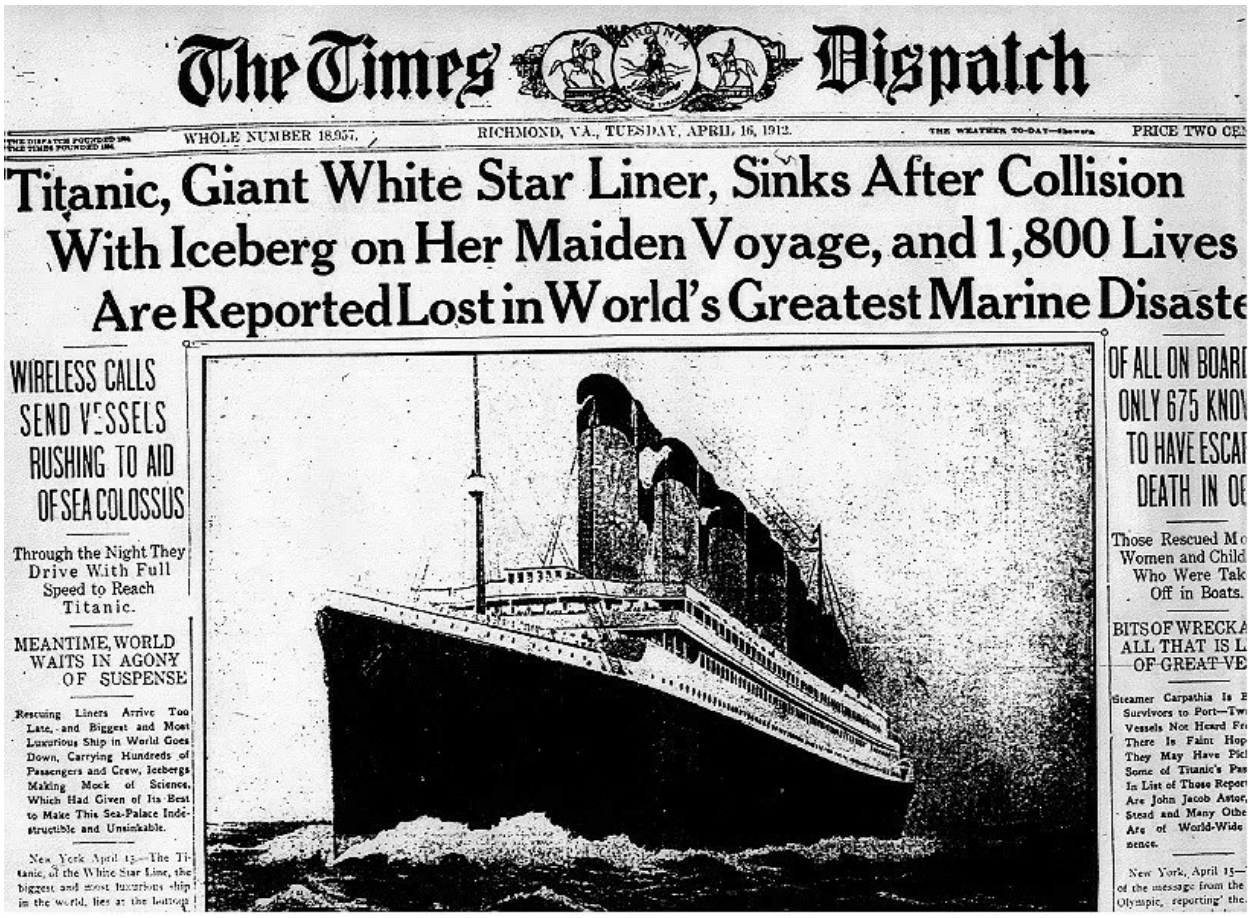

The Times Dispatch

WHOLE NUMBER 18,957. RICHMOND, VA., TUESDAY, APRIL 16, 1912. PRICE TWO CE

# Titanic, Giant White Star Liner, Sinks After Collision With Iceberg on Her Maiden Voyage, and 1,800 Lives Are Reported Lost in World's Greatest Marine Disaste

WIRELESS CALLS SEND VESSELS RUSHING TO AID OF SEA COLOSSUS

Through the Night They Drive With Full Speed to Reach Titanic.

MEANTIME, WORLD WAITS IN AGONY OF SUSPENSE

Rescuing Liners Arrive Too Late, and Biggest and Most Luxurious Ship in World Goes Down, Carrying Hundreds of Passengers and Crew, Icebergs Making Mock of Science, Which Had Given of Its Best to Make This Sea-Palace Indestructible and Unsinkable.

New York April 15—The Titanic, of the White Star Line, the biggest and most luxurious ship in the world, lies at the bottom

OF ALL ON BOARD ONLY 675 KNOW TO HAVE ESCAP DEATH IN OC

Those Rescued Mo Women and Child Who Were Take Off in Boats.

BITS OF WRECKA ALL THAT IS L OF GREAT VE

Steamer Carpathia Is E Survivors to Port—Tw Vessels Not Heard Fr There Is Faint Hop They May Have Pic Some of Titanic's Pas In List of Those Report Are John Jacob Astor, Stead and Many Othe Are of World-Wide nence.

New York, April 15— of the message from the Olympic, reporting the

صحيفة أخرى تنشر أخبار عن غرق تيتانيك

DIRECTORY FOR ADVERTISERS WILL BE FOUND TODAY ON PAGE 15, COLUMN 1.

# THE NEW YORK HERALD.

THE WEATHER. Clearing; slightly warmer.

WHOLE NO. 27,680. ***** NEW YORK, TUESDAY, APRIL 16, 1912.—TWENTY-EIGHT PAGES. PRICE THREE CENTS.

# THE TITANIC SINKS WITH 1,800 ON BOARD; ONLY 675, MOSTLY WOMEN AND CHILDREN, SAVED

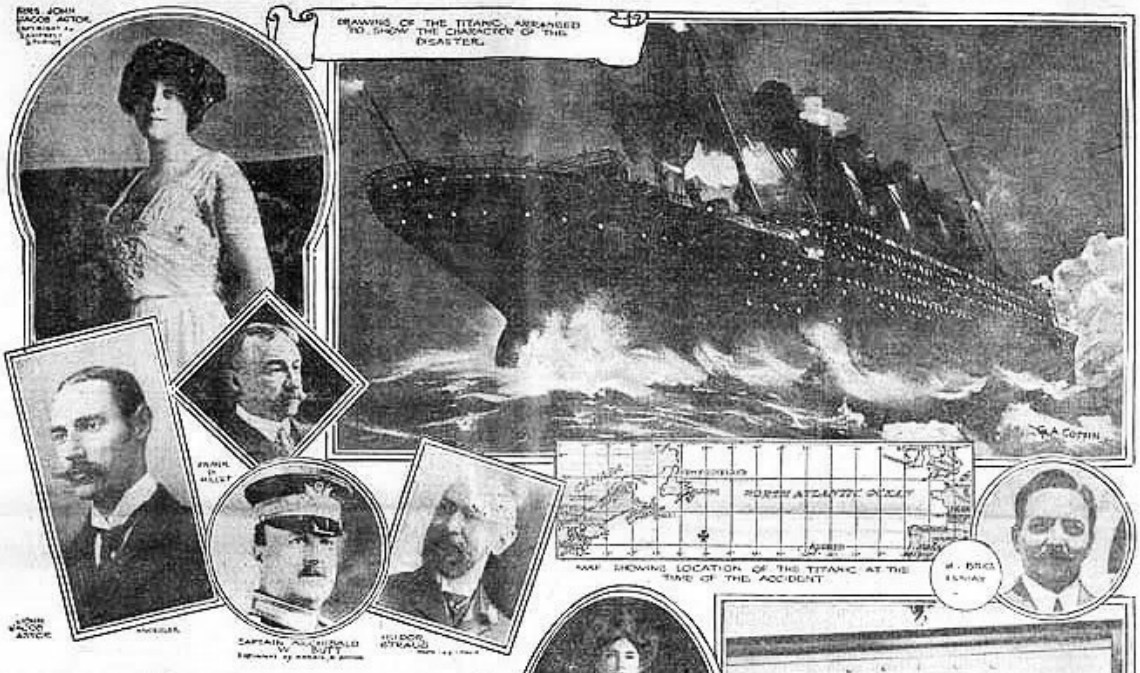


## MOST APPALLING DISASTER IN MARINE HISTORY OCCURS WHEN WORLD'S LARGEST STEAMSHIP STRIKES GIGANTIC ICEBERG AT NIGHT

### Scores of World's Most Widely Known Persons, Including Colonel John Jacob Astor and His Wife, William T. Stead and Isidor Straus Among Those Whose Fate Is in Doubt.

*The Carpathia's Survivors List*

A partial list of the survivors now on board the Carpathia, landed for the port, will be found on page 2 of this morning's Herald.

### J. Bruce Ismay, Head of the White Star Line; Mr. and Mrs. George D. Widener, the Countess of Rothes and Mrs. Henry B. Harris Are Some of Those Saved.

In the darkness of night and in water two miles deep the Titanic, newest of the White Star fleet and greatest of all ocean steamships, sank to the bottom of the sea at twenty minutes past two o'clock yesterday morning.

Despatches received late last night from the Cape Race Wireless station in Newfoundland and subsequent reluctantly made at the same time by the New York officials of the White Star Company warrant the fear that of the 2,200 persons who were aboard the great vessel when she received her mortal wound in collision with an iceberg more than 1,500 have gone to their death in her shattered hulk, while 675, most of whom are women and children, have been saved.

Should these grim figures be verified, the loss of the Titanic—smallest, most powerful, greatest of all the ocean fleet—while speeding westward on her maiden voyage will take rank in maritime history as the most terrible of all recorded disasters of the sea.

A despatch from St. Johns, N. F., received at fifteen minutes past two o'clock this morning gives rise to the hope that the steamship Virginian may have some of the Titanic's survivors on board. The message said she would bring to St. Johns such survivors as she "may rescue." Hope arises from the fact that the steamer is putting in here at all, which she would scarcely need to do were there not some humane necessity for that course. She was outward bound for Liverpool.

One point is known from which may be derived a sad reflection. In a desperate situation where the salvation of all was not possible the women and children were cared for first. Three were sent away in the first of the boats launched from the sinking ship, the only boats apparently which did not share the fate of the mammoth vessel.

America and Britain are spared the horrors that attended the sinking of the French ship La Bourgogne, in 1898, when the wishes and children were trampled under foot and cut down with knives.

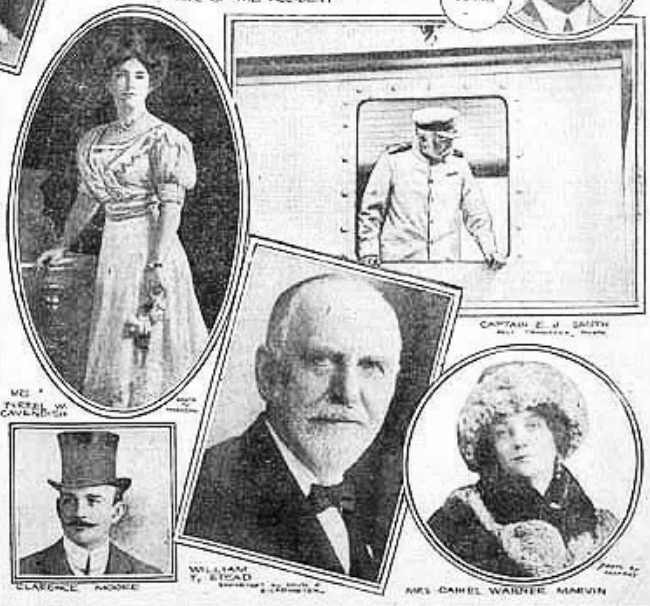


It was learned late last night that the full text of the message from the steamship Olympic reporting the sinking of the Titanic, only a portion of which had been made public earlier in the evening, expressed the opinion that the loss of life would reach 1,800 persons. That despatch said in its concluding sentence:—"Loss likely total 1,800 souls."

It is hoped here that this is an error, unless the Titanic had on board more passengers than was reported. The list, as given out, showed 1,316 passengers and a crew of 860, or 2,176 persons in all. Deducting the 675 reported to have been saved and to be bound for New York aboard the Carpathia, of the Cunard line, the loss of life indicated would be 1,493 persons.

The full text of the despatch received from the Olympic is as follows:—

"Carpathia reached Titanic's position at daybreak. Titanic sank about twenty minutes past two o'clock in the morning, in 41.16 north latitude, 50.14 west longitude. All her boats accounted for, containing about 675 souls saved, crew and passengers included. Nearly all saved women and children. Leyland liner Californian remained and searching exact position of disaster. Loss likely 1,490 souls."

By midnight throng Green in front of the White Star offices

# خبر جديد عن غرق تيتانيك، بصور لأشهر الركاب الذين كانوا على متنها

The Evening Star.

The Star is the only afternoon paper in Washington that prints the news of the Associated Press.

WASHINGTON, D. C., SATURDAY, APRIL 20, 1912—TWENTY-SIX PAGES. ONE CENT.

WHITE STAR LINE OFFICIALS ARE SUMMONED TO INVESTIGATION IN WASHINGTON NEXT WEEK

SENATORS RESUME INQUIRY INTO IMPORTANT FACTS ABOUT TITANIC DISASTER

Wireless Operator Cottam of the Carpathia Denies Sending False Message That Passengers Were Safe.

ISMAY ORDERS HIS LINES TO GET MORE LIFEBOATS

Sixteen Officers and Members of the Titanic's Crew Detained to Testify Before the United States Senate Investigating Committee.

INVESTIGATION IN WASHINGTON MONDAY.

MAY NEVER KNOW

CHEERS FOR CARPATHIA

MRS. ASTOR SAYS PERH

SAYS ISMAY TRIED

# خبر يذكر آخر نتائج التحقيقات

**صورة لمقابر غرقى تيتانيك**

NO. 9. - MALE. - ESTIMATED AGE, 22. - SCAR UNDER RIGHT SIDE OF CHIN HAIR, DARK.

CLOTHING - Grey mixture suit; handkerchief with blue border.

NO MARKS

EFFECTS - Moustache brush; pocket mirror and pencil; purse with French, Turkish, and Austrian money.

THIRD CLASS: PROBABLY S. FRENCH OR ITALIAN.

NAME - NAHIL SCHEDID (on health certif.)

**صورة من داخل التحقيقات، توضح المقتنيات التي وجدت مع الراكب ضاهر شديد، بعد العثور على جثته طافية على الماء**

**المقطوعات الموسيقية التي كان يتم عزفها على متن السفينة**

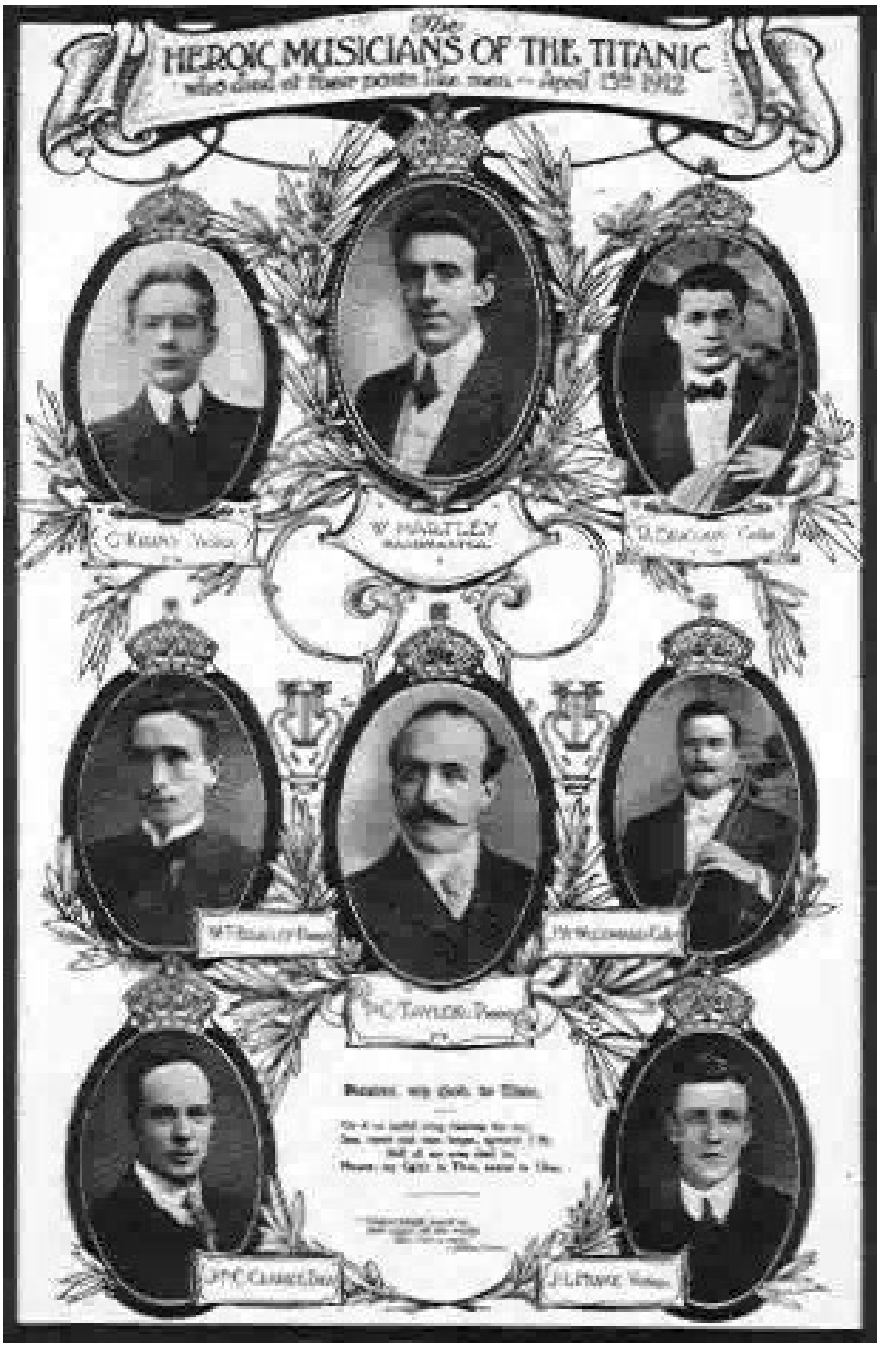


**صورة أوركسترا تيتانيك**

**صورة أشهر عازف على تيتانيك والاس هارتلي**

**شنطة الكمان التي عثر عليها تحت قاع البحر، والتي تخص العازف والاس هارتلي**

**صورة للشاب فليتشر المسئول عن الإعلان عن الحفلات والمناسبات الخاصة على متن السفينة**

# R.M.S. "TITANIC"

APRIL 14, 1912

## FIRST CLASS DINNER

HORS D'OEUVRE VARIES

OYSTERS

CONSOMME OLGA — CREAM OF BARLEY

SALMON, MOUSSELINE SAUCE, CUCUMBER

FILET MIGNONS LILI

SAUTE OF CHICKEN LYONNAISE

VEGETABLE MARROW FARCIE

LAMB, MINT SAUCE

ROAST DUCKLING, APPLE SAUCE

SIRLOIN OF BEEF — CHATEAU POTATOES

GREEN PEAS — CREAMED CARROTS

BOILED RICE

PARMENTIER & BOILED NEW POTATOES

PUNCH ROMAINE

ROAST SQUAB & CRESS

RED BURGUNDY

COLD ASPARAGUS — VINAIGRETTE

PATE DE FOIE GRAS

CELERY

WALDORF PUDDING

PEACHES IN CHARTREUSE JELLY

CHOCOLATE & VANILLA ECLAIRS

FRENCH ICE CREAM

# قائمة طعام الدرجة الأولى على متن تيتانيك

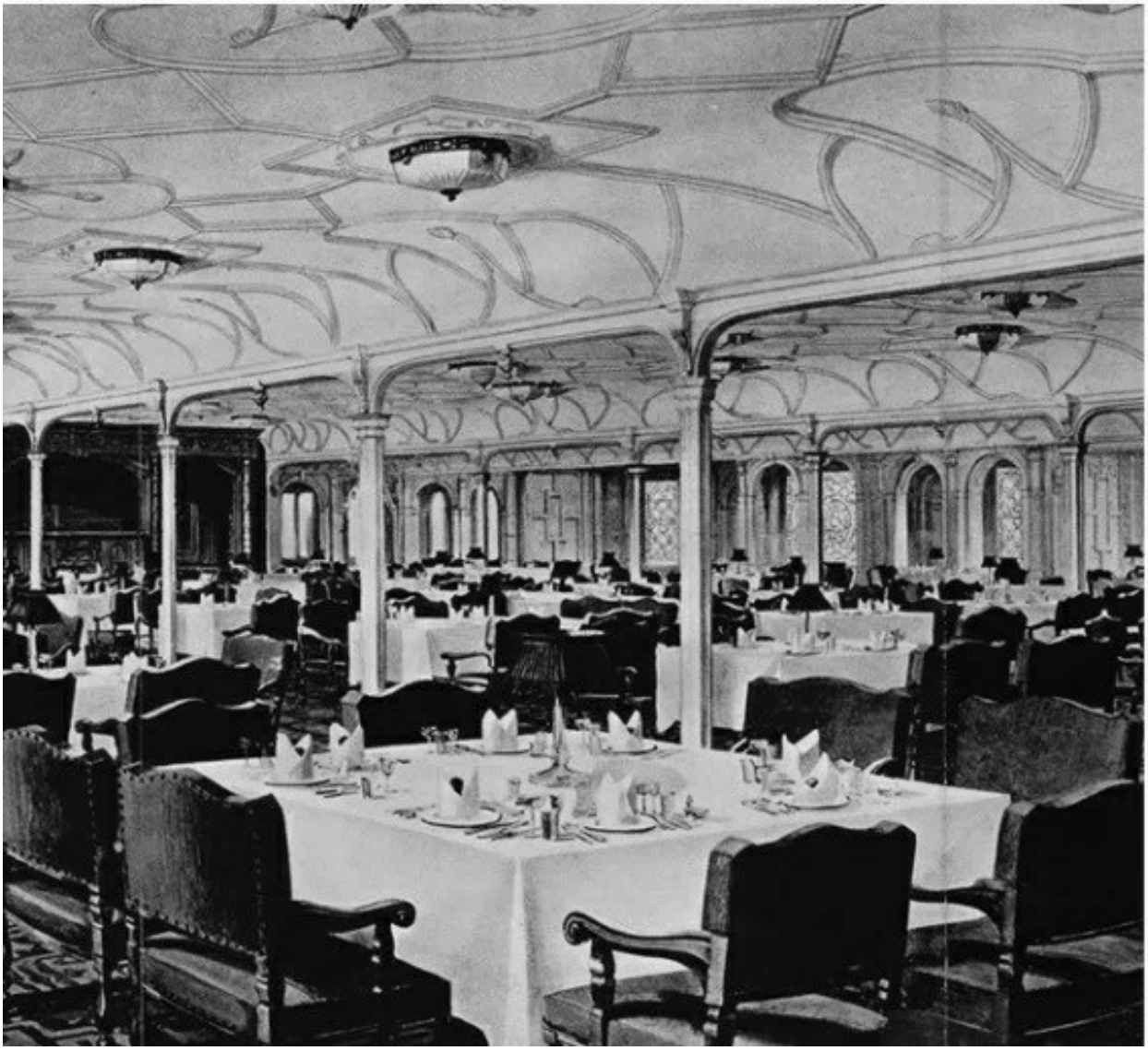

مطعم الدرجة الأولى

**صورة لتناول بعض الركّاب للعشاء داخل المطعم**

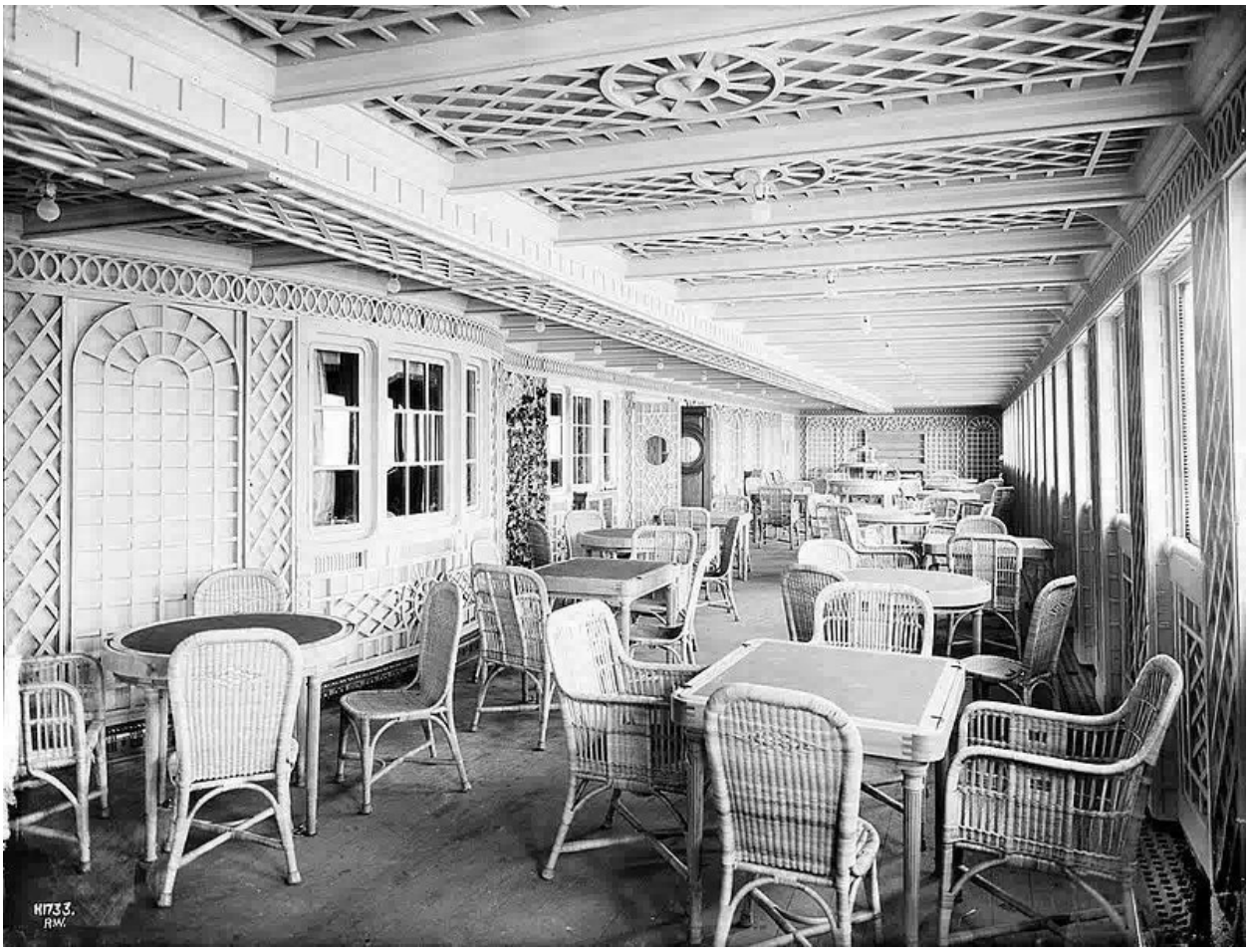


**كافية بالدرجة الأولى**

**غرفة القراءة والكتابة بالدرجة الأولى**

**جناح فاخر بالدرجة الأولى**

**فراش فاخر بالدرجة الأولى**

**الدرج المؤدي إلى المطعم وقاعة الرقص**

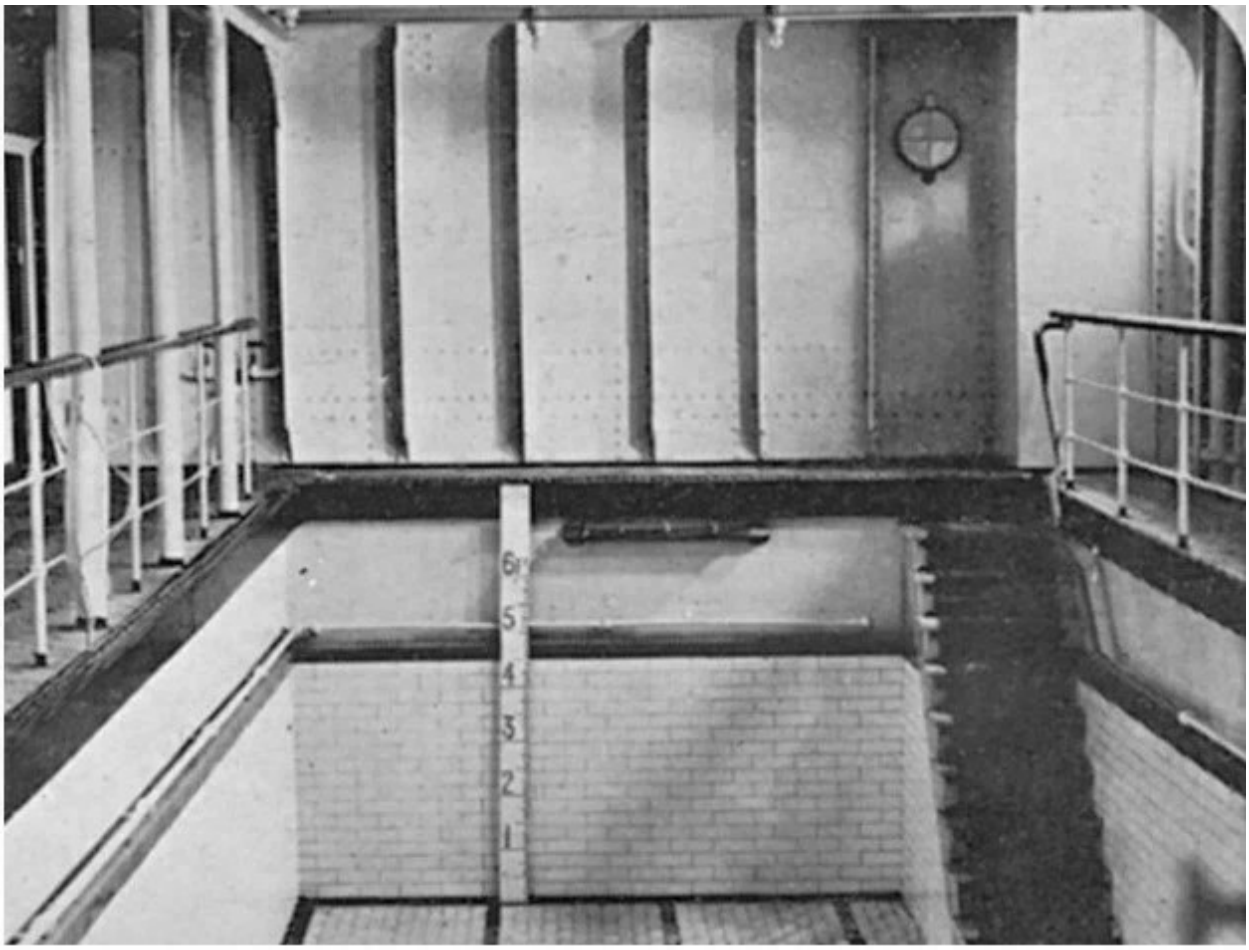


**حمام السباحة**

**بعض الركاب وهم يمارسون الرياضة في غرفة الجمانيزيوم**

**صورة أخرى لغرفة الجمانيزيوم، التي هرب إليها الكثيرين وقت غرق السفينة**

**صورة من الأعلى للدرج المؤدي إلى المطعم وصالة الرقص**

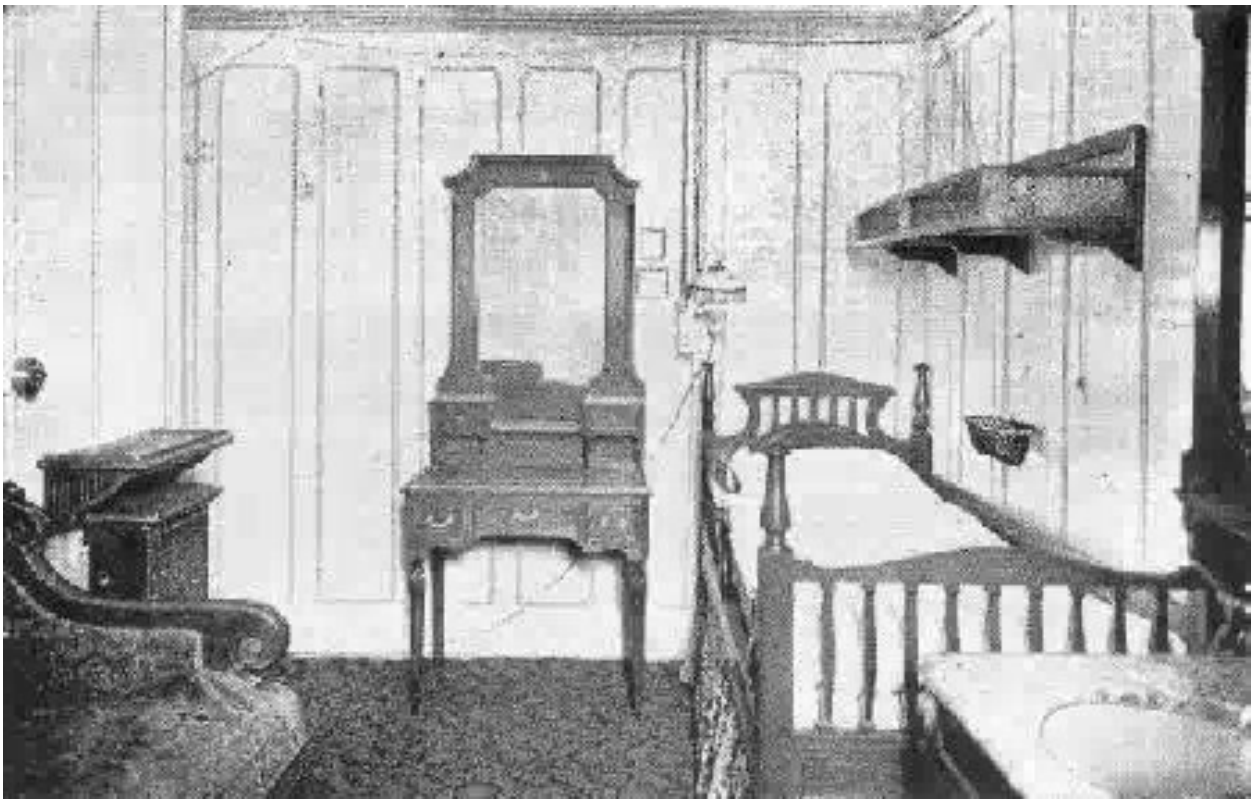

**غرفة الدرجة الثانية**

**ركاب الدرجة الثانية وهم يتنزهون صباحا**

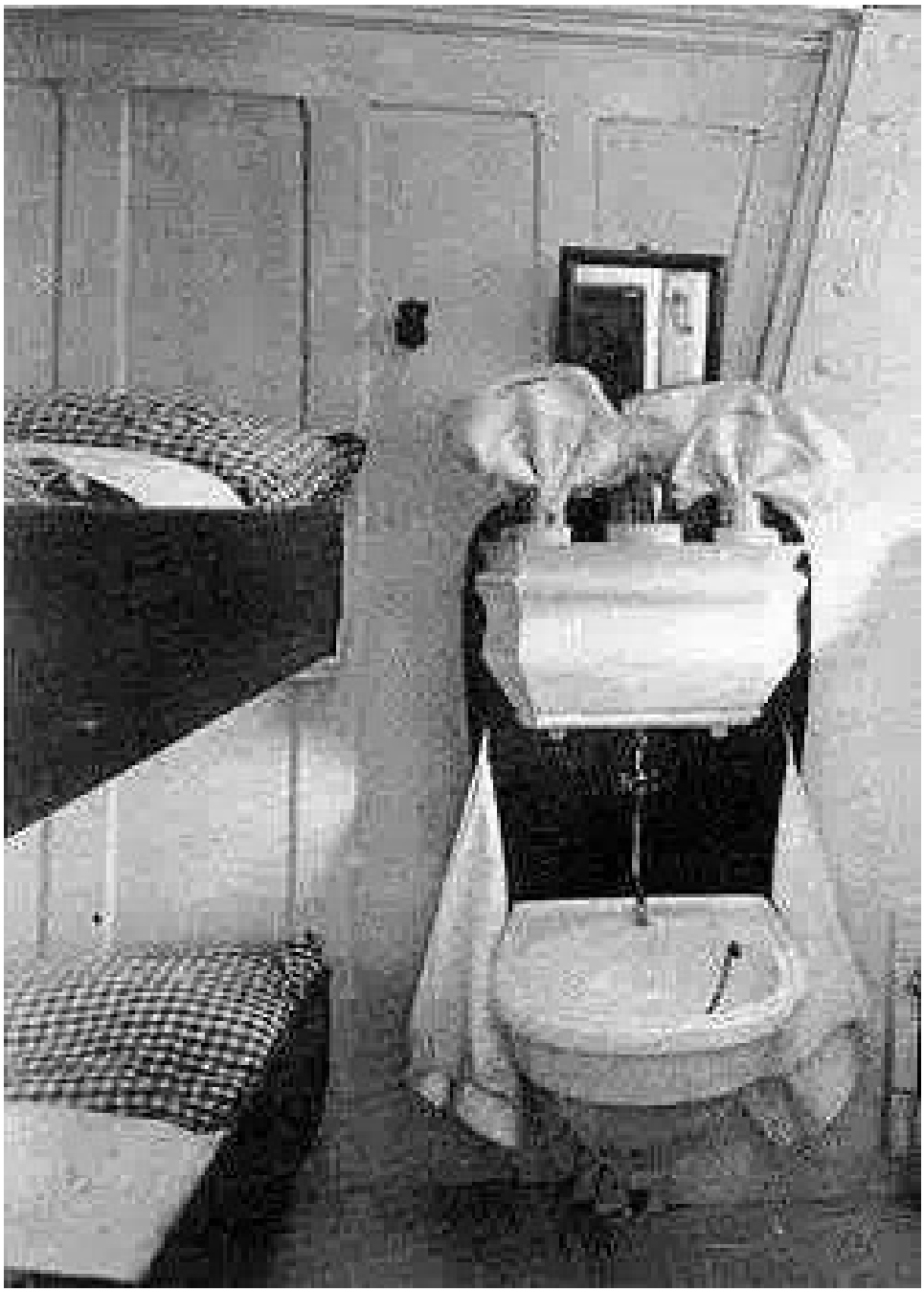

**غرفة الدرجة الثالثة**

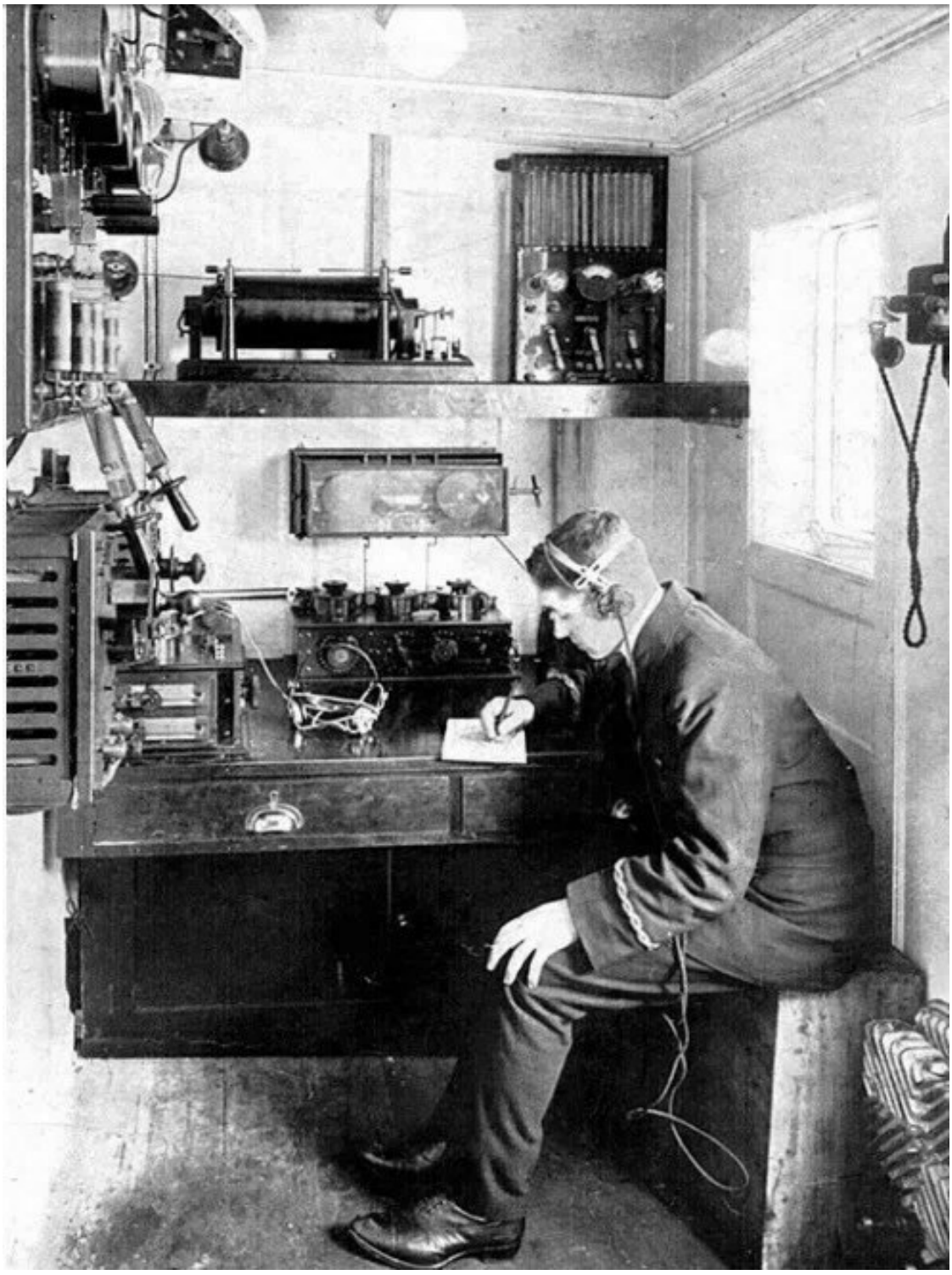

**غرفة اللاسلكي، خلال استقبال الرسائل**

**ساعة تم إيجادها في قاع المحيط، آخر وقت محفور عليها، كان وقت غرق السفينة**

**هلع في الشوارع بعد غرق تيتانيك**

**تجمهر الناس في الشوارع أمام مبنى التحقيقات، ليعلموا ماذا حدث لتيتانيك، وهناك رجل يكتب على لافتة عريضة آخر الأخبار.**

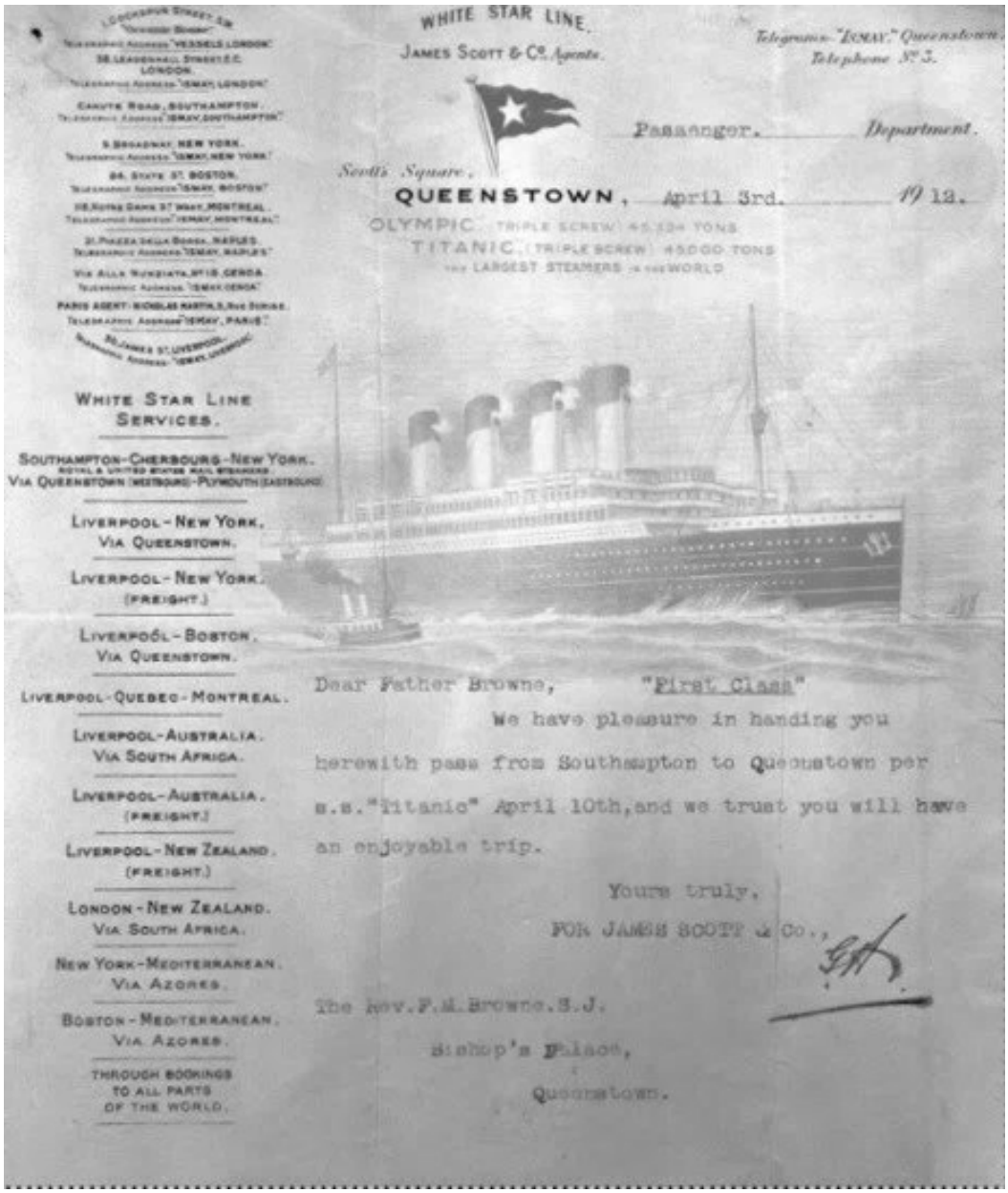

WHITE STAR LINE.

JAMES SCOTT & Co. Agents.

Telegrams "ISMAY," Queenstown.
Telephone No 3.

Passenger. Department.

Scott's Square,

QUEENSTOWN, April 3rd. 19 12.

OLYMPIC. TRIPLE SCREW 45,324 TONS

TITANIC. (TRIPLE SCREW) 45000 TONS

THE LARGEST STEAMERS IN THE WORLD

WHITE STAR LINE SERVICES.

SOUTHAMPTON-CHERBOURG-NEW YORK.
ROYAL & UNITED STATES MAIL STEAMERS
VIA QUEENSTOWN (WESTBOUND)-PLYMOUTH (EASTBOUND)

LIVERPOOL-NEW YORK.
VIA QUEENSTOWN.

LIVERPOOL-NEW YORK.
(FREIGHT.)

LIVERPOOL-BOSTON.
VIA QUEENSTOWN.

LIVERPOOL-QUEBEC-MONTREAL.

LIVERPOOL-AUSTRALIA.
VIA SOUTH AFRICA.

LIVERPOOL-AUSTRALIA.
(FREIGHT.)

LIVERPOOL-NEW ZEALAND.
(FREIGHT.)

LONDON-NEW ZEALAND.
VIA SOUTH AFRICA.

NEW YORK-MEDITERRANEAN.
VIA AZORES.

BOSTON-MEDITERRANEAN.
VIA AZORES.

THROUGH BOOKINGS
TO ALL PARTS
OF THE WORLD.

Dear Father Browne, "First Class"

We have pleasure in handing you herewith pass from Southampton to Queenstown per s.s."Titanic" April 10th, and we trust you will have an enjoyable trip.

Yours truly,

FOR JAMES SCOTT & Co.,

The Rev. F.M. Browne. S.J.

Bishop's Palace,

Queenstown.

**صورة للتذكرة التي بدأت كل شيء .. تذكرة على سفينة تيتانيك**

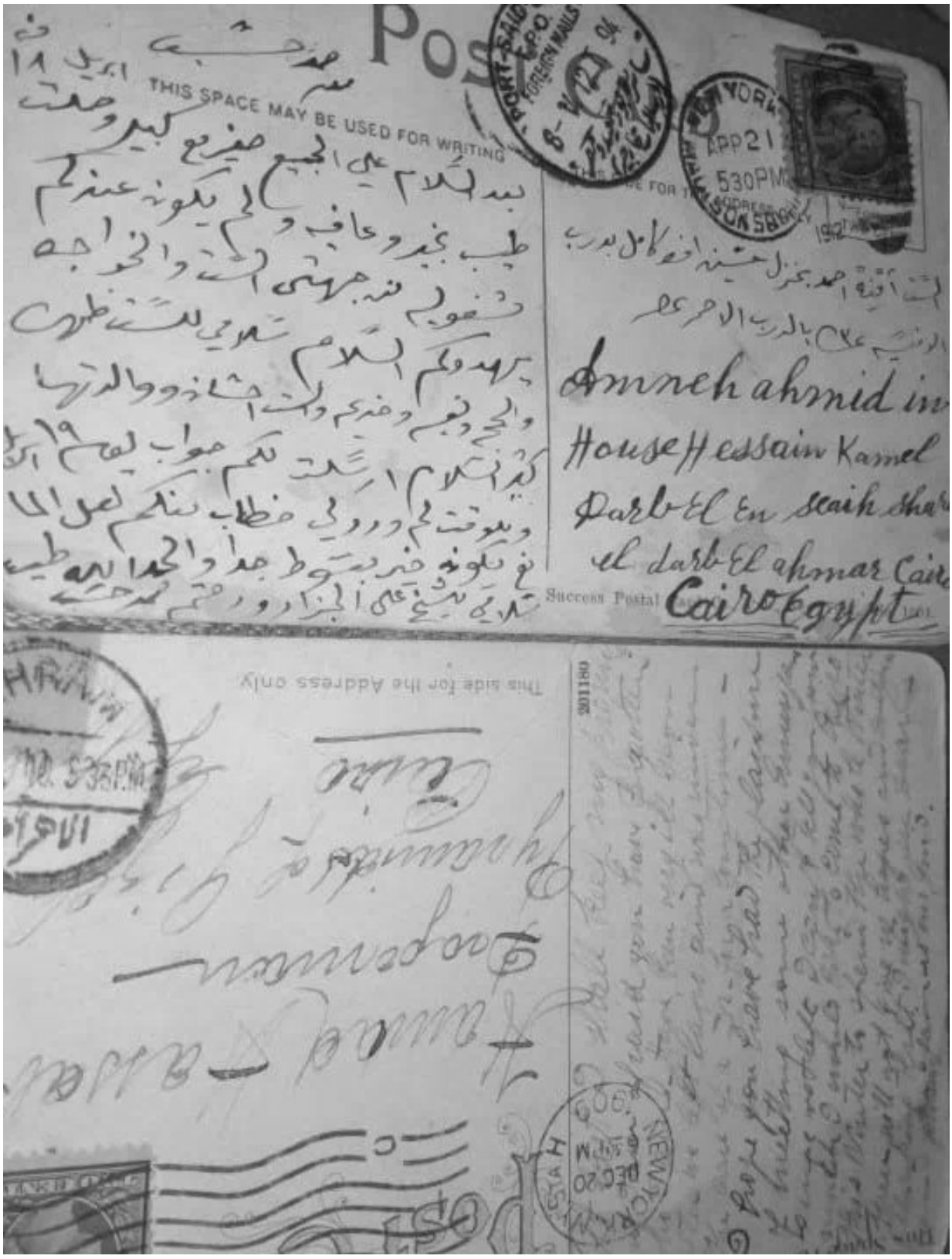


صورة لخطاب أرسله "حمد" لعائلته، مكتوب بخط يده، من نيويورك، تُرجح عائلته

بأنه أرسله إلى زوجته بعد الحادث، ليطمئنها عليهم، والواضح في الخطاب إنه يقول لعائلته أنهم جميعًا بخير، وأن الخواجة والمدام يرسلا السلام على العائلة، كما يقوم "حمد" بالسؤال عن أفراد من عائلته بالاسم، ويتمنى لهم جميعا الصحة.

شكر خاص..

هذه الرواية كتبتها جدتي -رحمها الله- منذ اللحظة التي ربتني فيها على مشاهدة ليلى مراد وأنور وجدي وقصص الحب التي لا تنتهي بالوداع، كتبها أبي وأمي منذ أن علماني القراءة والكتابة، وصنعاني إنسانة راشدة بعدما كنت لا شيء، كتبها إخوتي منذ احتضنتهما لأول مرة عندما علمت أنني سأكون أمًّا لبنتين جميلتين، كتبتها خالتي عندما بكيت وهي تدعو لي بالتوفيق والسداد، كتبتها عائلتي وهم يمدحونني طوال الوقت دون أن أستحق كل هذا المديح، كتبها صديقاتي عندما أضحكوني ووقفوا بجانبي في كل مرة بكيت فيها وقهرت، وعندما سكّروا لي كل مُرّ.

خرّجت الرواية إلى النور في شكل عمل أدبي، عندما تكاتفوا جميعهم فجمعوا قطعي المبعثرة، وأصلحوا في ما قد كسر، ثم وضعوا في يدي القلم مرة أخرى لأكمل قصتي، فكيف أهديكم ما تملكونه بالفعل؟.. أنتم أنا.. أتمنى أن تكونوا فخورين بي..

إهداء إلى صديق..

شرحت لك أسبابًا كثيرة لكي أهديك هذه الرواية، وابتعدت عن السبب الحقيقي، هو أنني أريد فقط أن أذكرك، حتى إذا فرط منا كل سبب تشبثنا به لنصبح أصدقاء، فضعت مني وضعت منك، نظل أصدقاء على صفحات رواية، لا نفترق، أدعو الله يا صديقي ألا يجف الحبر، فلا نمحى، ونتردد على ألسنة الناس حكاية تُروى، فتظل صداقتنا متجددة لا تنتهي بانتهاءنا، أو إذا رحلت وتركتني وحدي مرة أخرى، وكم أتمنى لو تبقى.